كوما

رواية

باسم زكي



دار اكتب للنشر والتوزيع



كوما

كوما

باسم زكي

الطبعة الأولى ، القاهرة 2019 م

غلاف: أحمد فرج

تدقيق لغوي: خالد رجب عواد

رقم الإيداع: 26855 /2018

I.S.B.N: 978-977-488-619-5



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان: 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف: 01111947957

بريد إلكتروني: daroktob1@yahoo.com

.. إهداء..

.. دعوة إلى الأمل.. لكل من تصل إليه كلماتي..

"لكل إنسان موهبته.. قد يستغرق زمنًا لإكتشاف تلك الموهبة.. فإن لم تكتشفها للحين فلا يعني ذلك أنها ليست موجودة؛ اجتهد في البحث عن موهبتك.. اجعل منها حلمك.. اجتهد من أجل تحقيقه.. مهما تكن الصعوبات والآلام والتي قد ترى في وقتًا ما إنهُ لا يشعُر بها غيرك!. إياك وأن تستلم لليأس.. فلا تجعله يقترب من بابك.. ثق بموهبتك وقدرتك على تحقيق أحلامك.. اتخذ من الأمل مصباحًا يضيء دربك.. اشتد على نفسك في رحلتك لتحقيق أحلامك.. فلا لذة للوصول تأتي إلا بعد عناء وشقاء طول الرحلة.. وعلى قدر الآلام فيها تأتي السعادة بالوصول.. تفاءل".

***

" لولا مشيئتك عليّ؛

لما كانت مشيئتي أن أكون عصيا !!!!!

بعلزبول



1

..كوما..

778 ساعة بعد الجراحة..

جاهد بشدة لفتح جفونه، جبال راسية تقبع على عينيه ورأسه، صورة مشوشة تتكون أمامه لغرفة قميئة، يقبع فيها على فراش الأموات الأحياء، مرت عليه اللحظات وهو يستدعي ذاكرته الهشة عن المكان أعوامًا، حتى عادت له روحه من جديد، تلك هي غرفة العناية المركزة التي يقبع فيها مُنذُ أكثر من شهر، مُنذُ أن أجرى جراحته الدقيقة لاستئصال الورم الذي تفشى في قلبه، أحد أندر أنواع الأورام السرطانية في الوجود؛ إلا أنه أحد المحظوظين الذين نجوا من جراحة بمثل خطورة حالته، إلا أنهُ لم يكون محظوظًا فقط بل كان الأكثر حظًا على الإطلاق؛ كون قلبه توقف لأكثر من أربعين دقيقة في أثناء الجراحة؛ وبعد محاولات مُضنية من الأطباء، عاد فجأة من الموت؛ بعد أن أصاب الجميع اليأس وتمكن منهم بغرفة الجراحة،

لم يرَ كُل من كان بالغرفة حالة مُماثلة من قبل، إلا أن الجراح في أثناء غيبوبته كان مُصرًا على عودته، وهو الوحيد الذي لم يُصبه اليأس لحظة، عكف من اللحظة الأولى لتوقف قلبه إلى وضعه على جهاز التنفس الصناعي؛ وتدليك عضلة قلبه ولم يتوقف أو يتورع عن صعقه بين الحين والآخر مرارًا وتكرارًا؛ حتى ظن من بالغرفة من أطباء ومسعفين أن زميلهم أصابه ضرب من الجنون، الجميع كان يعلم مدى حبه للمريض، لكن لم يتخيل أحد ما حدث بداخل الغرفة مُطلقًا، حاول الجميع إثناءه مرارًا وتكرارًا عن المحاولات الفاشلة من وجهة نظرهم، لإعادة شخص رحل عن عالمنا، ولم يتوقف عن محاولاته التي كانت أبرزها نعته بالجنون من أحد الجراحين المشاركين بالجراحة؛ وتمادى الأمر أكثر خلال الأربعين دقيقة ليهدده الجراح ذاته بتقديم شكوى فيه لنقابة الأطباء؛ ولم يتوقف إلا مع عودته للحياة، وكان رده بالغًا صفع به كُل من كان يشارك بالجراحة بقوله: "من منكم يعرفه مثلي؟ من منكم يعرف قلبه الذي ذبحتموه بمشارطكُم؟ كُل من قابلهم في حياته فرطوا به وما كُنتُ لأفرط فيه.. أيًا كان الثمن "؛ أنهى جُملته وهو يصُب نيران غضب من عينيه على زميله بالجراحة، تلك كانت البداية فقط للأحداث والحديث عن تلك الحالة؛ فما إن فُتحت غرفة العمليات وخرجت الأحاديث عن الإعجاز الذي قدمه الدكتور ((علي عبد الرحمن))، حتى عقدت عدة مؤتمرات صحفية بالمستشفى، لشرح الحالة وكيف عاد هذا الشاب للحياة بعد أن غادرها أربعين دقيقة؛ ورغم كُل الأسئلة العلمية التي وجهت للجراح؛ كان يُجيب بأنه رغم ما درسه ليس لديه جواب سوى ما قاله بداخل غرفة الجراحة

فور نجاحه في إعادة هذا الشاب للحياة؛ كانت الأسئلة كُلها تتوجه عن حياة الشاب ولم يكُن يعرف عنهُ شيئًا إلا الجراحون الكبار؛ وهو ما رفضوا الإفصاح عنه تمامًا، ليظل الباب مفتوحًا للأسئلة على أمل تمام شفاء الشاب وسماع قصته منه، بيد أن الإثارة أصبحت حليف هذا الشاب، فلم يتوقف الأمر على الحظ فقط، بدأت الإثارة حقًا بعد خروجه من غرفة الجراحة مُباشرة، ما إن وصل به الأطباء إلى غرفة العناية المركزة وعكفوا على إيصاله بالأجهزة الطبية، حتى صرخت جميعها تُنذر بتوقفها تمامًا؛ أصاب الجميع حالة من الهرج أيمكن أن يموت الآن بعد .كُل ما حدث بغرفة العمليات؟!، أيموت بعد أن عاد من الموت؟! توقفت العقول للجميع إلا من لمرضة وحيدة هرعت للدكتور علي تُنذره بالخبر؛ هرع من فوره لغرفته صارخًا في الجميع الابتعاد، وبعودة بسيطة لبدايات الطب أمسك وريد يده ليكشف عن نبضه، اتسع بؤبؤا عينيه ووضع السماعة الطبية على قلبه؛ لحظات وهز رأسه نافيًا بعنف وهو يصرُخ ضاحكًا:

- لا يُمكن !!!!

لم يكُن يحتاج لأن يسأله أحد الموجودين بالغرفة من أطباء وممرضين؛ كانت أعيُنهم تحمل آلاف الأسئلة، أجُن الدكتور علي؟ أتوفي المريض؟ ماذا يحدث هنا؟ نظر لهم وبسط راحة يده لأعلى يُشير بها للمريض قائلًا:

- كوما!!!! عائد من الموت أيها الأطباء.. ما ترونه الآن يعجز العلم عن تفسيره، الأجهزة تُشير أنه توفي بينما جسده، يعمل بانتظام لكم أن تتأكدوا بأنفسكم.

تراجع للخلف بينما اندفع كُل الموجودين لفحص تلك الحالة الغريبة؛ العائدون من الموت أو هكذا أطلق عليهم، هم بعض الحالات الطبية النادرة في العالم، ويتعرض أصحابها إلى غيبوبة قوية تتوقف فيها كل وظائف أجسادهم وأعضائهم، هو موت حقيقي؛ يستجيب عدد قليل من تلك الحالات لمحاولات إعادته إلى الحياة، ولا يتوقف الإعجاز لتلك الحالات في عودتها من الموت بعد مدد زمنية طويلة لتوقف القلب، وهي في الطب أشياء مستحيلة أن يتوقف قلب أحدهم ثلاثين أو أربعين دقيقة كاملة، ويعود بعدها للحياة؛ ولكن الأكثر غرابة في تلك الحالات هو عدم استطاعة العلم بما توصل له حتى الآن، كشف سبب العودة للحياة، أو حتى ما يراه المريض في تلك المدة الزمنية؛ وأكثر ما لم يستطع العلم تفسيره هو ما يحدث من تغيرات للمرضى، فبعضهم يعود وهو يمتلك قدرة غامضة، بعضهم إن ارتدى ساعة يد تتوقف من فورها، وبعضًا إن اقترب من جهاز بث فضائي تتشوش الإشارة، وبعضهم إن أراد أن يُجري مكالمة هاتفية خلوية، تتشوش الموجة بشدة ولا يسمع شيئًا؛ هي مُستحيلات لم يستطع العلم تفسيرها، وهي تخضع إلى العديد من الدراسات ولم يُكشف سرها حتى الآن؛ تلك هي حالة هذا الشاب الراقد بتلك الغرفة المقيتة؛ غرفة الأموات الأحياء، هو أحد هؤلاء العائدين من الموت..

***

2

.. الغرفة 666..

قبل ثلاثة أيام..

تقدمت بخطواتها الثابتة إلى داخل الغرفة، كان كُل شيء في الممرضة المُتمرسة ثابتًا لا ينُم عن أية مشاعر؛ عملها وتتقنه، كم مريضًا قادتهم في حياتها إلى الغرفة ((666))! شيء واحد لم تتقنه هذه المرة؛ بدا خوفها وقلقها جليًّا على عينيها، لم تتمكن من أن تفهم سبب خوفها وقلقها، أهو خطورة الحالة، أم هي الحالة بذاتِها؟! رمقت هذا الشاب طويل القامة، قمحي البشرة، عيناه العسليتان بالسواد أسفلهما، جبهته العريضة، رأسه المحلوق وكأنه لم ينبت له شعر يومًا، جسده المرهق البالي؛ تمالكت أعصابها وهي تمنع دمعة كادت تهرب من عينيها وتفضح أمرها قائلة:

– تلك هي غُرفتك، إذا كُنت في احتياج لأي شيء فقط اضغط هذا الجرس، هو متصل بغرفتي.

أنهت حديثها وهي تُشير إلى زر بجوار الفراش.

أومأ لها برأسه إيجابًا وأجابها بحديث مُقتضب:

- أشكرك، بالتأكيد إن كُنت في احتياج لأي أمر سوف أطلبك؛ إلى متى سوف أمكث هنا قبل إجراء الجراحة؟

- كما أخبرك الدكتور ((علي))، ثلاثة أيام لا أكثر ونُجري لك الجراحة.

أطرق برأسه أرضًا وهو يومئ لها إيجابًا بتفهمه للأمر وهو يُشير لها أن تكف عن الحديث الذي لم يرُقه يومًا؛ تفهمت الممرضة المُتمرسة أنه لا يُريد التحدث، ويجب عليها الانسحاب ولو مؤقتًا، تحركت باتجاه الباب وما إن وصلت إليه حتى استدارت له قائلة:

- ((زينة))، اسمي زينة.

قالت جُملتها وهي تنتظر لجوار الباب أن تسمع منه ردًا، وهو ما لم يحدث، فقط سحب شنطته وتقدم باتجاه شرفة الغرفة، ولم يلتفت لها، دلف إلى داخل شرفة الغرفة المطلة على حديقة وكأنها الجنة خارج أسوار هذا السجن المقيت، هذا هو السجن الذي تختاره بنفسك لتُسجن فيه، بل أكثر وأنت أيضًا توقع على أوراق موافقتك الكاملة على تعذيبهم لجسدك وروحك، وإن توفيت لا يتحمل أحدهم مسئوليتك، أخرج علبة سجائره من جيبه وأشعل سيجارته، رغم تحذيرات الأطباء له بضرورة التوقف عن التدخين، لم يُعِر لا تحذيراتهم ولا نصائحهم أي اهتمام يومًا، حصل على أنفاس قليلة قبل أن تُصيبه الحالة التي ضربته في آخر أيامه، تقطعت أنفاسه،

روحه تُنتزع من صدره بالقوة، خَرَّ أرضًا وهو يُكافح بيديه ألا يتضرر أكثر، نتيجة اصطدامه بالأرض، السعال لا يفارقه لحظة، ما إن تصيبه تلك الحالة، أظلمت الحياة فجأة، آلام رهيبة، ليل بهيم لا نهاية له، هل انتهيت وأنا في الجحيم؟!، إن مَن يرَ سوادًا وظلامًا لحظة وفاته بالتأكيد آثم، ظالم والجحيم في انتظاره؛ ما الذي اقترفته في حياتي البائسة ليكُون جزائي الجحيم؟! هي جميعها أسئلة تراوده كُلما ضربته تلك الحالة، وكانت كُل مرة تشتد عن سابقتها عنفًا في صفعه وقهره وإشعاره بالعجز؛ لحظات مرت عليه أعومًا، وعاد الضوء من جديد، الجحيم كان خيارًا أفضل له من العودة للألم والمعاناة من جديد، نهض بصعوبة وهو يسأل روحه المعذبة في صمت، متى ترحلين وينتهي كُل شيء؟ تحرك بصعوبة إلى داخل غرفته، دار حول نفسه وهو يتفحص الجدران الأربعة المطلية باللون الأبيض، الأجهزة الطبية أعلى الفراش الطبي، الكومود على يمين الفراش وعلى يساره، كُرسيان بينهم طاولة قصيرة الأعمدة، شاشة تليفزيون أمامها، دولاب صغير، باب حمام صغير، غرفة لا تزيد مساحتها بشرفتها بحمامها عن ستة أمتار مكعبة، هي ما سوف يقبع فيها مع آلامه وحيد طوال ثلاثة أيام حتى يرحل؛ سؤالًا واحدًا كان يحتاج إلى إجابته، رغم علمه المسبق بإجابته ولكن، عسى أن تكون له إجابة مُغايرة لا يراها؛ تلك هي الحكمة التي تعلمها في حياته الصعبة، ليس بالضرورة كُل ما تعرفه هو الحقيقة وحسب؛ توجه للزر بجوار فراشه وضغط عليه، اتجه إلى أحد الكراسي وجلس عليه يُلقي رأسه للخلف، رفع رأسه على صوتها الحاني العجيب قائلة:

- أتحتاج إلى شيء؟

أومأ برأسه إيجابًا واعتدل في جلسته ينظر للكرسي الشاغر وأردف:

- أتسمحين لي بسؤال؟

جلست على الكرسي الشاغر وأجابته:

- أسمح لك ولكن بشرط، بالتأكيد أنا أصغر من أن أكون والدتك، ولكن أنا أيضاً بالتأكيد أكبر منك بالقدر الكافي لتدعوني أبلة زينة، أختك الكبيرة بمعنًى آخر.

أنهت جُملتها على ضحكة تفتحت لها الزهور، أرادت أن تُخرجه من حالة اليأس التي بدت على وجهه؛ تمددت شفتاه أسفًا، وأومأ برأسه رفضًا وأجابها بحزن:

- مع الأسف أنا لا أملك أخوات، لا إناثًا ولا ذكورًا، لا يغُرنكِ المرض الظاهر على جسدي، أنا ملعون غُضب عليه مُنذُ لحظة ولادته، الأرض ترفض وجودي عليها والسماء تُغلق أبوابها أمامي، حتى الموت ذاته رغم هرب الجميع منه، أنا الوحيد الذي يهرُب مني رغم بحثي المستمر عنه.

تبدلت بسماتها إلى جحيم مُستعر وغضب جامح، صرخت فيه:

- أتظن أن الله على عرشه يحتاج لكُل هذا التدبير كي يُفنيك أنت واهم؛ الدنيا بأكملها بما عليها إن كانت تعني عند الله شيئًا، لما سمح للظالم أن يفرح بنصره الزائف وظلمه، ولا الحزين والمكسور مثلك أن يحزن

بجهله؛ هي الحكمة الإلهية التي لا يعلمها إلا هوّ، إن الله رحيم بعباده وجميع مخلوقاته؛ إياك واليأس من رحمة الله، هي الأمل وطوق النجاة الوحيد لكُل قلب مكسور، الأمل ورحمة الله هما ما تُجبر بهما أرواحنا الحزينة المكسورة.

وكأنها سكبت نيران بركان ثائر على جروحه، تلك الأعيُن التي لم يعرف الدمع طريقها يومًا، اغرورقت بالدموع فجأة، وعلا نحيبه بشدة، وصرخات الألم ترتفع من حنجرته، ظهرت عروق رقبته الفائرة بالدماء الغاضبة، أطبق قبضتي يديه بقوة وكأنما يُمسك بتلابيب الأمل، يتمسك به ألا يرحل عنه؛ اندفعت إليه تضم رأسه إلى صدرها الحاني، لم تعلم كيف قالت له ما قالت ولا حتى لِمَ ضمته إلى صدرها، آلاف الحالات كانت أسوأ منه، أمر تكرر مرارًا وتكرارًا ولم تتحرك، ما الغريب في هذا الشاب؟ لِمَ تشعُر أنهُ ابنها، أنهُ شقيقها، أنهُ حبيبها، هي حقًا تخاف عليه، وما إن ضمت رأسه إلى صدرها حتى شعرت بألم رهيب في صدرها، لم تتمالك دموعها، تحسست رأسه بأناملها تُهدئ روعه، قالت والدموع تملأ كلماتها:

- يكفيك ما أنت فيه، لا تُحمل نفسك ما لا تحتمله، أخبرتني أنك تُريد أنْ تسأل عن شيء، حتى الآن لم أسمع شيئًا؛ تفضل حالًا بطرح سؤالك.

جلست على كُرسيها الشاغر تنتظر ما كان يُريد أن يسأل عنه، جفف دمعه على وجنتيه بكفيه، نظر لها ليراها لأول مرة، فتاة طويلة القامة تكاد تماثل طوله ممشوقة القوام، وجه طويل، شعر أسود طويل، عينان سوداوان، أنف طويل دقيق، شفتان مُمتلئتان، رقبة طويلة صدر ناهد، بالتأكيد هي في

مثل عُمره، لا يُمكن أن تتجاوز الخامسة والثلاثين؛ أنهى تفحصه لها مُقاطعتها له قائلة:

– أربعة وثلاثون عامًا، اسأل سؤالك؟

ابتسم بصعوبة وأجابها:

– ((فارس))، خمسة وثلاثون عامًا.

اتسعت عيناها بقوة وصرخت قائلة:

– لا يُمكن بالتأكيد أنت أصغر.

– إن رأيتِ الشيب في رأسي لما قولتِ ذلك، أما سؤالي؛ فهو جميعنا يعلم أن من يقترب من الموت تنقطع عنه الدنيا ولا يرى سوى موقعه في العالم الآخر، الصالح يرى نورًا، و يرى الجنة ومن يُحبهم؛ والطالح يرى ظُلمة والجحيم الذي ينتظره، أما سؤالي هو: لَم كُلما اقتربت من الموت لا أرى سوى الظُلمة والسواد؟! أهذا يعني أني طالح وموقعي الأخير جحيم جهنم؟!، أهذا هو العدل؟! جحيم طوال خمسة وثلاثين عامًا في الدنيا، وحين يتعلق أملي بالنهاية يكون أيضًا جحيمًا؟! أتلك هي الحكمة الإلهية؟! طالما الأمر كذلك لَم خُلقت من الأساس؟! وما المغزى من خلقي؟!...

شعرت لأول مرة بوخزة قوية في صدرها، شعرت بالعجز، ما الذي قد تُجيبه به ويُريحه لُيريحها من الألم الغريب في صدرها، شردت للحظة وأجابته بقوة:

– ولَمَ لم تفهم إنما هي إشارة حتى تُحاسب نفسك؛ قد تجد مخرجًا من جحيم الدنيا ويُنجيك من جحيم الآخرة.

انتفض من جلسته واتجه إلى باب الشرفة، شرد قليلًا وهو ينظر للخارج عبر الستائر الثقيلة، يجاهد أن يخترقها بنظره يتحسس ضوء النهار تحدث وهو في موضعه:

– ثلاثة أيام تكفي للحساب، ولكن أتُراها تكفي للشهادة؟!

نهضت واقتربت منه سائلة:

– لا أفهم ما ترمي إليه؟!

استدار لها وأردف:

– الثلاثة أيام الباقية لي هنا تكفيني لأحاسب ذاتي، لكن أمن الممكن أن تُكفيكِ حتى تشهدي على هذا الحساب؟!

وضعت يديها على صدرها وأجابته بفزع:

– وما شأني في حسابك لذاتك؟!

– أنا أعلم كما تعلمين أن نسبة نجاح الجراحة أقل من 10%؛ لذلك أحتاج منك أن تقدمي لي آخر خدمة في حياتي؛ إذا تعلق الأمر بالحساب فلن يكون لي وحدي، يجب أن يتم حساب الجميع؛ ومن الأفضل أن من يتولى الأمر بعد رحيلي، شخص مثلك لن يضعُف أمام من يجب حسابهم؛ هل يمكنك أن تساعديني للعودة من الجحيم، والأهم تقتصي لي بعد رحيلي إن وجب القصاص؟!

اندفعت للخلف وأدارت ظهرها له صارخة:

- أنت لا تعلم شيئًا عني، كيف تطلب مني أن أُلبي لك أخر أُمنياتك بالحياة؟! كيف تأتمنني على أسرارًا لا أعلم أصحابها؟! أنا على يقين أن كُل شخص أقابله في حياتي هو بترتيب من الله، ولحكمة لا يعلم مداها إلا هو؛ إلا أني لستُ مؤهلة لمثل هذا الاختبار.

اقترب منها ووضع يديه على أكتافها، أدارها لتواجهه، نظر لعينيها مُباشرة، نظرة لم تكون طويلة، إلا أنها اخترقت عقلها وقلبها أيضًا، هدأت جوارحها وسكنت بين يديه، عاد للحديث بهدوء:

- من ذا الذي أخبرك أنكِ لستِ مؤهلة، إن كُنتِ على إيمان راسخ مثلما تؤكدين بحديثك؛ يجب أن تثقي أني ما التقيت بك حتى يتم لكِ هذا الاختبار؛ وقد يكُون اختبارًا لي أيضًا؛ فقط امنحينا الفرصة لنرى ما قد يحدث في الثلاثة أيام.

طرقت برأسها لأسفل وشردت، لم يدوم شرودها كثيرًا حتى أومأت برأسها إيجابًا وتفهمًا، يبدو لها أن تلك حقًا هي الحكمة من لقائها به، تيقنت أنه حقًا هنالك أمر غريب فيه؛ كيف علم أن أكثر الطرق للسيطرة عليها لا بالحديث ولا بالإقناع، فقط أن تنظر لعينيها بصدق، إن كُنت صادقًا خنعت لما تُريد؛ هي تملك القدرة على كشف الصدق والكذب في الأعيُن؛ جلست على كُرسيها، فيما اتجه إلى شنطته، أخرج منها دفترًا كبيرًا وقلمًا وأعطاهما إياها وأردف:

– فلنأمل بأن نجد ما يكفي من أوراق لتدوين ما سوف يُسرد.

أمسكت بالقلم وفتحت أولى صفحات الدفتر، نظرت له وسألته:

– ما العنوان الذي تُريد أن أكتبه؟

ابتسم وأجابها:

– ذلك قرارك لنتركه للنهاية؛ في بادئ الأمر دعيني أسرد عليك قصة صغيرة؛ لها علاقة بكُل ما سوف يتم تدوينه ولا تنتمي لهُ ألبتة.

تركت القلم ونظرت له والشغف والشبق يقتُلها؛ لم يرغب في أن يُطل عليها الرغبة في الاستماع؛ أشعل سيجارة وبدأ حديثه سائلًا:

– هل سمعتِ عن قصة البنك واللصوص؟

بدت ملامحها في تعجب من سؤاله، وهي لم تسمع بالأمر ألبتة، لم تُجب فقط اكتفت بهز رأسها نفيًا؛ أومأ برأسه إيجابًا، سحب نفسًا عميقًا من سيجارته كأنما عاشق التقى معشوقته بعد طول غياب، زفره لأعلى وهو يُتابع سُحب الدخان بعينيه حتى تبددت في الهواء وأسهب في حديثه:

– هي قصة مشهورة قرأتُها مُنذُ عدة أعوام ولم أفهمها إلا الآن؛ تروي القصة أنهُ خلال إحدى عمليات سرقة أحد البنوك في إحدى الولايات الأمريكية، صرخ لص البنك موجهًا كلامه إلى الأشخاص الموجودين داخل البنك؛ قائلًا: ((لا تتحركوا فالمال ملك للدولة؛ أما حياتكم فهي ملك لكم))؛ استلقى الجميع على الأرض بكل هدوء، هذا ما يُدعى ((مفهوم تغيير التفكير))، تغيير الطريقة التقليدية في التفكير؛ عندما

كوما

عاد اللصوص إلى مقرهم.. قال اللص الأصغر عمرًا وهو الذي يحمل شهادة جامعية في إدارة الأعمال، لزعيم اللصوص وكان أكبرهم سنًّا، ولم يكُن قد حظي بفرصة التعليم أكثر من التعليم الابتدائي:

– يا زعيم دعنا نُحصِ كم من الأموال سرقنا.

قام الزعيم بنهره وقال له:

– أنت غبي جدًّا، هذه كمية كبيرة من الأموال، وستأخذ منا وقتًا طويلًا لعدها.. الليلة سوف نعرف من نشرات الأخبار كم سرقنا من الأموال!

هذا ما يُدعى ((الخبرة))، في تلك الأيام الخبرة أكثر أهمية من المؤهلات الورقية!

بعد أن غادر اللصوص البنك، قال مدير البنك لمدير الفرع، اتصل بالشرطة بسرعة.

ولكن مدير الفرع قال له:

– انتظر دعنا نأخذ 10 ملايين دولار ونحتفظ بها لأنفسنا، ونضيفها إلى ال 70 مليون دولار التي قمنا باختلاسها سابقًا.

هذا ما يُدعى ((السباحة مع التيار))، كيف تحول وضعًا غير مُواتٍ لصالحك؛ قال مدير الفرع:

– سيكون الأمر رائعًا، إذا كان هناك سرقة كل شهر.

هذا ما يُدعى ((قتل الملل))، السعادة الشخصية أكثر أهمية من وظيفتك ومبادئك وأي شيء في الوجود؛ في اليوم التالي ذكرت وكالات الأخبار أن 100 مليون دولار تمت سرقتها من البنك؛ قام اللصوص بعد النقود المرة تلو المرة ، وفي كل مرة كان يخرج مجمل العد أن المبلغ هو 20 مليون دولار فقط؛ غضب اللصوص كثيرًا وقالوا نحن خاطرنا بحياتنا من أجل 20 مليون دولار ومدير البنك حصل على 80 مليون دولار؛ من دون أن تتسخ ملابسه؛ يبدو أنه من الأفضل أن تكون متعلمًا، بدلًا من أن تكون لصًا؛ هذا ما يُدعى ((المعرفة تساوي قيمتها ذهبًا))؛ كان مدير البنك يبتسم سعيدًا لأن خسائره في سوق الأسهم تمت تغطيتها بهذه السرقة، وهذا ما يُدعى ((اقتناص الفرصة))، الجرأة على القيام بالمخاطرة؛ فاللصوص الحقيقيون هم غالبًا ذوو المناصب والمديرون الماليون وغيرهم كثير، لكنهم لصوص مُتعلمون، فهذا واقع يفهمه من به عقل.

نظرت له نظرة طويلة وهو يتكئ بمؤخرته على فراشه ولم تتفهم ما يرمي إليه، سألت والدهشة تملؤها:

- كُل ما فهمته من القصة أن مجموعة من اللصوص قاموا بسرقة، ومن استفاد منها لصوص أكبر؛ ما علاقة تلك القصة بما سوف يُدون؟!

أشار لها بسبابته وأردف:

- ذلك ما سوف أتركه لتقييمك بعد مرور الثلاثة أيام، ستعرفين من هو اللص الأصغر والزعيم، ومن هو مدير الفرع، ومن يكُون مدير البنك؛ إلا أن الاختلاف هو أنهُ في تلك القصة لم يكون لدى اللصوص الصغار

الفرصة ولا الحيلة للقصاص من اللصوص الأكبر؛ أما قصتنا فسوف تُملكك من تلك الأداة الجبارة التي سيركع لها كُل من سوف يُذكر اسمه فيها؛ إنه المال.

أصابتها كلماته بالنشوة والإثارة؛ أمسكت القلم وتأهبت للكتابة؛ نظرت له وقد ألهب الحماسة فيها وأردفت:

- إذًا فلنبدأ فورًا ثلاثة أيام قد تكفيك ولكنها بالتأكيد لن تكفيني.

***

3

بدا رغم كُل هذا المجهود في محاولات مُضنية لفتح عينيه، أكثر نشاطًا وقوة اليوم من ذي قبل، حرك رأسه يمسح غرفته مسحًا دقيقًا بطيئًا، أتبعه مسح أكثر دقة لجسده حتى وصل لذراعيه رفعهم ليكتشف اختراقهم بشرايين صناعية تُمده بمحاليل طبية لم يعلم كنهها، إلا أنه لم يفكر إلا في قطع تلك الشرايين الصناعية، لم يتراجع بيده إلا على صوت فتح باب الغرفة، دلف إلى الداخل وعلى وجهه ابتسامة عريضة كأنما حبيب عاد إلى حبيبه، اقترب منه وبنبرة ملؤها الدفء أردف:

– لا أظنك تعلم أو تتخيل كم أنا سعيد بتحسن حالتك إلى تلك الدرجة التي أراها.

بدت علامات الدهشة جلية عليه وهو يتفحص محدثه، بدا له طبيبًا من ردائه الأبيض، وبدا له كبيرًا في العمر والكفاءة من هيبته التي تحل معه، أجابه بنبرة واهنة ضعيفة:

- أين أنا؟ ومن أنت؟ وما أتى بي إلى هُنا وإلى هذا الفراش؟ ولم تخترق يدي تلك الأجهزة الطبية؟ ولم أشعُر بالعجز والوهن إلى تلك الدرجة؟ ولم هذا الألم الرهيب برأسي وكأنه طرق ألف مدفع؟

أومأ برأسه رفضًا، اتجه إلى كُرسي قام بحمله ووضعه لجوار الفراش، جلس موجهًا نظره وحديثه إليه، بنبرة هادئة واثقة بدت منها كُل الأسئلة الموجهة له ضعيفة، أجابه:

- لك أن تعلم أن تلك الأسئلة كُلها لم تُصيبني بالدهشة، لقد تعديت معك تلك المرحلة مُنذُ زمنًا؛ إلا أني لا أُنكر أني لم أكُن أتوقع أن تتضرر ذاكرتك؛ أنا علي عبد الرحمن صديق قديم لك، وأنا جراح مُتخصص في جراحات القلب، أنت هُنا لأنك خضعت لجراحة دقيقة بالقلب، وهذا يكفيك الآن حتى لا تُرهق عقلك وبدنك بالتفكير؛ أما أمر ذاكرتك هذا فهو لن يدوم سوف تتحسن بشكل يومي، سوف أُضيف إلى أدويتك ما سوف يُساعدك على تنشيط ذاكرتك، قبل أن تسأل هذا قد يحدث نتيجة طول الجراحة وكميات المخدر التي خضعت لها في الجراحة وأيضًا صعوبة الجراحة؛ أنا لم أقل لك إنك هنا لجراحة زائدة دودية؛ الآن سوف أنصرف وأدعك بمفردك لترتاح.

هم بالانصراف ليقاطعه صوت واهن:

- أُريدك أن تُزيل عني تلك الثعابين التي تتصل بجسدي، أُريد أن أتحرك ولو بغرفتي.

ابتسم بقوة وبنبرة قوية أجابه:

- بالتأكيد، يبدو أن ذاكرتك بدأت بالانتعاش؛ نعم فأنت هذا الشاب الذي يرفض الأطباء ولا يقبل بالفراش الطبي تحت أي ظرفًا؛ بالأساس جئت بك إلى هُنا بالمكيدة، حمدًا لله على سلامتك، سوف أُرسل لك من يُزيل لك الثعابين.

أنهى حديثه ببسمة وانصرف، فيما شعر هو بغرفته بالسعادة، لم يعلم أهي من كلمات طبيبة، أم من تلك الطاقة الإيجابية التي يُحدثها، وهي لا تنتُج إلا من شخص حقًا يُحبك بكُل جوارحه؛ أم لأنه اطمأن أن أحدًا هنا يعرف شخصيته، بل هو صديقه أيضًا؛ كُلها أفكار راودته لم يقطعها إلا دخول أحد الأطباء،بدا له لا يقل في هيبته وشيب رأسه عن زائره السابق، لكنه بدا مختلفًا عنه في مقدار معرفته به، بدا له أكثر صلابة يتحاشى النظر له، فقط يقرأ التقرير لجواره بدقة، كما بدا من خلفه طيفًا لأنثى تسترق النظر له، لم يفهم من هيئتها إلا أنها إما ممرضة أو طبيبة من زيها، إلا أن نظراتها التي تسترقها له من خلف الطبيب لم يستطع فهمها قط، أتعرفه هي أيضًا، أم أن حالها مثل حال الطبيب الذي معها، ولكنها بطبيعة الأنثى تسترق نظرات الشفقة له؛ لم يستطع الصمت أكثر بادر بالسؤال للطبيب:

- حضرتك تعرفني؟

أجابه وهو يقرأ التقرير دون أن يلتفت له بنبرة بدت ميتة مقتضبة:

- بالتأكيد.

شعر بأن هذا الطبيب إن كان يعرفه حقًا، فبالتأكيد كان يكرهه بشدة؛ لن يتجاهلك شخص بتلك الطريقة وأنت في أمس الحاجة إليه، إلا شخص يكرهك أو يحقد عليك ويتمنى موتك، انتهى الطبيب من مطالعة التقرير، أغلقه واتجه لباب الغرفة مغادرًا، استدار قبل الخروج بخطوة وبذات النبرة الميتة أردف موجها حديثه ونظره له:

- أعتقد أننا سوف تكون لنا جلسة مطولة قريبًا.

أنهى جملته دون أن يأتيه رد، وانخفض برأسه وصوته موجهًا حديثه للطيف الأنثوي هامسًا وغادر الغرفة مسرعًا، اقتربت من فراشه وبدأ يُحدد ملامحها، هي فتاة جميلة لكن لها نظرات لم يفهمها، أخذت تفكك أوردته الصناعية وتزيلها عن جسده، وبين الفينة والأخرى تسترق النظر له، حتى انتهت أردفت قائلة:

- أنا سوف أتولى إعطاءك الأدوية في أوقاتها المُحددة، ولكن بعد أن نُعيدك إلى غرفتك.

وضعت التقرير في ملف معها وأضافت سائلة:

- هل أحضر لك كُرسيًا مدولبًا لنقلك لغرفتك، أم أنك تستطيع الحركة؟

رغم ضعفه ووهنه أجابها بقوة:

- قطعًا لن أجلس على كُرسيًا مدولبًا، سوف أذهب لغرفتي سيرًا على قدمي.

أنهى جُملته وهو يندفع للنهوض، إلا أن أعصابه خانته وخانه التوفيق في انتقاء كلماته، ما إن لامست قدماه الأرض وهو يعتمد على ذراعيه تدفعانه للنهوض من الفراش حتى ارتخت أعصابه فجأة وهوى بمؤخرته على فراشه مع ألم رهيب في صدره لم يكُن أكثر من ألم كرامته أمام تلك الفتاة التي لم تمنعه من إحراج نفسه؛ ما إن سقط على فراشه حتى بسطت يدها تُساعده في صمت، حتى أنها كانت تتحاشى النظر لعينيه فقط كانت تنظر لطريقهما، ما إن تحرك يتكئ عليها حتى شعر بقليل من النشاط والقوة، لم يكُن طريقهما طويلًا، بضعة مترات ووصلا للمصعد، دلفا فيه وأخذ دورته للصعود، طابقين لا أكثر وتوقف، خرجا منه وتحركا ببطء إلى يساره بضعة مترات وظهر باب غرفة توقفا أمامها، تركت يده واستدارت تواجهه وهي تُشير بإبهامها للخلف وأردفت:

- تلك هي غرفتك، سمعت أنك لا تتذكر شيئًا؛ ألا تتذكر تلك الغرفة؟

دقق النظر للرقم المدون عليها وكان ((666))؛ رغم أن الرقم بدا لهُ مألوفًا إلا أنهُ لم يتذكر شيئًا، نظر لها واكتفى بإيماءة نفي من رأسه، تفهمت الأمر وأجابته:

- ذلك الأمر طبيعي وأتوقع ألا يطُل معك في أغلب الحالات التي رأيتها لا يحتاج الأمر أكثر من شهر واحد وكانت تتعافى الحالة.

عادت تُمسك بذراعه وتقدمت به للداخل أوصلته للفراش أجلسته وأردفت:

– الآن سوف أمضي إلى عملي وسوف أعود لك بعد ساعة واحدة، لإعطائك الدواء.

قاطع مغادرتها للغرفة بسؤال:

– من هذا الطبيب الذي أتيتِ معه لغرفتي؛ أهو يكرهني؟

استدارت وبدت ملامحها تملئها الدهشة من السؤال وأجابته بنبرة قوية:

– تأكد أن الدكتور حسام يكرهك، إلا أني شخصيًّا لم أحبه يومًا هو شخص قاسٍ إلى أبعد حد يُمكنك تخيُله؛ لا أظن أنهُ يُحب ذاته حتى!!

دقق النظر لعينيها سائلًا:

– هل تعرفينني؟

شردت من سؤاله وأجابته بعد صمت لم يكُن طويل:

– ليس كثيرًا.

التقم إجابتها مُلحًّا في سؤاله:

– أخبريني فقد يكون القليل لك، كثيرًا لي.

ترددت وأجابته بعد إلحاح:

- إذًا فليكُن ولكن ليس الآن، عندما أعود لك لإعطائك أدويتك أخبرك بكل ما أعرفه عنك، أما الآن فيجب أن أعود لعملي، الدكتور حسام كما أخبرتك شخص قاس، ولن يتهاون معي خصوصًا في حالتك.

رحلت ولم ترحل معها أخر كلماتها من أُذنه وعقله، كأنما تملكته تلك الكلمات بقوة، لن يتهاون معي "خصوصًا في حالتك"؛ أكدت بكلماتها ما شعر به، بالتأكيد هذا الرجل يكرهه وهنالك دافع لهذا الكره لا يتذكره، ما الذي قد يدفع هذا الطبيب لكرهه، وما الذي قد يكون فعله دفعه ليكرهه بتلك الطريقة، لم يتذكر أو يفهم شيئًا؛ تعلقت آماله بأن تُخبره تلك الفتاة بالسبب، نهض بضعف من فراشه وأخذ يتجول بالغرفة حتى وصل إلى الشرفة المطلة على الحديقة، استل كرسيًّا صغيرًا وجلس يتنشق الهواء الطلق، ويتابع الأشجار والزهور التي تزين الحديقة أسفل غرفته، أيُمكن أن يكون خلف هذا السجن تلك الجنة البديعة، رغم كُل هذا الدفء بتلك الغرفة والحنين وشعوره بالراحة فيها، يُجاهد في أن يتذكر أي شيء، وتُعجزه قدراته؛ انتزعه من هذا العذاب العقلي الشرود في تلك الجنة المبسوطة تحت قدميه، سلبت روحه تلك النسائم العطرة برائحة الورود التي تُهب على روحه بين الفينة والأخرى، سحرت عيناه تلك الخضرة المُبهجة أمامه؛ حتى الزمن سُلب منه في لحظة، لم يسلبه تلك اللحظات إلا صوت تلك الفتاة من خلفه بقولها:

- يبدو أنك بدأت تستعيد ذاكرتك فعلًا.

نهض ببطء من جلسته واستدار يواجهها خلفه دون أن يفقد موقعه بالشرفة وأجابها:

– أنتِ والدكتور على ترددان نفس الكلِمات، إلا أني لا أتذكر شيئًا البتة؛ يبدو أنكم تتحدثون عن شخص لا أعرفه.

– لكنك ذات الشخص في اهتماماته وحركاته وحتى طباعه كما أعرفك، دومًا كنت تميل للهدوء والجلوس في تلك الشرفة والشرود كأنك ترحل لعالم آخر، إن كنت لا تتذكر فتأكد أنه قريبًا سوف تتذكر كل شيء.

لم يقتنع بحديثها قط، أشار لها بأن تتوقف عن الحديث، صرخت قائلة:

– أرأيت؟ هي ذات إشارتك حينما لا يُعجبك أمر.

نظر لها بقوة وتحرك إلى داخل الغرفة مُتجهًا للمقعدين المتجاوران في زاوية الغرفة وجلس على أحدها، وجه نظره لها وكذلك سؤاله يخترقها:

– يبدو أنك كُنتِ تعرفينني جيدًا؟!

– أخبرتك قبلًا ليس بالقدر الذي تتوقعه.

– أنتِ لا تعلمين حجم توقعي، أخبريني بما تعرفيه عني.

جلست على المقعد المجاور له وبدأت حديثها بسؤال:

– ألا تتذكر زينة؟

– من زينة؟!

- يبدو أنك فعلًا في حاجة لمعرفة نفسك؛ بدأت معرفتي بك بشكل غير مُباشر لحظة دخول المستشفى هنا، مُنذُ أكثر من شهر تقريبًا، لم أكُن ممرضتك بل كانت ((زينة))، لم تفارقك طيلة الثلاثة أيام قبل إجراء الجراحة، وقبل دخولك لغرفة العمليات كُنت قد أرسلتها إلى لندن لتُجري جراحتين على نفقتك لوالدها وأمها؛ ما أعلمه أنك أحببتها وفي ظني هي أيضًا أحبتك، كانت تسرد عنك قصص تجعل منك ملاكًا أرسله لها الله ينقذها من آلامها، بل تمادى الأمر لسردها أنك حقًا ملاك ليس معها فقط ولكن مع الجميع؛ وفي آخر لقاء بيني وبينها أسرتني أنها لن تغفر لكُل من ظلمك، رغم أنك حققت لها أحلام أعوامًا في أيام لتجعلها أسعد فتاة في الكون، إلا أنها كانت ترحل بناءً على إصرارك قبل دخولك غرفة العمليات؛ أتعس فتاة رأيتها في حياتي وكأن روحها أسرت معك هنا وانتزعت من جسدها بالبُعد؛ هذا هو ما أعرفه عنك...

صعقه حديثها بدت دهشته وصدمته جلية من صمته الرهيب، عاد بظهره للخلف وهو يُتمتم بصوتٍ مسموع:

- أحببتها وأحبتني في ثلاثة أيام؟!!، ومن الذين لن تصفح عنهم وقاموا بظلمي؟! من أنا؟

التفت لها سائلًا:

- من أنا؟

- أنت فارس فؤاد، وأنت ثري أكثر مما تتخيل الآن.

تعجب بقوة:

- إذًا لَمَ إنا في هذا المستشفى رغم ثرائي؟!، لَمَ لَمْ أذهب إلى أكبر دول العالم لإجراء الجراحة؟!

- أنت هُنا لأنك من شيدً ذلك المستشفى مع مالكه دكتور على، كما إنك تتولى ماليًا كُل الحالات التي تعجز عن تسديد كُلفة علاجها هنا، كما إنك تُعد ابنًا للدكتور علي ودكتور حسام.

أشاح بيديه رفضًا وأردف:

- أتفهم أن أُعد ابنًا للدكتور علي وهو مالك المستشفى، رأيت الحب في عينيه تجاهي؛ أما هذا الحسام فكيف وأنا أرى الكره في عينيه تجاهي وكأني أجرمت في حقه.

ضحكت بخُبث وأجابته:

- أنت حقًا أجرمت بحقه.

- كيف؟!

- لقد خطفت منه معشوقته زينة؛ كُل من هنا كان يعلم أنهُ يعشقها عشقًا لا حدود له، وأنت اختطفتها منه في ثلاثة أيام.

- وهي أكانت تُحبه؟!!

- بالقطع لا، هي لم تكُن ترى فيه سوى رئيسها وطبيب كبير؛ إلا أنهُ كان يرى غير ذلك فيها؛ أنت لا تعلم ما جرى في غرفة الجراحة، لقد

توقف قلبك أكثر من أربعين دقيقة وظن الجميع أنك توفيت، أنا بنفسي رأيت نظرات الفرح في عيني دكتور حسام بالغرفة لحظة توقف قلبك؛ أما دكتور علي أصابه مس جنوني وتلبسه جنٌّ، ظل طوال تلك الفترة يدلك قلبك ويصعقك كهربيًا ووضعك على تنفس صناعي بالقوة، ورغم صرخات دكتور حسام لإثنائه عن محاولات إعادتك للحياة، لم يتوقف لحظة، رغم محاولات دكتور حسام لدفعه للتوقف بالتهديد تارة وبالسباب تارة وحتى كاد أن يصل الأمر لتطاول باليد؛ ولكن قبل أن يصل الأمر لهذا الحد عُدت فجأة وخفق قلبك؛ إن الله أراد لك البقاء وأعطاك عمرًا جديدًا، كما أراد أن ينصر دكتور على، إن حالتك الآن تُشغل العالم بالكامل، أنت لا تتخيل حجم الصحفيين ومراسلي القنوات اللاهثين خلفك الآن، وخلف دكتور على أيضًا؛ حتى أن وفدًا من أكبر أطباء أوروبا وأمريكا قادمون لرؤية حالتك؛ أما عني فأرى أنك تمتلك قوة خارقة لتعود من الموت بهذا الشكل!

***

4

سرطان القلب

انتزعه من النوم تلك الجلبة الكبيرة في صالة منزلهم وصرخات أمه، انتفض من فراشه وهو يهرع إلى الصالة الصغيرة، صعقته المفاجأة للوهلة الأولى؛ مجموعة من أهالي المنطقة يحملون جثة أبيه، تعددت الروايات وكُلها صادقة، كان والده الحاج فؤاد عبد الله، هو أحد أكثر الرجال عطرًا في سيرته، مثله كمثل كُل أهالي حي بولاق؛ ما يزال من يحيا هنا يحيا على تقاليد وعادات المصريين، مُعايدة المريض حتى يشفى، الأب هنا أب كُل يتم حتى يشتد عضده، والأخ أيضًا أخ وصديق من وجد نفسه في الدنيا وحيدًا، سند كُل فتاة من أهل حيه؛ هذا هو الحي الذي نشأ فيه هذا الشاب، ما إن وطئت قدماه أبواب كُلية الهندسة مُحققًا أحلامه وأحلام أبيه ووالدته، حتى انتزع الموت منهُ أباه في بداية دراسته، وحتى يكُون أحد هؤلاء الوحيدين حقًا، ما إن انتهت امتحانات عامه الأول بالكلية حتى لحقت بهِ أمه، لم يستفيق من الصدمة الأولى حتى لحقت به الثانية، ولم تكُن

الأخيرة له، ما كانت الصدمتان إلا إعلانًا بانتهاء حياته القديمة، وميلاد حياة أخرى جديدة، عليه أن يعتادها ويُكافح بكُل طاقته فيها حتى يجد لذاته موطأ قدم فيها، بدت تلك الليلة وكأنها لن تنتهي، رحل أبوه وتلته أمه؛ ولم يتبقَّ إلا هو وشقيقه الأكبر ((أحمد))؛ انتهى العزاء وصعد إلى صالة شقتهم المكونة من ثلاث غرف، إحداهم له والأخرى لأخيه، والأخيرة كانت لأبيه وأمه، وتلك الصالة الصغيرة المكتظة بالأثاث.. صالون عتيق، ودولاب قديم يحمل تليفزيونًا باليًا، وحمام بارد، والغريب في تلك الشقة الصغيرة مطبخها، كان واسعًا بحيث كان يحمل كُل أدوات الطبخ وأجهزته وطاولة طعام لستة أفراد بكُل أريحية، وكان أبيه حينما شيد هذا المنزل، اقتصد في مساحة كُل شيء ليُعطيها لهذا المطبخ؛ وحينما سأله قديمًا عن سبب اتساع المطبخ بخلاف باقي الغرف؛ أجابه أنه حينما شيد المنزل ما شيده إلا من أجل أمه، وكان يعلم أن المرأة تقضي أغلب أوقاتها بالمطبخ؛ لذلك أراد أن يُهون عليها الأمر ويسعدها فيه؛ همس في ذلك التوقيت هذا الشاب قائلًا "وتُشقينا نحن"؛ رحل الجميع ولم تبق سوى الذكريات؛ كان يظن أن أمه هي أخر الراحلين ولم يستفق إلا بعد انصراف أخيه وهو آخر الراحلين، إلا أنه لم يرحل بالموت، إنما رحل وهو حيٌ بالجسد ميتًا بالروح، رحل وهو ساطٍ على آخر أمال أخيه الذي يصغره بأكثر من عشر سنوات، كان يعتقد بعد رحيل والديه، أن هذا الأخ سوف يعوضه عن من رحل حبًا وحنانًا وأمانًا؛ ولكنه استفاق من أحلام وأوهام الضعفاء على كابوس الحقيقة الموجعة، إن لم تنتزع من الحياة ما تُريد فلا تبكي على ضياعه وإن لم تمتد يدك بقوة تنتزع رغباتك منها، تأكد أنها لن

تُعطيك إياها على طبقًا من فضة، أخوه الأكبر قد أخبره أنه سوف يترك له منزلهم، على ألا يُطالب الأخ الأصغر بأي إرث في تجارة أبيهم للمواد الغذائية، وبعد مرافعة طويلة عظم فيها دوره على أخيه الأصغر بأنه وحده من كد وأُرهق في بناء تلك التجارة وأنه اكتفى بتعليم متوسط حتى يُساعد أباهما؛ وأن له زوجة هي أحق بكده وعرقه منه، حقًا هو أخ بارّ!، لم يرحل إلا وقد نصح أخيه الأصغر بأن يبحث عن عملًا، ليتثنى له أن يُنفق على معيشته وتعليمه؛ أغلق الباب عليه ليبقى وحيدًا، آلاف الأفكار والهواجس وألف وجع ووجع، لم يعُد يعلم على ماذا تهبط دموعه العصية، على أب رحل ومعه الأمان، أم يبكي أمًا رحلت ومعها الحنان، أم أخًا رحل ورحل معه الوفاء؛ درس قاسٍ لم يكُن قد تجهز له ابن التاسعة عشر عامًا. إلا قليلًا، لم تذُق عيناه النوم تلك الليلة، لا أقرباء يلجأ إليهم، لا حرفة يمتهنها تُغنيه عن السؤال، حتى السرقة وتجارة المخدرات وخلافه، لا يعلم عنها شيئًا إلا من الأفلام، ليل طويل لا يُريد أن ينصرم؛ مع صباح اليوم التالي سمع جرس الباب؛ انتفض ليفتحه كان الطارق هو الحاجة ((أم محمود))، إحدى الجيران والتي تُعد أمًا له بعد رحيل أبيه وأمه، هذا هو الحي الذي ولد فيه تلك هي مصرنا، ما إن تسقط حتى تجد ألف يد تمتد لك تُنهضك، ما إن دلفت إلى الداخل وظلت تُثني على والديه الراحلين، حتى قص عليها ما دار مع أخيه، ازدادت المرأة في نحيبها وهي تندُب، الأخلاق والأخوة والنخوة والشهامة التي ضاعت، ولعنت الزمن والأيام بقدر استطاعتها؛ لملمت شتات حديثها وهي تُمسك بيده قائلة:

– اسمع يا بني لم يعُد لك سوى العمل لتكفي نفسك الحاجة وسؤال الناس؛ من سوف يمُد يده لك اليوم بالعطاء لن يُمدده لك بالغد.

– كيف أعمل؟! وأنا لا أمتهن حرفة ولا مهنة ولا أي شيئًا؟!

هزته بقوة قائلة:

– وأين تعليمك الذي فَنيَ فيه عمر والديك؟!

– ما يزال أمامي أربعة أعوام حتى تنتهي دراستي وأُتم تعليمي الذي تتحدثين عنه.

– وبعد مرور الأربع سنوات ما سوف يكُون عملك؟

– مهندس معماري، أُشيد أبراجًا وأعمل على تجهيزها إنشائيًّا.

– بمعنى مهنة المعمار؛ أليس كذلك؟

– تقريبًا.

دقت على يده بقوة وكأنها ثارت له ولنفسها وأردفت:

– إذًا وجدت لك عملًا اطمئن.

– وما هو؟

– سوف تعمل مع ((محمود)) ابني، أنت تعلم أنهُ يعمل في المعمار مُنذُ أكثر من خمسة عشر عامًا، وبعد وفاة أبيه هو من يعولني ويعول أخواته البنات الثلاث، وأخاه الأصغر أحمد وهو مثلك يدرس في الجامعة بكُلية التجارة؛ اليوم أخبره أن يصطحبك معه للعمل من الغد.

كوما

تهللت أساريره.. التقم حديثها بتقبيل يديها وهو يصرخ فيها:

- أطال الله عُمرك يا أمي، طوال الليل وأنا أفكر كيف سأعول نفسي وتكاليف تعليمي.

ضمته إلى صدرها بحنان الأم الصادق وأجابته وهو في صدرها قائلة:

- يعلم الله أنك مثل أبنائي وطالما كان أبيك أخًا لي، وطالما شاطرنا أحزاننا وأفراحنا، وكانت والدتك أختًا وبمثابة أم لأبنائي؛ يعلم الله لو أن إحدى بناتي في عُمرك لزوجتها لك، إياك والخوف ما دمت حية.

أنهت حديثها وأخرجت من حافظتها، مبلغًا من المال وأعطته إياه، رفضه ولم يقبله إلا حينما قالت:

- هو دين عليك حينما تجمعه من عملك فلترُده.

أنهت حديثها ورحلت بعد أن جددت الأمل في من فقد الأمل مُنذُ ساعات، تلك المرأة العجوز هي أحد تلك القلوب النقية المخلصة، التي ما تزال تحمل الفضل والفضيلة بداخلها، معدنًا نفيسًا قارب على الانقراض، في زمن تحولت فيه الفضيلة إلى جريمة وتحول فيه صاحب الفضل إلى طامع، إما في مالك أو عرضك، أو حتى روحك، يسلبها منك وأنت غافل، لتستيقظ على كابوس العبودية المزري لأصحاب المال والسلطة..

اندفعت إلى داخل الغرفة لتقطع روايته وخلوته بصديقتها، قصيرة القامة فائرة المفاتن، ابنة العشرينيات، مشاغبة كما تحب أن تقول عنها صديقتها دومًا؛ هي تلك المجنونة بعالم الغيبيات والجن، دومًا ما تربط كل

كوما

حدثًا يمر بها أو بأحدهم بعالم الغيبيات والجن، القوي من وجهة نظرها هو من تملك من قواه الروحية، من تحبه فور أن تراه بالتأكيد هو يتمتع بقوة روحية عالية؛ دومًا هنالك تفسير لديها وحلّ لكل مشكلة في حياتها؛ الحل دومًا الروحانيات وعلماؤها وأحيانًا كثيرة قادتها تلك الأفكار لأبواب الدجالين هي وبعض من تُحبهم أيضًا؛ حتى صديقتها زينة تلك لم تنجُ من أفكارها تلك؛ رفعت صوتها فور دخولها الغرفة قائلة:

- ساعتان ونحن نبحث عنك، الدكتور ((حسام)) غاضبًا للغاية، المستشفى مكتظ بالمرضى وجميعهم في حاجة للرعاية، لم ينتهِ الأمر هنا في 666 وحالته.

أنهت حديثها وهي تُشير إليه بسبابتها، انتفضت واقفة وعرقها يتصبب على جبهتها وأردفت في خجل:

- أنا آسفة؛ يتحتم عليّ الذهاب للدكتور وما إن ينتهي عملي حتى أعود إليك فورًا.

لم يُجب لا على هجمة صديقتها، ولا عن اعتذارها، فقط أشار لها بالتوقف عن الحديث وأومأ برأسه تفهما؛ خفضت جبهتها قهرًا وتحركت تجاه الباب وما إن وصلت إليه حتى سمعت صوتًا قويًا:

- أيٌّ منكم يُخبر الدكتور على أنهُ من تلك اللحظة سوف تكون ((زينة)) هي الممرضة الخاصة بفارس فؤاد حتى يُجري جراحته.

استدارت كلتاهما بأعين تملكتها الدهشة من القوة التي يتحدث بها هذا الشاب وهو يحتضر، يتحدث وكأنهُ مالك المستشفى؛حتى أنه لم يلتفت لهم وهم خلفه؛ أخرج سيجارة وأشعلها واتجه إلى شرفة الغرفة، رحلت الفتاتان ولم ترحل دهشتهما؛ ما إن أغلقا باب الغرفة حتى سألتها في شغف:

– من هذا الشاب؟

أجابتها بغضب وهي تسير وتتحاشى النظر لعينيها:

– لا تتحدثي إليّ أما كفاكِ تصرفك المُهين أمامه.

تعلقت بذراعها، قائلة:

– صدقًا هو وسيم للغاية ويبدو رجلًا حقًّا؛ والأهم يبدو عليه الثراء.

أومأت برأسها رفضًا وهربت ابتسامة على وجنتيها رغمًا عنها، توقفت ونظرت لها قائلة:

– كيف تُفكرين؟ مريض مثله كمثل عشرات المرضى نلتقي بهم كُل يومًا، كُل الأمر أنهُ طلب مني مُساعدته في تدوين شيء يخصه؛ وفي النهاية إقامته هنا ثلاثة أيام ويرحل بلا عودة.

دققت النظر في عينيها وسألتها:

– ألست أختك الصغيرة وصديقتك الوحيدة كما تقولين؟

– بالتأكيد.

- هنالك أمر غريب أشعر به، خجلك واعتذارك له؛ هنالك شيء غريب بكِ تجاهه، لم أرَ السعادة في عينيكِ مُنذُ عرفتك مثلما رأيتها في عينيك وأنتِ بمه؛ ما الغريب في هذا الشاب؟

أومأت برأسها نفيًا وأردفت:

- لا أعلم، مرت عليّ العديد من الحالات وكان فيها أصعب من حالته، يعجز عقلي عن تفسير كيف لشخصين التقيا مُنذُ ساعتين فقط ويأتمن أحدهم الثاني على جميع أسراره؟! والأصعب في تفسيره هو كيف لي أن أوافقه على ذلك؟! صدقًا انتزعني إلى عالمه ولا أُريد لحديثه أن ينتهي؛ كأنه سحر كـــأنما أخذ روحي معه صاعدًا بها إلى السماء، اجتاز بها كُل الحدود وأُريد أن أسير معه وكفى؛ لا أُريد أن أعلم إلى أين يأخُذني ولا أُريد أن أعلم متى نعود، أُريد أن أسير معه وحسب لتشعُر روحي بالأمان الذي فقدتهُ مُنذُ زمن بعيد وشعرت به معه؛ ولو كُنت على يقين أن الأمر لن يدوم أكثر مْن ثلاثة أيام.

فزعت بقوة وصرخت:

- هو يومًا أغبر بالتأكيد؛ توقفت أستمع ثرثرتك والتهيت معكِ عن الدكتور حسام والحالات؛ أسرعي خطواتك نلحق به في مكتب دكتور علي.

أسرعنا في تجاه المكتب المنمق الفاخر، وهو مكتب مدير المستشفى، وما إن دلفنا إلى داخله، حتى بيد لهم أنهما قطعا نقاشًا مهمًا بين الطبيبين

كوما

الكبار، الدكتور ((علي)) وهو مالك المستشفى وأحد أهم جراحي القلب في مصر، وهو أيضًا أب لكُل من يعمل معه في المستشفى، جراح قلوب حقيقي بداخل غرفة العمليات وخارجها، وكذلك الدكتور حسام وهو نائبه وهو أحد أكبر جراحي الأورام، وإن كان الدكتور علي هو المالك فالدكتور حسام شيد معه كُل حجر فيها، ولا يختلف عنه شيئًا إلا في غضبه وحسمه الدائم، تشعر أنهُ مُتشدد للغاية في كثيرًا من المواقف، دومًا دقيق وكأن دقة مشرط الجراحة أصبحت حقيقته، يغضب لأقل خطأ، ولكن سرعان ما يعالج الأمر ببسمة على وجهه الدائري الأبيض الممتلئ دون أن يعتذر قط؛ ما إن دلفت الفتاتان إلى داخل الغرفة حتى تحدث بغضب قائلًا:

– ما الأمر؟! ممرضة تترك عملها ساعتين كاملتين؟! أتلك ملائكة الرحمة أم شياطين العذاب؟

قاطع غضبته بقوله:

– اهدأ يا حسام، أنت تعلم أن زينة من أكفأ الممرضات التي تعمل معنا، وبالتأكيد لديها سبب مُقنع.

نظر له وهو جالس على كرسيه أمام مكتبه وأجابه بثقة:

– كلامك صحيح وأنا على علم أنها أكفأ معاونة هنا، لذلك أقومها فما يمكن أن يفعله غيرها من تهاون.. غير مقبول منها.

– إذًا فلندخل في صُلب الموضوع.

نظر للفتاتين وعرقهما يتصبب منهم وأردف سائلًا:

- ما أخبار حالة ((666))؟

سارعت بالحديث قائلة:

- زينة لم تتركه خلال الساعتين المُنصرمتين وطلب منا أن نُخبرك أنهُ يُريد أن تكون زينة هي ممرضته خلال إقامته هنا.

رمقتها بنظرة غاضبة كادت تحرقها، تلك المشاغبة لم ولن تهدأ وتحفظ سرًّا أبدًا، هذا ما قالته في نفسها؛ إلا أن ما شدهها أكثر هو الضحكات القوية الصادرة من دكتور على، حتى استفزها الأمر وقاطعته بسؤالها:

- خيرًا يا دكتور، هل لي أن أسأل عن سبب تلك الضحكات؟!

استجمع قواه بصعوبة وأجابها:

- بالتأكيد لكِ أن تسألي، أضحك لأنني انتصرت على دكتور حسام؛ القصة هي أن فارس حالة 666، هو صاحب شركة المقاولات التي أنشأت المستشفى، وكان هذا مُنذُ سبع سنوات، وهو أقرب صديق لابنتي الوحيدة، يمكنكم القول إنهُ ابني الذي لم أُنجبه، هو شاب في زمن ليس زمانه؛ رجُل في وقت أشباه الرجال هي من تتصدر المشاهد؛ عندما اكتشفت حالته وبعد مجهودًا مُضني أقنعته بالقدوم هنا، وضعت خطة نفسية كي أبقيه.

قاطعته بنفاد صبرًا:

- كلماتك لا أفهمها ولا أفهم المقصود منها، أرجو منك أن توضح أكثر.

- اسمعي كلماتي جيدًا، أنت ممرضة وتعلمين أن التأهيل النفسي أهم من العلاج.. المريض عند لقاءه بأول شخص في رحلة علاج طويلة ينتج أمرين من هذا اللقاء، إما يتقبل الشخص ويستجيب للعلاج بشكل سريع؛ وإما يرفضه تمامًا ويرفض العلاج بأكمله؛ لقد أخبرت حسام أنني اخترتك لتكونين أول شخص يلتقي فارس، ذلك لأني أثق بك وبمهنيتك، وبقيت هنا أنا وحسام ننتظرك أنا أصر على نجاحك في إقناعه بالبقاء وحسام يعترض ويُصر أنهُ سوف يرحل؛ وبمرور ساعتين قرر حسام أنهُ لن ينتظر أكثر ليعرف فأرسل في طلبك؛ هذا هو الأمر وها هي سعاد قد أقرت بنصري على حسام بطلب فارس أن تكوني ممرضته.

شدهها ما سمعت منه، إذًا الأمر حقًا يحتوي على اختبار في نظرها من الله، وفي نظر الطبيبين الكبيرين اختبار نفسي للمريض؛ هنالك جملة أرادت أن تصرخ بها، هي وحدها تُعبر عمًا بداخلها، ولكنها عجزت عن قولها، إلا أنها سمعتها بقوة من فم الدكتور حسام بقوله:

- سبحان الله، لقد بنيت رأيي على دراسات علمية، أما أنت فقد بنيت رأيك على الأمل في الله وعلى حُبك الشديد له، والحقيقة تقال إن العلم مهما يتطور تبقى إرادة الله نافذة، ويبهت أمامها العلم وتتحطم أمامها كُل الدراسات العلمية.. إعجاز الله لا يتوقف.

استدار إليها وأردف:

- أتعلمين مُنذُ متى وأنا أشك في مرضه؟

أومأت برأسها رفضًا، فعاد للحديث:

- سنة، أجاهد بكُل الطرق لإقناعه بزيارتي هنا يومًا واحدًا حتى توصلت أنا وحسام إلى قناعة أنهُ لن تمضي إلى سويعات قليلة ويرحل، أنا أعرفه جيدًا فهو عنيد إلى أبعد حد، لم ولن يقبل أبدًا بنظرة تُشعره بالضعف أو الوهن أو أنهُ مريض، الموت أقرب له من هذا الشعور؛ هو هذا الشخص الذي لن ينحني أمام قطار مُسرع قد يدهسه، حتى لا يقال إنه انحنى هربًا بحياته.

صفق بقوة وقاطعهم بقوله:

- تمام يا دكتور، فلنشرع في عملنا.. اذهبي إلى عملك يا سعاد.. أما أنتِ فلتجلسي يا زينة.

خرجت صديقتها وجلست في مواجهة الدكتور حسام ومن خلف المكتب الدكتور علي؛ وهو الذي بادرها بقوله:

- انتبهي للحديث جيدًا، سوف يشرح لكِ حسام تفاصيل الحالة وطريقة العلاج التي سوف ننتهجها معه.

أومأت برأسها تفهمًا فيما شرع حسام في سرده:

- فارس مُصاب بأحد أندر حالات السرطان في العالم وأشدها فتكًا؛ سرطان القلب؛ لذلك سوف تكون الجراحة مُشتركة بيني وبين دكتور علي ان ما نحتاجه منكِ هو رفع معنوياته إلى جوار أعمالك المهنية، تنظيم

الضغط والسكر، وإن تمكنتِ من إقناعه بالإقلاع عن التدخين أقسم أن أعطيك مكافأة شهرين من مالي الخاص؛ هذا هو دورك المطلوب منكِ تأديته.

هي المرة الأولى التي تشعر فيها بالألم، وكأنها هي المريضة، سؤال بدا غبيًّا إلا أنهُ عنى لها الكثير، فقط سألته لترتاح ولو قليلًا:

- مفهوم يا دكتور، إلا أن تلك هي المرة الأولى لي أقابل فيها حالة مثل تلك الحالة، ما نسب النجاح في تلك الجراحة؟

بدا قلقه جليًّا على قسمات وجهه.. كيف لا وهي تسأل عمَّن وصفه بأنه ابنه الذي لم ينجبه لذلك أجابها هو وتخطى زميله الجالس أمام مكتبه، طرق قليلًا وأجابها بلغة مضطربة:

- بما إنكِ سألتِ فلكِ أن تعلمي أن الورم حميد، ولكن يبقى أن أي ورم جراحته خطيرة، أما حالة الورم في القلب فهي خطيرة ونادرة، نسبة النجاح في جراحتها لا تتعدى 10% هذا هو حديث الطب، أما الحياة والموت فهم بيد الله وحده؛ أنا أذهب لتلك الجراحة وأملي يتعلق بالله لا بالطب؛ إن كُنت أملك هذا المستشفى وأخرجته للوجود بيدي، فهو شُيد حجرًا تلو الآخر على كتفي فارس؛ سوف أخبركِ أمرًا عنه.. ونحن نُشيد المستشفى وفي مراحله الأخيرة، تعثرت ماديًّا بشدة ولم يكُن معي أي نقود.. كُنت قد أخذت قرضًا بضمان أرض المستشفى وأنفقته بالكامل على الأجهزة الطبية.. بدت الدنيا سوداء ولا يوجد فيها إلا سؤال واحد ولا إجابة له، ما العمل إن لم يكتمل بناء المستشفى بالتأكيد سوف أسجن

لعجزي عن تسديد أقساط القرض وتضيع حياتي وتضيع وحيدتي التي ليس لها بالدنيا غيري؛ جلست مع فارس وأطلعته على كُل شيء.. لم يكتفِ باستكمال البناء على نفقته وكفى، تعدى الأمر بكثير قام بتسديد أقساط القرض عني حتى أصبح المستشفى كما يراه الجميع الآن من أكبر مستشفيات مصر؛ ولم يقبل أن يُحصل مني إلا أقساط القرض أما باقي تكاليف الإنشاءات وضع لها شرطًا ولم يأخذها.

– ما هذا الشرط؟ !

– أن تبقى عنابر رقم 1 و 2 تقدم الخدمة للفقراء مجانًا؛ ويُسدد هو التكاليف من ديني له، وعندما سددت الدين رفض أن تتوقف رسالة العنابر وعكف هو بماله على تسديد تكاليفهم حتى اليوم؛ وأنا لم أكن أقل منه ما إن بدأ المستشفى في تحقيق أرباح حتى أنشأت عنبر 3 و4 على شاكلتي 1 و2؛ هو ليس شخصًا واحدًا هو سببًا لحياة الكثيرين؛ الآن تفهمتِ سبب حُزني.

أجابته بأسى وحزنًا:

– فهمت يا دكتور.

– لا لم تفهمين بعد كُل ذلك قد يُعطيك إحساسًا أنهُ شخص خير أو كريم؛ أما القادم هو ما لن يخطر ببالك هذا الشاب هو الصديق الأقرب لوحيدتي، وحتى اليوم يُخفي عنها ما فعله معي والذي لو لم يفعله لضعت وضاعت وحيدتي معي؛ وكذلك أنا أخفي عنها الأمر بناء على طلبه، وهذا

كوما

إن تفسر فلن يكُن التفسير إلا أنهُ إنسان صادق شفاف طاهر فائق النقاء إلى أبعد حد وهنا جف القلم.

تفهمت أنهُ يُريد إنهاء الجلسة، أومأت برأسها استسلامًا لحديثه، غادرت وهي لا تعلم إلى أين تتجه، دومًا ما كانت تتبارى بأنها تستطيع التحرك في تلك الممرات والغرف وهي مغمضة الأعين، لَم تشعر الآن بتلك البرودة والغربة في هذا المكان؟!؛ لَم تشعر بالتيه في مكان تحفظه عن ظهر قلب؛ كُل الممرات والغرف تفضي إلى ألف مكان، إلا المكان الذي تُريد أن تذهب إليه؛ أين اختفت الغرفة 666، زاغت عيناها بين الأبواب المتشابهة، خوف تملكها وكأن روحها تختنق؛ تحركت أسرع وهي تبحث حتى وقعت عيناها على باب الغرفة؛ هرعت تندفع عبره؛ لم تستطع أن تكتُم صرختها؛ تعالت صرخاتها بقوة:

– النجدة يا دكتور علي!

اندفعت جاثية على رُكبتيها أرضًا تضرع رأسه وهو غائب عن وعيه إلى صدرها، وصرخاتها لا تتوقف؛ لحظات وهُرع الدكتور علي وحسام إلى الغرفة بعد أن قام الممرضين بوضعه على فراشه، وهي ما تزال غائبة عن وعيها الوظيفي، ما إن دلف علي إلى الغرفة، حتى صرخ فيهم ليخرج الجميع وأمر إحدى الممرضات بجلب أحد العقاقير، حقنه بها في وريده، لحظات وتدلت العديد من الأسلاك والأوردة الصناعية تنقل له المحاليل الطبية؛ وأصدر الفرمان بألا يدخل أحدًا إلى الغرفة، وألا يبقى معه إلا زينة، وطالبها بأن تُعلمه فور أن يفيق..

5

أمي

تشتت ذهنه وفقد تركيزه تمامًا، نهض من جلسته يقطع حديثها وأردف:

- أرجو منكِ الاكتفاء بما قيل ولو مؤقتًا، لم أعُد أتحمل المزيد.

أومأت برأسها تفهمًا.. انتفضت واقفة دون إجابة على جُملته.. اتجهت إلى خزانة الملابس بالغرفة، أحضرت منها هاتفًا محمولًا، بسطت راحة يدها تُسلمه له قائلة:

- هذا هو هاتفك المحمول أعتقد أنهُ بحاجة إلى الشحن، أما عن طلبك التوقف، فأنا أفهمه جدًّا وأقدره؛ لكنك يجب أن تعلم أني لا أملك بالأساس عنك أكثر مما قولته لك، الآن سوف أنصرف إلى عملي وسوف آتي إليك في ميعاد الدواء.

بسط يده يحصل منها على ما هو ملكًا له في صمت، رحلت ولم ترحل معها ما أثارته في رأسه من استجوابات لذاته؛ ظل على وقفته ينظر إلى

الهاتف في يده، قرر أن يفتحه ولكن أين جهاز الشحن، نظر للخزانة وهو مُتيقنًا أنهُ بداخلها، اتجه لها فاتحًا ولم يبحث كثيرًا كان جهاز الشحن على رفٍّ أمامه مُباشرة، ولم يكُن بالخزانة إلا حقيبة سفر كبيرة تقف بأسفلها، حمل الجهاز وأوصله بالهاتف والكهرباء لجوار المقعدين على طاولة صغيرة، وقعت عينيه على جهاز التحكم بالتليفزيون عليها، حمله وهو لا يفصله عن تلك الشاشة أكثر من متر، ضغط على زر التشغيل، أضاءت الشاشة ولم تظهر لصورها أية معالم، تشويش بلا نهاية، فيما يبدو أنها مُصابة بمرض عطلها عن العمل، أتمنى ألا تفقد ذاكرتها مثلي؛ هذا ما قاله في سريرته لذاته، أغلقها مُجددًا، وأتجه إلى نافذته على الجنة، هي ليست جنة الخلد إلا أنها أقل ما توصف به أنها جنة على الأرض، مرت الدقائق تلو الأخرى، تسرب شعور بالملل غازيًا لعقله الخاوي من المعلومات، تحسس خطواته متثاقلة يجاهد ألا يخطوها تجاه هاتفه المحمول، هذا الجهاز الملعون يحمل بداخله ما سوف يقتلني بالتأكيد، تلك الجملة هي ما دارت برأسه، وصلت أنامله إليه وقام يرفعه مقربًا لوجهه، وضغط على تشغيله، تلك النغمة الباردة التي تصدر مُعلنة تشغيل الجهاز، وتينك اللحظات حتى يفتح كانت أكثر مللًا من كُل ما عهده في هذا اليوم، اتجه فور أن فتح الجهاز إلى الأستوديو ووجد أحد المجلدات كُتب عليه بالإنجليزية ((أصدقاء))، كان أول استنتاج له من قراءة الكلمة أنهُ بالتأكيد على درجة علمية جيدة، تسمح له باستخدام لغة أجنبية مثل الإنجليزية، والأهم أنهُ لم يفقد ذاكرته العميقة، الدراسية واللغوية والعملية، إذًا كلمات الأطباء حقيقية وما هو به عارض سوف يجتازه سريعًا، فتح المجلد وظهرت صور عدة، ضغط على

عرض للشرائح، ظهرت أخر الصور لفتاة بدت تتراقص فرحًا، لم يفهم لما ما إن وقعت عيناه على صورتها، حتى خارت قواه وسقط على مقعدته جالسًا على فراشه، وبدأ التتابع للصور وبدأ عزف أحزن نغمة سمعها في حياته، نايٌ حزين يعزف أمامه ودموعًا لا يعلم لما أتت ولا من أين أتت تنهمر من عينيه، مشاهد الصور تتابع وتتابع مشاهد أكثر قوة في رأسه، مشاهد له وهو يلتقط تلك الصور بنفسه وهو في سعادة لا توصف، ودموع تنهمر بقوة من عينيه، وآلام رهيبة في صدره، حلقه يختنق بالألم ولا يدري السبب، هل جرحه من بتلك الصور والمشاهد، أم هي آلام الشوق لهم، هرب من المجلد ليهرب من الحزن والألم؛ وجد مجلدًا كُتب عليه ((عائلتي))، فتحه مُسرعًا وضغط على عرضًا، ولم يدر أضغط معه على رفع صوت الناي ليشتد حُزنه وألمه، أول صورة لامرأة كبيرة في السن، ما وقعت عيناه عليه حتى كتم صرخته في فمه بيده تقتله، كلمة مكتومة في صدره، هي الوحيدة تذكرها فور وقعت عيناه عليها، كلمة واحدة بها الحياة والألم، بها السعادة والحزن، بها الهناء والشقاء، بها الشفاء والمرض، بها كُل جميل حياه يومًا وكُل مُر مر به يومًا؛ كُتمت كلمة ((أمي))، في حلقه ولم تُكتم في جسده، اهتزت أعصاب يده بقوة حتى سقط منه الهاتف أرضًا، وخارت قوة يده الكاتمة لفمه؛ صدر أخيرًا صوت الانفجار يدوي أرجاء الغرفة، مُعلنًا ألمًا لا يتحمله بشر يُصاحب الانفجار الصارخ في صدره وفي رأسه؛ لحظة واحدة وفقد وعيه تمامًا؛ أخيرًا هرب من ألمه إلى أحضان أمه، جالسه في مرُج خضراء على إحدى الأرائك الحجرية البيضاء، وهي ترتدي زيًا ناصع البياض يكاد يُضئ؛ هرول إليها صارخًا

يستنجد بها أن تصحبه معها؛ التقطه بذراعيها المفتوحتين تضرعه وهو جاثٍ على رُكبتيه أمامها، ابتسامتها أحيت ميت قلبه، وهي تُقبل رأسه في صمت، رفع عينيه يترجاها أن تأخذه معها؛ أجابته بإيماءة رفضًا وابتسامتها لا تفارق وجهها، فقط اكتفت بأن جففت دمعه بيديها وقبلت جبهته؛ أشارت له تودعه بابتسامتها وصمتها الذي لم تخترقه؛ شعر بألف يد ويد تنتزعه منها، جاهد قوة لا قبل لهُ بها ليبقى وفشِل، فتح عينيه على طبيبه الخاص، لم يعُد يعلم أهو مُنقذه أم قاتله، أيُحب ذلك الرجُل الذي يُصر على إعادته للحياة كُل ما واتته الفرصة للرحيل، أم يكرهه لمنعه لم شمله بأمه الحبيبة، بين صرخات لجمعًا من الأطباء بالغرفة وممرضات لتحية العالم الذي أعاد ميتًا للحياة مرة أخرى، كان هُنالك وجهًا واحدًا بدا له كارهًا لعودته، بدا له من تجاعيد جبهته وكسرات وجهه حول عينيه ونظراته القاتلة، أنهُ حقًا يتمنى موته ورحيله بل وشعر أنهُ يسعى لذلك إذا أتته أصغر فرصة لقتله سيقتله دون تردد، بالتأكيد هذا الحسام هُنالك بيني وبينه ما هو أكبر من قصة تلك المرضة التي لا أذكُرها؛ هذا ما دار في رأسه في لحظات إفاقته، أخرجه من تركيزه صوت الدكتور علي بقوله:

– انتهى الأمر.. أرجو من الجميع مُغادرة الغرفة باستثنائك أنت.. سعاد، فلتبقي.

غادر الجميع الغرفة في طاعة لأمر الجراح الذي يواصل إعجازه الطبي والعلمي أمام كُل أقرانه من الأطباء وأمام تلامذته وأمام العالم بالكامل خارج تلك الغرفة الصغيرة، مئات المراسلين والصحفيين ينقلون كُل نفس

يصدُر عن حالة ((فارس فؤاد))، رحل الجميع فأمر الممرضة بإغلاق باب الغرفة، سحب كُرسيًّا خفيفًا وجلس إلى جوار فراشه يواجهه بنظره، فحصه بعينيه فحص سونارٍ دقيق، هز رأسه بخفة إيجابًا وبدأ حديثه له:

– هل لك أن تُخبرني ما الذي حدث بدقة ودفعك لكوما جديدة كادت تودي بحياتك؟!!

بدت علامات الدهشة تعلو وجهه وأجابه سائلًا:

– كوما؟!!!!

– كوما هي كلمة تعني غيبوبة.

قاطعه قائلًا:

– أعلم ترجمة الكلمة فأنا أُجيد الإنجليزية، اسأل عن معنى الكلمة طبيًا.

هللت أساريره وسأله:

– أتذكرت شيئًا عن نفسك؟

– ليس كثيرًا قمت بفتح هاتفي المحمول، مررت على الصور به ولم أتذكر منها سوى صورة.

انتابته رعشة قوية بدت على وجنتيه، انتفض جسده وهو يلفظ آخر كلماته:

– أمي.

قالها وانهمر الدمع من عينيه يحرق وجنتيه، جفف له دمعه بحنان أب حقيقيًا وأردف قائلًا:

- يا بني كُلنا ذاهبون إلى ذات المصير، وعهدي بك أنك أقوى من ما يتخيل الجميع، أنا لم أرَ دمعك طيلة معرفتي بك، إلا أني لا ألومك عليه فأنت تحتاجه؛ هو دليلًا على عودة ذاكرتك وتحسن حالتك، والآن أُجيبك عن سؤالك ((كوما)) هي حالة من الغيبوبة تُصيب المريض وقد يتوقف فيها قلبه ويتوفى، نادرًا ما يعود منها المريض إلى الحياة؛ أما أنت فعودت في المرة الأولى بعد أكثر من أربعين دقيقة وهو أمر مُستحيل في علم الطب، ولكن ليس هنالك مستحيل على الله، أما الآن فعُدتَ ثانية بعد قرابة العشر دقائق، لن أخفيك سرًّا أني بدأت أتشكك في أمر ما، ولكن لن أطلعك عليه الآن؛ سوف أطلعك عليه حينما أتأكد منه؛ أما طلبي منك الآن ألا تُجهد ذاتك وأنت تحاول إعادة ذاكرتك، أقسم لك أنها سوف تعود دون مجهود مُضني، لا تضغط على أعصابك فتنتكس حالتك، عدني بأنك لن تُجهد ذاتك أكثر في البحث.

أومأ برأسه استسلامًا وأجابه:

- أعدك يا دكتور علي.

- الآن سوف أرحل وأترك معك تلك الثرثارة، لقد أنذرتها ألا تُجهدك.

أنهى حديثه وهو يُشير إلى الممرضة باسمًا لها وأجابته ببسمة عريضة دون رد لمشاكسته لها، انتفض من كرسيه ليرحل وقاطعه صوت فارس بقوله:

– قبل أن ترحل لي طلب أريدك أن تُلبيه لي.

– ما هو؟

– لا أُريد أن يتدخل دكتور حسام في علاجي لا من قريب ولا من بعيد.

بدت ملامحه تتبدل لليأس والحزن والأسى وطرق برأسه أرضًا لحظات وأجابه:

– لك ذلك.

ألقى إجابته ورحل يحمل همومًا بدت جبالًا لم ترتفع لها رأسه مُنذ سمع طلب مريضه؛ لم يبق سواهما بالغرفة، رفع جسده قليلًا يتكئ بظهره على فراشه وأمعن النظر لتلك الممرضة، تعجبت من نظراته لها وهو ما دفعها للجلوس على الكرسي لجواره، بدأته الحديث بسؤال:

– لمَ كُل تلك النظرات؟!

– ما اسمك؟

تفهمت بحنكة الممرضة المتمرسة إلى ما يرمي إليه خلف سؤاله، وتفهمت أنها الآن يجب أن تُجيبه حتى تحوز ثقته، أجابته بثبات:

– سعاد.

– أُريد أن أعرف منك كُل تفصيلة صغيرة أو كبيرة عن تلك التي تقولين إني أحببتها، ولكن أولًا ألم يأتِ أحد يسأل عني هُنا؟!

– لا أعلم.

– ألا ترين أن الأمر عجيب ألا يسأل عني أحد؟!، أم أنكِ لا تعلمين؟

– بالتأكيد هنالك كثيرون يسألون عن حالتك، وأنا لا أهتم إلا بعملي، إلا إذا كُنت تُريد مني أن أسأل لك وأبحث فمن يسأل عنك.

– نعم أُريدك أن تعرفي لي من سأل عني مُنذُ دخلت هذا المستشفى، وكم من المرات قام بمحاولة زيارتي؟

– لك ذلك.. هو أمر هين؛ أما عن زينة، ما هو الذي تُريد أن تعرفه بالضبط؟

ضحك ساخرًا وبنبرة ملؤها السخرية أجابها:

– تقولين إني أحببتها في ثلاثة أيام.. وأني ساعدتها للسفر لعلاج والديها؛ هل أظهر أمامك مختلًا في سؤالي عنها وعن كُل شيء عن امرأة أحببتها وفعلت لها كُل ذلك؛ وأنتِ تعلمين حال ذاكرتي المهترئة؟!!

أنهى حديثه ولم يُنهِ نظرته الثاقبة التي لم تفهم كنهها، حتى أنها توترت من حدتها، كأنه يخترق بها عقلها وجسدها، انتفضت في جلستها وكأنها صُعقت وأجابته بلهجة مضطربة:

– أتريد أن تعرف عنها مُنذُ التقيتها أنت؛ أم كُل شيء أعرفه عنها.

حافظ على نظرته ولم ترمش جفونه، وأجابها بحزم:

- كُل شيء؛ ولكن أولًا أريدك أن تتقصي لي عن كُل من حاول زيارتي مُنذُ دخلت تلك المستشفى؛حتى الآن؛وكم مرة حاول كل شخص الزيارة؛ وإذا أمكنكِ جلب موظف الاستقبال الذي التقى كل السائلين يكُون أفضل.

***

6

رحل الجميع من الغرفة، لم يتبقَّ سواها وجسده الغائب عن الوعي على فراشه، جذبت كُرسيًا وجلست إلى جواره، ظلت تتفحصه بعينيها، كُل قسمات وجهه، كُل إنش في جسده، لم تشعر بدموعها وهي تنهمر على وجنتيها دون توقف، جاهدت أن تمسحها، جاهدت لتوقف تلك الدموع؛ ولم تتوقف مُطلقًا؛ وكأن ألمه انتقل إليه؛ بدأت تحدث نفسها في جنون، ما الأمر؟!، لم تبكين؟! مثله مثل أي مريض سبقه، لَم يؤلمني صدري وكأني أعشقه مُنذُ ولدت؟!، وكان السؤال الأهم ها هو؛ أمن الممكن أن أكون أحببته ما إن وقعت عيني عليه؟! لم تعثر على الإجابة في تلك اللحظة؛ قد يبحث الإنسان عن توأم لروحه طيلة حياته، يُقابل أشباه هذا التوأم، يتوهم أنه عثر على ضالته، ويستيقظ على حقيقة أنه ما يزال يبحث؛ الأسعد حظًا في الحب هم هؤلاء الذين يقود الله إليهم توائم أرواحهم، إلا أن الصدمة قد تجعلهم يتأخرون في اكتشاف الحقيقة، قد يستغرقهم الأمر أعوامًا لمعرفة توائمهم وهم أمامهم، وهي أحد هؤلاء الأسعد حظًا في الحب، لم تكتشف بعد أن توأمها يرقد أمامها، ما تزال في حالة الدهشة والإنكار، لم تعلم في

تلك اللحظة لم قررت فجأة، أن تُذعن لما بداخلها، قررت التمادي والاندفاع؛ أن تكون أحد المتهورين، قررت أن تتمادى في خوفها عليه التصاقها به، تفحصه مرارًا، فقط دون أن تسأل عن السبب؛ هذا هو العشق، إن جاهدت في تفسيره باحثًا عن حقيقته لن تجده إلا مجموعة من المتناقضات؛ هو التهور، الهدوء، الجنون، المجون، السحر، الإيمان، الكفر، الثبات، الاندفاع؛ هو كل شيء ونقيضه؛ أمسكت بقبضته، شعرت للمرة الأولى في حياتها بالاحتياج، تحتاج إلى أن يفيض نهرها، قررت أن تخترق حواجز صمتها وجدرانه الصُّلبة المصمتة، قررت أن تتحدث، وإن توهمت أنه لا يستمع لها أحد؛ فقط تحدثت ولم تتوقف عيناها عن البكاء:

– طوال حياتي وأنا أسمع، ولم أفكر مرة أن أصرخ لأحد بما في داخلي؛ حينما التقيت بك كُنتُ أعلم أني سوف اسمع ولن أتكلم، كُل ذلك كان كذبًا، طوال حياتي أتمنى أن أصرخ وأُخرج ما بداخلي، لم أفعل ذلك مطلقًا وقد يكون لأني لم أجد من أثق به؛ إلا أني لم أعُد أعلم ما الذي حدث لي مُنذُ لقيتك أصبحت أُريد أن أصرخ لك بما في داخلي، لا أُريد أن أبحث عن أسباب، لَمَ أسمعك؟! لَمَ أُسرك أسراري؟! لَمَ أنتَ؟! كعادتي أعلم أن قصتي لن تكتمل معك كما لم تكتمل لي قصة في حياتي البائسة؛ فحينما أجد من أثق به وأتمنى أن أُسره ما بداخلي يبتعد، أعلم أنك لا ترغب في الحياة وتُريد الرحيل منها، والأكثر أن علاقتي بك لن تستمر أكثر من ثلاثة أيام.

لم تتمالك أعصابها أكثر، ارتفع صراخها يدوي حبيس جدران الغرفة يملؤه القهر والحسرة، فقط كان سؤالًا ونداءً لله:

- لِمَ؟

لم تشعر بربطه بضعف على يدها، إلا أن صوته الواهن الذي خرج بضعف، شق طريقه إلى سمعها، ومس قلبها مُباشرة، وكأنهُ سحرٌ داوى آلام صدرها الحزين بقوله:

- الحكمة الإلهية.

التفتت له على عجل وهي تجفف دمعها وتخفيه، وأجابته بنبرة مُضطربة:

- أحمد الله على عودتك؛ يجب أن أخبر الدكتور عليًّا.

حاولت الانسحاب إلا أنه لم يترك يدها، التفتت له وعيناها تسألان ولم يتأخر جوابه لها:

- لا أحد يعلم الغيب وأنا معكِ الآن.. وبذات الغرفة.

لم تجبه شفتاها، فقط اكتفت ببسمة تلألأت فيها قطرات الدمع بعينيها؛ خرجت من الغرفة تشق طريقها، ولا تفكر إلا في كلماته البسيطة، ليس هذا هو ذات الشخص الذي كان فاقدًا الأمل، هذا هو من كان يعترض على كُل شيء، حتى كاد يشك في حكمة الله؛ هو الآن من يُمنيها بالأمل في الله، أهي من بدله وأعاد إليه الأمل والإيمان؛ أم هو من حرر روحها وجعلها تتحدث لأول مرة؛ أم كلاهما تأثر بالآخر؛ كُلها أسئلة تحطمت

على صخرة إيمانها؛ لقد ترسخ بداخلها إنما التقته إلا لحكمة لا يعلمها إلا الله؛ ولم يبقَ لها وله إلا الاندفاع مع التيار وكفى؛ وما الذي قد يصلون إليه أصعب مما هما فيه؛ هو من يشارف على الموت؛ وهي من ماتت مُنذُ سنوات وتُخفي موتها؛ توقفت أمام مكتب الدكتور علي؛ استدعته على الفور واندفعا باتجاه الغرفة 666؛ ما إن دلف الدكتور علي إلى الغرفة حتى بادره بقوله:

– كيف حالك؟ لقد قلقت عليك كثيرًا.

– جيد يا دكتور.. أريدك أن تُزيل تلك الأسلاك الطبية والحقن، أنت تعلم أني أكره النوم في الفراش خاصة الطبي.

– أوافق ولكن بشرط.. يجب أن توقف التدخين، التدخين هو ما أوصلك لما أنت عليه الآن.

– سبق وأخبرتك أني لن أتوقف عن التدخين.. إما تُزيل أنت الأسلاك أو أُزيلها أنا.

بدأ التوتر يزيد بينهم، لا حيلة للطبيب أمام مريضه العنيد؛ قاطعتهم بقولها:

– افعل له ما يُريد يا دكتور، وأعدك ألا يعود للتدخين.

استدار لها وسألها بحدة:

– أتتحملين المسئولية؟

أجابته بقوة:

- نعم.

تأكد من صدقها في قوة إجابتها، ولم يناقشها؛ شرع على الفور في إزالة الأوردة الصناعية والحقن الموصولة بساعديه؛ وما إن انتهى حتى ظفر بآخر حديثه وهو قرب الباب:

- أتمنى أن تكونين على قدر المسئولية؛ رغم يقيني أنها أكبر منكِ.

أغلق الباب وانصرف، لم تتوقف ضحكاته على فراشه، وهي تشاهده مشدوهة من ردة فعله؛ اتكأ على يديه ينهض من فراشه بصعوبة، حتى وصل إلى الكرسي وخر عليه جالسًا، استجمع قوته ونظر لها وأردف:

- أحضري لي سجائري.. سوف تجدينها بدرج الكومود على يسارك.

أشار إلى الكومود بجوار فراشه؛ اتجهت فورًا إلى الدرج وأخرجت علبة سجائره والقداحة، وسلمتهم له دون أدنى اعتراض؛ فقط بقيت واقفة تشاهد؛ أمسك بعلبة سجائره وأخرج منها سيجارة وسألها قبل إشعالها:

- من أعطاكِ القوة لتقولي إنك تستطيعين منعي عن التدخين؛ أنا لا أفعل إلا ما أُريد فقط ولا يُملي عليّ أحد إرادته.

أومأت برأسها إيجابًا حتى انتهى من جملته وأجابته بقوة:

- نعم فأنا أملك من القوة ما يجعلك تتوقف عن التدخين.

أمسك بالسيجارة بين سبابته ووسطا يده اليسرى وسألها بقوة:

- وما تلك القوة؟!

أجابته بقوة وهي تضع يديها بجيوب البالطو الأبيض:

- إذا أردت أن تُدخن.. فلن أستمع لأي قولًا تقوله ولن أكتب شيئًا آخر.

تعالت ضحكاته بقوة وهو يهز سبابته اليمنى باتجاهها بقوة؛ وأردف:

- ومن ذا الذي أخبركِ أني أُريد أن أقص شيئًا بعد الآن؛ فأنا الآن أُريد شيئًا آخر؟!

أنهى حديثه وهو لا ينظر إلا لعينيها؛ اضطربت بقوة من إجابته فقد أفقدها سلاحها الوحيد الذي عولت عليه في جُملة؛ سألته بذات الاضطراب:

- وما هذا الشيء الآخر؟!

نهض واقفًا واقترب منها وهو يحافظ على نظرته لعينيها وأردف:

- أسمَعُكِ، أُريد أن أعرف ما بداخل روحك.

أنهى كلماته وهو يدق برفق على قلبها؛ وكأن دقته على قلبها ألهبت جسدها، عبست جبهتها، تلعثمت كثيرًا، لم تجد الكلمات على شفتيها، هربت بعينيها أرضًا؛ هربت مما تعلم أنهُ على وشك الحدوث، لم ترَ عيناها عينًا صادقة طوال حياتها مثل عينيه؛ بدت على وشك الانهيار، رفع رأسها بسبابته اليمنى، وأمسك بكفها، وضع بهم السيجارة والقداحة وأغلق يدها عليهم وأردف:

– لكِ أن تعرفي أن التدخين هو الآمر الوحيد في حياتي الذي لم يجرؤ أو يستطع أحد منعي عنه، قد تظنين أني أبالغ، أما ما أريده دون مبالغة هو أن أسمعك؛ تلك الدموع في عينيك أعرفها جيدًا، لقد مررت بها ولم يكُن لها سوى حل واحد لم أحصُل عليه وسوف أعطيه إياك؛ حضن دافئ.

انفجرت دموعها وأجابته بقوة:

– لِمَ تقول ذلك؛ أنا حقًا أحتاج إليه.

ضمها إلى صدره المتعب، أما يزال في هذا القلب المريض، تلك القوة الجبارة لشفاء القلوب؛ هذا القلب وهو يحتضر ما يزال يحافظ على رونقه؛ لم تشعر براحة في حياتها مثلما شعرت وهي تبكي بحرارة على صدره؛ ولم تكن الراحة والطمأنينة من نصيبها وحدها؛ لطالما داوى صدره آلام غيره، ليشقى بها إلا هي؛ تلك هي المرة الأولى التي يشعر فيها بالانتصار لقلبه بصدق؛ لم ينتقل له آلامها؛ بل انتقل له خوفًا، إرادة في إزالة هذا الألم من صدرها بأية طريقة؛ سكنت جوارحها وكأنما نقلت له آلامها، أخرجت رأسها من صدره ومن بين ذراعيه، ووجنتاها تشتعلان خجلًا، أشار لها بالجلوس؛ جلسا وكان سؤالها غريبًا:

– من أنت؟! ولِم الآن؟!

ابتسم لها وأجابها بقوة:

– أعدك أن أجاوبك لاحقًا؛ أما الآن فأنا أسمعك.

أطرقت برأسها وشردت للحظات، رفعت رأسها ونظرت بأطراف عينيها لأعلى يسارها؛ أومأت برأسها إيجابًا والتفتت له وبدأت حديثها:

- أنا أؤمن بأن الصدفة ما هي إلا رسالة من الله؛ كما إني على يقين بأن الصدفة التي جمعتنا سوف يكون لها تأثير كبير؛ أنا فتاة من ضمن ثلاثة أشقاء منهم شاب وفتاتان، أنا أحدهم ومن أسرة متوسطة؛ نسكُن في إحدى المناطق الشعبية ولك أن تعلم كيف هي حياة الفتيات في المناطق الشعبية، تحمل مسئولية الحفاظ علينا شقيقي الأكبر، بالتأكيد كانت النية صادقة ومخلصة، لكن الأكيد إن طريقته كانت خاطئة، طيلة حياتي أمقُت القهر والتقييد، حتى الحجاب لم يكُن مسألة إيمان بل فُرض عليٌ بالقوة فرضًا، لذلك أُصدقك أني لم أرتدِه يومًا إيمانًا؛ ولذلك فور امتلكت القوة قُمت بخلعه، الآن أنا صاحبة قراري وأتمتع بحُريتي كاملة، لكنِ سددت ثمن انتزاع تلك الحرية غاليًا من حياتي، عشرة أعوام كاملة أكافح للحصول عليها؛ حتى أصبحت الآن أخشى فقد تلك الحرية ولن أسمح لنفسي بالمخاطرة بفقدها مُطلقًا، عشقت وعُشقت أكثر من مرة؛ آخر تلك التجارب هي ما كسرني تمامًا ومزقني ولم أُلملم جراحي منها حتى الآن؛ أتعرف ذلك الشعور حينما تصرُخ بأعلى صوتك ولا يأتيك جواب رغم يقينك أن صوتك يصل لهدفه، ذلك هو الموت الحقيقي؛ عامًا بعد آخر أجاهد في إيصال صوتي حتى كرهته، ولم يلتفت له ولو مرة خطأ؛ حقًا ما زلت مُتأثرة بقوة بشخصيته وأبحث عنها في كُل الوجوه أما شخصه فلم يعُد يُهمني؛ قد تجدني أمامك قوية وضاحكة إلا أني أتمزق من داخلي؛ تستطيع أن تقول إني مسئولة عن كُل من حولي، أشقائي بأزواجهم وأطفالهم وحالاتهم المادية الصعبة، والدي وصحته التي أنهكها المرض، أمي والتي طالما ملأت الدنيا بحركتها أمست جليسة الفراش بعد مرضًا أصاب

كوما

قلبها وقدميها، باختصار قلبي يؤلمني أكثر من مظهري أضعاف مُضاعفة، أما مظهري فإن كُل من تعاملت معهم تنطلق مخيلتهم المريضة إلى الطمع في نهش جسدي والذريعة، فتاة مُتحررة وبالتأكيد سوف تقبل بأن يحدث معها كُل شيء؛ أنا مُتحررة حقًا إلا أني لست مُنحلة، وأعلم جيدًا أين تنتهي حدود حُريتي تلك مهما تباعدت أطراف اتساعها؛ أنا من سددت ثمن تلك الحرية ولأحرص على ألا أفقدها ولن أفرط فيها أيًا ما كان الثمن؛ يتبقى أمر واحد لا أعتقد أن المكان والزمان يسمحان بذكره الآن لكن تأكد أني أُريد أن أفصح لك عنه قريبًا؛ هنالك مقولة للدكتور مصطفى محمود تقول:

- "لا يكتمل إيمان المرء حتى يدرك أن كل ما يحدث له من خير وشر هو شفرة يقول بها الله شيئًا، وهمسة يهمس بها في أذنه".

الآن تستطيع أن تقول إني أفرغت لك ما في جُعبتي؛ أُريد إجابة سؤالي من أنت؟!. ولِمَ الآن؟!!

نهض من جلسته، تحرك باتجاه باب الشرفة، شرد لحظات ثم تحدث دون أن يلتفت إليها:

- إجابة الجزء الأول هي.. فارس فؤاد؛ والجزء الثاني هي.. لأني كنت في حاجة إلى ((همسة)) مثلما كُنتِ تحتاجينها بالضبط.

نهضت واقتربت منه وهي تدقق النظر إليه وتوقفت على مقربة منه وأردفت:

- لم أفهم شيئًا!

التفت إليها وابتسم بقوة، وضع يده على كتفها واتجه للكرسي أجلسها، وقف أمامها، وعاد للحديث:

- أول لقاء لنا كُنت في قمة يأسي واستسلامي؛ لذلك تصورتِ أنني شخص فاقد للدين ولا يؤمن بالقدر، وقد يكُون على وشك الكفر بالله.

أنهى جملته وصفق في احترام وأردف:

- مُمتاز؛ إلى أن تلك هي زاوية واحدة ضيقة للغاية نظرتي إلى منها؛ أما الزاوية الأشمل لي هي أني مثل البحر.

قاطعته بقولها:

- مثل ماذا؟

ابتسم بقوة وأجابها:

- مثل البحر هادئ، صافٍ جميل؛ في أوقات رضاه؛ هائج، بشع ومخيف؛ مُقبضًا قاتل في غضبته، كل شيء ونقيضه؛ أما عن حاجتي إلى الهمسة فذلك لأن بقاع ذلك البحر طغت زاوية وثورة هائجة على باقي الزوايا، هي زاوية اليأس وثورة الشك؛ فكنتُ أحتاج إلى همسة الأمل؛ ووجدت تلك الهمسة بكِ، رغم ظُلمة قاع البحر الموحشة هنالك بصيص من ضوء حقًا هو ضعيف؛ إلا أنهُ لا ينطفئ؛ أنتِ الهمسة التي أشعلت هذا الضوء وقوته؛ هذا عني أما أنتِ فوحدكِ تعرفين لما كُنتِ في حاجة إلى تلك الهمسة ولَمَ الآن.

كوما

نهضت وهي تنظر إليه وأجابته باضطراب:

- إن ما فهمته هو أنك تُريد أن تقول إني كُنت أحتاجك مثلما كُنت تحتاجني؛ وأن الله أراد أن يجمعنا معًا.

- قد يكون.

تابعت حديثها:

- إذًا كيف ذلك وأنت تعلم أن الأمر لن يدوم أكثر من يومين ونصف وتنتهي القصة بالكامل؟! أنا لن أتحمل مثل ذلك العذاب.

- ومن في الكون بأكمله يستطيع ضمان استمرار شيء ولو لحظة؛ أوليس من الممكن أن تكون تلك الأيام الثلاثة بدايةً جديدة اختارها الله لكلينا؟

تلعثمت من حديثه ولم تتمكن من الإجابة إلا بكلمة واحدة:

- قد يكون!!!

وضع يديه على أكتافها وأردف:

- إذًا دعينا نُكمل ما بدأناه ولسوف نرى إلى أين نصل.

قادها لكرسيها وفتح لها الدفتر الذي تدون فيه، وما إن جلست حتى سألته:

- لي سؤال قبل البداية.. لمَ تتعمد السرد بضمير الغائب؛ أو ليست تلك قصة حياتك وتجربتك أنت؟!

– عندما يحتاج المرء أن يصل إلى الحقيقة كاملة خاصة وهو يُحاسب ذاته؛ يجب أن يتراجع إلى الخلف عدة خطوات ويُشاهد من الخارج كأي مُتفرج عادي؛ في تلك الحالة وحدها قد يصل إلى الحقيقة، وخلاف ذلك لن يصل إلى شيء؛ الإنسان إذا تحدث عن نفسه فطبيعته سوف تُجبره على الكذب لتجميل مظهره وطمس الحقيقة ولن يصل إلى شيء؛ وأنا أكره الكذب وأبحث عن الحقيقة وسأصل إليها.

أومأت برأسها إيجابًا، شعرت بمدى الحزن والقهر في كلماته، أمسكت بالقلم وتأهبت للكتابة، رفعت رأسها تسترق نظرة إليه وأردفت:

– تفهمت مقصدك، جاهزة لكي تُكمل.

لم يستغرق كثيرًا من الوقت في صمته، حتى أسهب في سرده:

– كان اليوم والليلة الأولى مع الوحدة له؛ هم أطول أيام وليالي حياته وأثقلهم على نفسه، آلاف الأسئلة وجميعها بلا إجابة، حتى كادت تتمزق روحه بين ضلوعه، عيناه العصيتان على الدمع؛ لم تتوقف طيلة اليوم والليلة عن فيضانها، لِمَ قُبض أبوه وتركه وحيدًا؟ ولِمَ تبعته أمه؟ لِمَ ضحى به شقيقه الوحيد؟ لِمَ أظلمت الحياة فجأة؟ كيف يحيا وحيدًا؟ هل تحوي الحياة كل هذا الظلم؟ ما ذنبه في كل ما حدث؟ لم يقترف ذنبًا طيلة حياته الماضية، ابن بار بأبويه وأخيه الأكبر، لم يرفع صوته يومًا أمامهم، لِمَ هو دون ملايين البشر من يُظلم بهذا الشكل؟ لم ترضَ نفسه قط بما حدث؛ ومُنذُ هذا اليوم عاهد نفسه ألا تُبدله الحياة، مهما ظلمته ودفعته أن يتحول إلى أحد تلك القلوب السوداء القاسية؛ من ذاق الظلم لا يمكن أن يظلم

أبدًا؛ هي الحكمة الوحيدة التي أبقته في الحياة؛ تحدى ذاته وأعلن حربه وتحديه للحياة أمام نفسه؛ سوف يبقى ويكون أقوى من الجميع، عاهد نفسه أن يصل إلى ما لم يصل إليه كُل من حوله، دون أن يتبدل؛ توهم أن الحياة قد تقبل أو تسمح للأنقياء طاهري القلوب بالانتصار عليها؛ لم يعلم أن تحديه وقلبه الصغير هو ما سوف يقتله يومًا، ليلة وتحدٍّ مُنذُ أكثر من خمسة عشر عامًا؛ أعمته عن الحقيقة وأشقته باقي عمره حتى قتلته، لم يعلم في تلك الليلة أنهُ لا انتصار لخيرًا في الدنيا، هي فقط للابتلاء والألم، والمنتصر فيها خاسر في النهاية؛ في صباح اليوم التالي مر عليه ((محمود))، هو شاب أسمر البشرة، طويل القامة، صلب الجسد من أثر عمله المضني، تشعر أنه يمارس أقوى التمارين الرياضية، إلا أن تمارينه كانت الشقاء والإجهاد والعناء وليس شيئًا آخر، في الثامنة والعشرين من عمره، أرادت له الحياة، أن يدفن أحلام من في عمره، حبًّا وزوجة وأطفال، لم يُقدم على شيء منهم، كيف له وهو يرعى عائلته الكبيرة؛ تقاليد وعادات وشرفًا، لم يشعر يومًا بالضغينة أو الكره لما يفعله؛ فقط يراه واجبه ودوره ويؤديه، الآن قد ازدادت أعباؤه وأحماله، فردًا آخر، لم يميزه عن أشقائه، وهو ما لمسه منه في أول يوم عمل له، هو أحد ((الحرفيين)) في مجال الدهانات، فنان بلا شهادة جامعية، عام كامل تحمل فيه تعليمه، واقتسام اللقيمات معه، وكان يُصر عليه أن يحتفظ بأجره كاملًا لنفسه ولتعليمه، خمسة عشر جنيهًا؛ كانت أول أجرًا تقاضاه من قرر أن يتحدى الدنيا وحده، كان روتين حياته لا يتغير، طيلة هذا العام، ما بين العمل وبين جامعته ودراسته، ووضع أجره كُل يوم في أحد أدراج الكومود بجوار فراشه، روتينًا لا يتغير

أبدًا، لا أصدقاء، لا أحباء، لا حياة تُذكر، حتى جاء موعد امتحانات آخر العام الدراسي الثالث له في الكلية، وكما اعتاد بروتين، يأخذ إجازة طيلة أيام امتحاناته، يُفني نفسه في دراسته، حتى يحافظ على تفوقه الدراسي؛ التخرج هو هذا الحلم الباقي له، ويكافح بكل ما أوتيَ من قوة حتى يحققه، كان قد اعتاد أن يصل إلى الجامعة باكرًا للغاية أيام الامتحانات، يجلس على إحدى الاستراحات تحت إحدى أقدم الأشجار في الجامعة، كبيرة بالحجم الذي جعلها موطنًا ضخمًا للطيور وأجملها بألوانها الزاهية، لم يكُن له إلا أحد الزملاء يُحب دومًا إن يلتقي به باكرًا يوم الامتحان، ينهل من نهر دراسته على قدر استطاعته، وينجو من الاختبار في كُل مرة، بفضل الساعات القليلة التي يحظى فيها بفرصة سماع محاضرته عن المنهج، وتبسيطه لنفسه، فيستفيد في صمت، هو ((حسين))؛ أحد المشغولين بالصداقات الزائفة في تلك الجامعة، متوسط الطول، إن اهتم بدراسته بقدر اهتمامه بملابسه وتصفيف شعره، وعلاقاته مع زميلات الدراسة وغيرهم معتمدًا على وسامته؛ لكان الأول في كليته بلا منازع، إلا أنهُ وحيد أبويه الأثرياء بالقدر الذي جعل من هذا الشاب فاسدًا إلى أقصى حد، طوال العام مخدرات وملاهٍ ليلية وعلاقات محرمة، ولا يتورع عن نهش عرض أيٍّ من كان ولا تنجو من تحت يديه فتاة إذا أرادها؛ لا يعُد إلى تلك الجامعة إلا أيام الامتحانات فقط؛ ما إن وصل إليه وهو يجلس كعادته منفردًا حتى بادره بقوله:

كوما

- أقسم لك لو أن هذا موعدي مع أجمل فتيات مصر؛ لن أستيقظ لها مُطلقًا في الثامنة صباحًا.

أومأ برأسه ساخرًا، فيما جلس إلى جواره ينتظر رده المعتاد ولم يتأخر الرد:

- مع كُل مرة تُعيد نفس الجملة؛ وأعيد عليك نفس الرد، إذا كان أحدهم سوف يُفيدك أذهب له.

- معك كُل الحق فيما تقول، فأنا أظل على استهتاري طوال العام وعند الامتحان لا حل إلا أنت؛ إلا أني سوف أترجاك رجاءً خاص؛ فهل تقبله.

ترك كتابه من يده ونظر إليه سائلًا:

- خيرًا؟

- إن لي بعض الزملاء أترجاك أن ينضموا لنا؛ على شروطك كما تُحب، فهل تسمح لهم.

هربت ابتسامته وأجابه ضاحكًا:

- وما يمنع؛ يبدو أن الجامعة تحولت جميعها إلى أمثالك.

هز سبابته رفضًا وأجابه بقوة:

- أؤكد لك أن الأمر ليس كما تتصوره، إن فيهم من هو مثلي ومنهم أيضًا من لا يجمعني به إلا معرفة الجامعة فقط.

- موافق، ولكن كما تعلم لا يقاطعني أحدًا فأنا أسهب في حديثي إلى نفسي؛ والأهم فأنا لا أجالس أشخاصًا لا أعلمهم.

- كما تُحب؛ سوف أقوم بإحضارهم حالًا.

انتفض واقفًا يُلوح بيده لمن يريد انضمامهم إليهم، ما إن وصلوا إليهم، حتى نهض فارس يستقبلهم، فيما تعهد صديقه بتقديمهم له، فتاة حسناء فائجة الجمال، لها شعر حريري، وجه طويل، وجبهة صغيرة، أنف صغير، شفتان صغيرتان مكتظتان، عينان سوداوان بلون شعرها، بدت له مثل صديقه في تحرره، بسطت أطراف أناملها تلتقي أنامله وعلى وجنتيها ابتسامة وأردفت:

- كيف حالك؟ أنا ((روان)).

سحب يده ما إن التقت يديها وأجابها:

- تشرفت بك.

تقدمت الثانية، طفلة وترتدي حلة الشباب، قصيرة القامة، وجه صغير طفولي، وجسد صغير، عينان عسليتا اللون تميل إلى الاخضرار، وشعر مصبوغ أصفر، وعلى وجنتيها غمزتان تُصليان وجهها الطفولي جمالًا لا تظهران إلا بتلك الابتسامة التي لا تغادر وجهها، بسطت أناملها وأردفت:

- وأنا ((خديجة)).

- تشرفت بك.

كوما

تنحت جانبًا وتقدمت الثالثة، متوسطة الطول، ترتدي حجابًا، يحدد وجهًا دائريًا بديعًا، وعينين سوداوين، وأنف صغير، بشرة بيضاء جعلته ظن أنها تشع نورًا، بسطت يديها بشكل ضعيف، وما إن التقت بيديه حتى سحبتها وأردفت:

- أنا ((نوران))، صديقة خديجة.

تفهم كلِماتها، فقد أرادت أن تتبرأ من تلك الصحبة أمامه، اكتفى بابتسامة لها دون أن يجيب؛ وتقدم أخرهم، وهو ((عبد الرحمن))، متوسط الطول ممتلئ الجسد قليلًا، أبيض البشرة، وكان أكثرهم تحفزًا للقاء ((النابغة)) من وجهة نظرهم؛ ما إن تقدم منه حتى أسهب في حديثه:

- أقسم لك أني طلبت من حسين أن يُعرفني بك إلا أنهُ كان دائم الرفض، إن مشكلتي مع تلك الجامعة أني أحضر كل المحاضرات وأقوم بالمذاكرة أوقاتًا طويلة للغاية ومع ذلك لا أستوعب أي معلومة لا من الكُتب ولا من شرح دكاترة الكلية.

قاطعه ((حسين)) بقوله ضاحكًا:

- لأنك غبي، الغباء عندكم بالوراثة ما باليد حيلة؛ كما أني حذرتكم أن فارس يُحب الهدوء.. فقط اصمت كي تستوعب.

تلعثم من حديث صديقه، فيما أخرسته إشارة من روان له بالصمت، جلس جمعهم في دائرة، فيما بقي فارس على أحد أقطار الدائرة واقفًا، أمسك كتابه بيده، وبدأ في شرح وتبسيط المادة لذاته، يُحدثها ويُفسر لها

وكأنه يحاضر شخصًا لا يراه أحد، طريقته التي دومًا ما أحبها، وما إن أنهى شرح المادة وتبسيطها، حتى بدأ في طرح أسئلة على نفسه بترتيب عجيب، يُلخص كُل المادة ولا يترك منها كلمة؛ ويلتصق بخلايا المخ بكل سهولة ويسر؛ والجمع أمامه يدون أسئلته وإجاباتها منه؛ في صمت تام، حتى انتهى ونظر إلى ساعة يده، وقاطع صمتهم بقوله:

– يجب أن نتحرك فورًا إلى لجان الامتحان، لم يعُد باقي إلا خمسة عشر دقيقة على بدأ الامتحان.

صعقته الإجابة التي سمعها من ((روان)) وهي تصرخ:

– لعنة الله على الكتب وعلى أساتذة الجامعة وعلى كُل شيء؛ الدراسة غاية في السهولة، لما يقومون بتعذيبنا طوال العام.

ارتفع صراخ ((عبد الرحمن)):

– حتى تُصدقوني حينما أخبرتكم أن الخطأ ليس فيَّ، أنا لست غبيًّا.

قاطعتهم ((خديجة)) بقوة:

– انتهى الأمر، لقد أخبرنا حسين أنا فارس يُحب الهدوء للحفاظ على تركيزه.

نهضت ((روان)) ونظرت له وأردفت:

– الحقيقة أنت ذو كفاءة، لقد يسرت علينا المادة تمامًا.. أشكرك على إرهاقك معنا.

خرج من صمته ليُجيبها:

– لا تشكريني الأمر هين، فقط أعتذر منكم لأنني اعتدت أن أكون بلجنة الامتحان قبل الموعد.

أنهى جملته وحملة حقيبته وانصرف، أراد أن يلتفت وهو يتحرك إلى لجنته، شعر أنه يحتاج أن ينظر لتلك المشعة نورًا أكثر؛ وكأن عيناه لم تشبعا من رؤيتها؛ ولكنه لم يلتفت، وصل إلى لجنته ومرت دقائق وتسلم أوراق الامتحان وشرع في الإجابة، دومًا ما كان يخرج قبل انقضاء نصف الوقت، إلا أن تلك المرة تأخر عمدًا، أراد أن يراها ثانية بعد الامتحان، كان على يقين أنهم مهما تفهموا منه، فلن يخرجوا قبل نصف الوقت بأي حال؛ مرت عليه الدقائق ساعات، وهو يعيد ويزيد في قراءة ما دونه من إجابات، حتى انقضى ثلثا الوقت، لم يتحمل أكثر؛ اندفع للخارج لم يتحمل أكثر مقررًا الانتظار بالخارج تحت أي مسمى حتى يراهم ثانية، ليكُن أفضل من سجن الانتظار أمام ورقة إجابته بداخل اللجنة؛ قلة الصبر ومُقت الانتظار هي خصاله الرئيسية دومًا لم ير له عدوًا إلا الوقت؛ وهو ما أثر بشدة في شخصيته فجعلها قويةّ لأبعد حد، متحركة بقوة في كل الاتجاهات فهو الشخص المناسب لأن يقوم بخمس وظائف في آن واحد؛ وتلك الخصال هي أيضًا ما أضافت لشخصيته الكثير من التسرع والاندفاع؛ فتحول إلى شخص يراهن على قراراه ويسير إليه حتى ولو قاده إلى مهلكته..

***

7

العاهرة والبريئة

لم تمُر ساعات قليلة وقد كان استعاد قوته بشكل جعله يتعجب، نهض من الفراش.. اتجه إلى الشرفة أو بوابة الجنة كما اعتاد أن يراها، سرى النشاط في بدنه وشعر براحة لم يشعر بها من قبل قط، تذكر تلك الممرضة الكسول، سأل نفسه: لمَ كُلما طلبت منها أمرًا تلكأت في تنفيذه، اتجه إلى زر الاستدعاء الخاص بها وضغط عليه، جلس على أحد الكراسي بزاوية الغرفة ينتظر قدومها، وهو يتحضر لتأنيبها وقد يصل الأمر للتوبيخ؛ لحظات وانفرج الباب إلا أن القادم كان شخصًا مُختلفًا، كان طبيبه المعالج وأباه الروحي الدكتور علي، وبادره بابتسامه قائلًا:

– بالطبع أنت استدعيت الممرضة، ولكن أنا من منعها لأمر مهم.

– ما هذا الأمر المهم؟

اتجه إليه وجلس على الكرسي المجاور، أطرق برأسه للحظات أسفل ثم أردف قائلًا:

– أنا لا أعلم ما مقدار ما تذكره أو قد تذكره الآن، ولكن دعنا نختصر الأمر؛ أنت تملك شركة مقاولات وثروة كبيرة بالقدر الذي يجعل أحفادك يعيشون في رغد؛ إلا أن هنالك أمورًا قانونية تحتاج إلى حلول عاجلة منك؛ قد منعتها عنك طوال الفترة الماضية حتى تعافيت؛ والآن أثق أنك تستطيع المرور من تلك الأزمة، محاميك وشخص آخر لن أصفه لك أملًا أن تتذكرهما؛ يطلبون زيارتك مُنذُ دلفت للمشفى، ويوميًّا؛ وكُنت أمنعهم، والآن هما يطلبان زيارتك؛ فما قرارك؟

– من بصُحبة الأستاذ عمر القاضي؟

انفتح بؤبؤا عينيه واتسعت حدقتاه على مصراعيهما من الشدهة؛ أجابه وهو يُتمتم:

– أتذكرت مُحاميك؟!!!!!!

ابتسم بقوة وربت على كتف طبيبه برفق وأجابه:

– نعم تذكرت أمورًا كثيرة، اطمئن؛ ولكَ أن تعرف أن أهم ما تذكرته هو أنت.

أنهى جُملته وأمسك براحة يده مُحاولًا تقبيلها، فسحبها طبيبه رافضًا، نظر له وأردف:

- اسمح لي بتقبيل يديك لأمرين، أولَهُما إن اليد التي تتسبب في منح الحياة من الأولى لها أن تُقبل لا أن تُنهر؛ والثاني أنه لا يحق لأب ان يرفض تقبيل ابنه ليده إلا إذا كان غاضبًا عليه؛ فهل أنت غاضب عليّ يا أبي؟

ضمّه إلى صدره بقوة وهو يُجيبه:

- يعلم الله أني تمنيت مرارًا منه أن تكون ابني؛ وإني لأسعد الناس بعودتك إليّ.

خرج من صدره وكان يتحتم عليه إنهاء هذا الموقف الصعب، فقطع الموقف قائلًا:

- إذًا فلتأذن للمحامي بالدخول، إذا أصر القاضي على ذلك فبالتأكيد الأمر خطير؛ ولكن لنا مجالس لن تنتهي؛ فلا تتهرب مني الليلة؛ لي سؤال واحد.

- تفضل؟

- هل خديجة هي التي مع المحامي؟!

لم يجبه إلا بابتسامه أكدت له إحساسه، الذي كان جليًّا واضحًا، بدا سؤاله سؤال الملهوف المشتاق، نبرته مهتزة يترجى التأكيد على صدق إحساسه؛ ولم يُرد طبيبه التدخل أكثر من ما ينبغي؛ فقط ابتسم وأومأ برأسه تأكيدًا، ورحل تاركه ينتظر؛ وتحرقه نيران الشوق واللهفة؛ شعر بروحه تُسلب منه، ذلك الإحساس الممتع الذي يعود بك طفلًا، تخشى اللقاء وكلك شوقًا له؛ تسارعت دقات قلبه واضطربت أنفاسه، ما دفعه

كوما

لوضع يده على قلبه وحاول تنظيم أنفاسه بهدوء؛ لحظات كانت أصعب في آلامها من كُل ما شعر به في هذا المشفى، انفرج باب الغرفة بهدوء وعيناه لا تفارقانه وتتبع أدق تفصيلاته، دلف ببذلته المنمقة، أربعيني متوسط الطول ممتلئ الجسد قليلًا، يحمل حقيبة مستندات بيده، ما إن وقعت عيناه عليه حتى اندفع إليه باسطًا يده في شوق قائلًا:

- نحمد الله على شفائك، أراك أفضل حالًا مما كنت أتوقع.

- الحمد لله؛ والفضل بالكامل للدكتور علي؛ لكن من الذي أتى معك لزيارتي؟!

التفت إلى الباب باسطًا راحة يده مُشيرا إليه رافعًا صوته:

- أظن أنها أحق بأن تُقدم نفسها مني.

دلفت من الباب وتحمل على وجهها أحمال ألف وجع ووجع؛ عينان ذبُلتا من البكاء؛ ورغم هذا الإجهاد والذبول الظاهر كشمس احتلت كبد السماء في أشد أيام الصيف حرارة؛ لم تخف معالم هذا الجمال الطفولي الفج؛ والبراءة التي يراها الكفيف من مجرد وجودها؛ اندفع تجاهها ولم يكن لحالتها من دواء إلا أن يحتضنها في صدره بقوة، ارتفع نحيبهم مُختلطًا بدموعٍ حارة لا تتوقف؛ شده القاضي الموقف، فهو الذي لم ير طوال حياته هذا الأسد الشاب إلا جلدًا صلبًا في أحلك الظروف؛ كيف ضعُف إلى هذه الدرجة؛ وتلك الفتاة التي لم يرَ منها طوال معرفته بها إلا القوة والبأس، ما أصابهم؟! وما أصابه هو؟!، لَم يشعر بالحزن الشديد ودمعه يكاد

تنفجر له مُقلتاه؛ تحتم على أحدهم إنهاء الموقف فما كان إلا أن صفق القاضي قائلًا:

– أظن أنه يكفينا هذا القدر من الحزن فلدينا أعمال مهمة.

حاول الجميع استجماع قواه وتجفيف دمعه؛ أشار لهم بالجلوس على الكرسيين أمامه واتكأ بمؤخرته على مؤخرة السرير يواجههم؛ قاطعته بقولها الحزين:

– لم لا تجلس أنت هنا وأبقى أنا مكانك؟

– فلتجلسي لقد سئمت الجلوس والنوم وأود الوقوف؛ فقط أفرغ ما في جعبتك يا قاضي؛ فلدي جلسة طويلة مع خديجة.

أومأ برأسه تقبلًا وأسهب بالسرد:

– إذًا فلا يخفى عليك أنك كُنت مريضًا ومتغيبًا لفترة طويلة عن متابعة أعمالك؛ والفضل في منع أي خبر عنك كان لشخصين هما الدكتور علي وابنته الأستاذة خديجة؛ كما لا يخفى عليك أننا دومًا نحتاج لصيغ قانونية وأوراق و.

قاطعه حازمًا:

– لا تجهد نفسك وتجهدني بمقدمات طويلة؛ كلانا نعرف أنك ما دمت أصررت على هذا اللقاء فالأمر جد خطير ولا يحتمل تأخيرًا؛ إذًا اختصر وأخرج ما في جعبتك.

- إذًا الأمر أننا نتعرض لمشكلات قانونية قوية مُنذُ أن احتجزت هنا بالمستشفى؛ وكانت تباعًا، أولى تلك المشكلات دعوه بالحجر وفرض الحراسة عليك من شخصين هما؛ شقيقك الأستاذ أحمد متضامنًا معه في ذات الدعوة زوجتك السيدة روان.

ابتسم بقوة واتسع بؤبؤا عينيه وقاطعه:

- أحمد وروان، متضامنان في الدعوة؟!!

- كان هذا في بادئ الأمر؛ لكن مُنذُ شهرين انفصلت عنه ورفعتها مُنفردة مُدللة بشهادة طبية أنها حامل منك، وهي الأحق وحدها بالحجر والحراسة عليك لمصلحة ولدها الذي ما يزال في أحشائها.

شدهه ما سمع قاطعه صارخًا:

- حامل؟!

- هذا ما قدمته للمحكمة من مستندات؛ الأمر لا يتوقف هنا بل زاد سوءًا بعد رفعهم من أيام طلبًا مُستعجلًا على وقف التوكيل الذي بيد خديجة، وكنا نُدير به الشركة، وذلك بعد أن استنفذنا كل حجج التأجيل والتعطيل للدعوة؛ وأصبح حضورك غدًا إلزاميًا إما يتخذ القاضي القرار بالحجر والحراسة عليك.

نهره بقوة صارخًا:

- أيها الغبي أي حجر؟ وأي حراسة؟ ولمن؟ لمن ضيعني مُنذُ كُنت طالبًا؛ أم لعاهرة لا أعلم من أين حملت سفاحًا وتُلصق نتاج جُرمها باسمي.

شده القاضي وكذلك خديجة والتي لم تحتمل الصمت أكثر فقاطعته:

– كيف ذلك؟ وكيف حملت سفاحًا؟! هي زوجتك يا فارس.

ضم راحتي يديه أمام وجهه وأومأ رفضًا بقوة صارخاً:

– أنا لم أمسسها مُنذُ أكثر من ثلاثة أشهر قبل دخولي المشفى؛ كيف لها أن تحمل مني؟!

سقطت خديجة جالسة على كُرسيها من أثر الصدمة؛ وعم الصمت والوجوم الجمع؛ قطع صمتهم بضحكة غريبة لم يكُن موعدها قط وأردف:

– دعك من أمر العاهرة، فأنا أعلم إلى ما ترمي إليه ولن تناله لا هي ولا الشيطان الذي تكالب معها علي؛ ما المطلوب الآن لإنهاء أمر الحجر والحراسة؟

– حضورك غدًا وشهادة الأطباء بسلامتك العقلية والجسدية لإدارة أموالك.

– إذًا موعدنا غدًا في المحكمة؛ هل هناك مشكلات أخرى أم انتهى الأمر حتى ذلك؟

– الأمر جد خطير ولا أودك الاستخفاف به؛ وهل تود مني رفع دعوة إنكار نسب؟

عادت ضحكاته عالية وأردف:

- صدقني لن تحتاج لتلك الدعوة؛ مجرد ظهوري غدًا سوف يُغلق كل الأبواب؛ لكني أعلم أنك لن تقبل؛ لذا باشر برفع دعوه بإنكار النسب مصحوبة بدعوة أهم.

- وما الدعوة الأهم؟!

- دعوة الزنا؛ وأظن أنها من قدمت دليلها بأوراق رسمية عن أنها حاملًا؛ هي إما زانية أو مزورة، الأمر لها تختار ما تشاء منه، ولكن الأهم ألا تتخذ وضع الهجوم إلا بعد حضوري غدًا.

شُده الجميع لحضور ذهنه بقوة وبدا التعجب عليهم؛ قاطعهم بقوله:

- أنتم يجب أن تتفهموا لَمَ فعلوا ذلك؛ هم ظنوا أني لسوف أموت هنا؛ وشرع كل واحد منهم إلى تقسيم الجثة وتقطيعها؛ والفائز فيهم من يقتطع من جثتي أكبر قطعة؛ إلا أنهم نسوا أمرًا مهمًّا؛ ألا وهو أني ما زلت حيًّا.

أنهى حديثه وبدا قويًّا صارمًا، واختفت كل ملامح السخرية والابتسامة من وجهه؛ حلت محلها الصرامة والحزم وهو يُطلق آخر كلماته وكانت:

- لن يطال أحدهم قرشًا واحدًا من أموالي حتى وأنا في قبري.

نهض القاضي من جلسته وأردف:

- إذًا اسمح لي بالذهاب والمضي في الإجراءات؛ هل تود أن أمر عليك باكر لأصحبك للمحكمة؟

- اذهب؛ أما عن باكر فلسوف أدخل المحكمة بصحبة خديجة.

اتجه لباب الغرفة بصحبة وكيله وقبل الخروج من الباب مال على أذنه هامسًا؛ توتر وكيله بقوة وبدا غاضبًا بشدة وبعنف وصرخ فيه قائلًا:

- بالتأكيد إلغاؤه فورًا؛ هذا أول ما تفعله الآن قبل أي شيءٍ آخر؛ دون أن يعلم أي شخص غيرنا بالأمر؛ مفهوم.

أشار برأسه وبيديه في طاعة لأمر موكله وقبل انصرافه أنهى حواره ووجوده بجملة:

- اعتبر الأمر مُنتهيًا؛ كأن لم يكُن.

عاد إلى الكرسي الذي شغر بعد رحيل القاضي؛ جلس وبدا يُفكر بشيء شغله بقوة من همس المحامي له قبل انصرافه؛ وغضبته من ذلك الهمس لم تظهر لما كان أهم وهو حمل زوجته ودعوة أخيه للحجر عليه؛ قاطعت صمته ووجومه:

- ما الأمر الذي أخبرك به القاضي وأغضبك بهذا القدر؟

اعتدل بجلسته يواجهها وعادت بسمته لوجهه:

- لا شيء مهم؛ الأهم عندي الحين هو أنتِ؛ أُريد أن أعرف أخبارك وأخبار زوجك؛ وحياتك والحجاب الذي ترتدين؛ يبدو أني تغيبت كثيرًا.

أطرقت برأسها لأسفل وشخصت عيناها، طال صمتها وانحناء جبهتها أرضًا؛ هموم العالم فوق تلك الجبهة تمنعها النهوض؛ تخفي دموعًا فاضت بها عيناها، رفع رأسها بيده وهو مشدوه من كم الحزن والألم والدمع في

عينيها، لم ينطق بأي كلمة تتوقع؛ نهض واقفًا واتجه إلى الشرفة وتحدث لها وهو يتحاشى النظر إليها:

- أتودين أن تري الجنة.

لم ينتظر إجابة التفت إليها مستطردًا:

- أتسمحين أن نكمل حديثنا في الجنة؟

تفهمت ما يري إليه، نهضت من جلستها وارتسمت على وجنتيها بسمة رقيقة، ظهرت لها غمازتاها فأعادت لوجهها برأته ورونق دلاله الأنثوي الطفولي البديع، نقلت الكرسيين إلى الشرفة؛ جلسا في مواجهة ولم يكُن هنالك داعٍ لحديث آخر منه يطلب منها فيه إفراغ ما لديها؛ تضرعت إليها عيناها راجية بالسؤال وقسمات وجهه تضرعت لها أن تفرغ ما في جعبتها؛ تلقي أحمالها عليه، لم تخب رجاء عينيه ولا تضرعه أسهبت في سردها؛ هي تلك الفتاة التي عشقته مُنذُ أيام دراستهما الجامعية؛ [illegible] أو تبوح يومًا لأحد بهذا الحب، تابعت كل أزماته وشاركته بها وساعدت في حل كثير منها دون أن يعلم، كانت أكثر الأشخاص فخرًا بتقدمه، هي من رشحته لبناء هذا المستشفى لوالدها؛ هي من كانت وما تزال تحلم كل ليلة بيوم يتكلل فيه عشقها بأن تجتمع معه في بيت واحد، حتى زيجتها لم تأتِ إلا بعد زواجه بأشهر وكان يأسًا من امرأة تعلم كل شيء عن رجلها، هو القرار الوحيد الذي ندمت عليه بشدة؛ ولكن لم يعُد هنالك أي نفع من هذا الندم، لكم ضغط عليها هذا الزواج؛ لقد اتخذت هذا القرار في توقيت كان الأصعب لها؛ لقد تزوج فارس بروان في

التوقيت الذي كانت تظن أنها الأقرب له، وأن الأمر ما هو إلا مسألة وقت حتى يأتيها طالبًا منها الزواج كان هذا هو حُلمها، ولكنها استيقظت على كابوس حقيقي وهو خبر زواجه من روان؛ اعتُصر قلبها عصرًا من الألم، ذبُلت زهور روحها واجتاح بستان عشقها الشوق يلتهم أزهاره كافة، ألم مفرط لا يتحمله بشر أن يرى بعينيه ضياع معشوق عمره منه؛ والأكثر ألمًا أن من استحوذت على معشوقها لا تستحقه، فكان قرارها بالزواج هربًا من عشقها، ظنت أنها بقرارها قد تنجو من آلامها وخاب ظنها أسرع من ما توقعت؛ رغم كون الزوج هو طبيبًا من عائلة ثرية وشابًّا مثقفًا لأبعد حد، أنهى دراسته بإنجلترا وقد تدرب تحت يدي والدها في إحدى زيارات عمله بإنجلترا وهو سبب المعرفة بين العائلتين، إلا أن زواجها منه كان الأكثر ألمًا على الإطلاق والأشد وجعًا لقلبها وتمزيق ما بقي لها من روح؛ عكف هذا الزوج على إسعادها طيلة شهر العسل بشكل جنوني، اصطحبها إلى أرقى شواطئ العالم، وأفخم مطاعمه وأجمل متنزهاته؛ حتى هذا اليوم بعد مرور قرابة الشهر على زواجها حينما جلس يواجهها على طاولة في أحد مطاعم فرنسا، شرد في عينيها كثيرًا وهي صامتة شاخصة العينين والروح، حتى قطع هذا الصمت بكلماته:

– أتسمحين لي أن أسألك سؤالًا؟

– تفضل.

- أنت ممثلة فاشلة خاصة في محاولاتك تمثيل السعادة، مُنذُ تزوجنا وأنا أعكف بكُل الطرق على إسعادك، ورغم كُل ما أفعل دومًا ما أرى في عينيك نظرة الحزن التي تملأ عينيك تلك؛ فما سبب هذا الحزن؟!

هربت من عينيها دمعة حرقت قلبها أكثر من حرقها وجنتيها من أثر سؤاله، كيف تُجيبه وبمَ تُجيبه؟ رغم آلاف الأزهار التي جلبها لها كانت لتُسعدها زهرة واحدة من معشوقها؛ آلاف الكلمات الرقيقة ما كانت لتُغنيها عن الكلمات القليلة التي تأتيها من معشوقها بين فترة وأخرى يطمئن على زواجها وحالتها، عشرات الرحلات لأجمل مزارات العالم وأرقاها، ما كانت تغنيها عن جلستها أمام معشوقها بمكتبه؛ كيف تشرح له أن قلبها لم ولن يتقبل إلا فارسها، وكُل محاولاته لاحتلال ولو جزء صغير من قلبها هي أشبه بمحاولات ردمك للمحيط بحفنة غبار في يدك، ما إن تنثرها حتى تضيع هباء؛ كيف تُجيبه وهو بكُل ما يفعل يضغط على قلبها وروحها أكثر فأكثر، تملكها شعور غلب كُل مشاعرها تجاه فارس وهو الذنب تجاه هذا الزوج؛ فما كانت لتخُونه وهي تحمل اسمه ولو بقلبها، ولكنها لا تملك هذا القلب فهو ليس بيدها هو بيد رجل آخر جعلها لا ترى في العالم رجلًا غيره؛ كان الحل الوحيد أمامها لتخرج من تلك الحالة هو أن تُجيبه بالصدق وتُعلمه بكُل شيء حول فارسها وهو ما حدث؛ أعلمته بكُل تفاصيل علاقتها به مُنذُ أن التقته حتى الساعة التي تجلس فيها أمامه على تلك الطاولة، أنهت حديثها وهي تنتظر رصاصة الرحمة منه، ولكن الرحمة من وجهة نظرها لم تكُن سهلة المنال بالمرة؛ التقم هذا الزوج حديثها بهدوء غريب وأجابها بهدوء أغرب:

- الآن فقط قد تفهمت سبب حزنك، ولكِ أن تعلمي أنكِ لم تكوني في حاجة للتأكيد في حديثك على أنكِ لم ولن تكوني خائنة، فأنا على يقين من ذلك، وأعلم من هي المرأة التي أعطيتها أسمي.

كانت تلك كلماته الأهم لها من حديثه الطويل، الذي دلل لها فيه على أن تلك الحالة سوف تنتهي مع الوقت خاصة وأن هذا الشاب تزوج وهو ليس لها، وهو ما لم تقتنع به ولكنها لم تكُن تملك خيارًا إلا أن تتقبل كُل حديثه وقراراته فهي تعلم لكم جرحت رجولته وكرامته بحديثها؛ القاعدة الأولى لأي امرأة ذكية هي إياكِ أن تتحدثي عن رجل في حضور رجل آخر، فكيف يكُون الوضع وهذا الرجل من تُحب والآخر هو الزوج! جاهدت وتحملت فوق طاقة البشر طوال هذا الزواج وهي تحاول تقبل هذا الزوج وإعطاءه مساحة ولو ضئيلة في قلبها وباءت كُل محاولاتها بالفشل، ظنت أنها يمكنها معه تخطي هذا الحب الذي يملأ كُل كيانها تجاه فارس وخابت كُل ظنونها، ولم يكن هنالك مفر من الطلاق بعد دخول معشوقها المستشفى؛ فاض الكيل ولم يكُن أمامها إلا هذا الحل بعد آخر موقف بينها وبين زوجها فكان عاصفًا لها بكُل ما تعني الكلمة من معنى، قبل دخول فارس للمشفى كان قد تملكه حزن لا تعلم سببه، فحزنت أكثر منه وهو ما لم يتقبله زوجها في آخر لقاء بينهما، وكان ينتظر عودتها من عملها بمنزلهم وما إن دلفت حتى نظر لها وأومأ برأسه رفضًا وانفجر حديثه:

- أنتِ لا تتعلمين الدرس مُطلقًا؛ ولا ترين إلا تحت قدميكِ، تهرولين خلف رجل لن يلتفت إليك ولا ترين رجلًا وضع العالم أسفل قدميك.

كأنما أطلق لجام مهرة جامحة بكلماته.

فجاءه الرد أقوى وكان أقرب إلى الصراخ:

- وما أدراك أني أُريد هذا العالم أسفل قدمي؟ فما أريد من هذا العالم إلا أن أكُون تحت قدمي هذا الرجُل الذي تتحدث عنه، إن كُل ما تقدمه في كُل مرة من محاولات كانت تؤلمني أكثر وتُشعرني بالذنب أكثر فأكثر، أنا لست خائنة ولن أكُن عاهرة وأنت تعلم.

لم يكُن لرجل مهما بلغ صبره أو قوته أو ثقافته أن يسمع مثل حديثها وهو زوجها وهي توجه الطعنة تلو الأخرى إلى كرامته ورجولته دون رد فكان رده هو الآخر أقوى وخرج من حنجرته كرصاص يمزق ما بقي لها من قلب تمزيقًا:

- ومن أدراكِ أن ما كُنت أقدمه لكِ كُنت أقدمه وأنا سعيد، لقد كُنتِ ممثلة فاشلة، أما أنا فكُنت ممثلًا بارعًا؛ طالما تصنعت الرضا والسعادة أمامكِ وأنا تتقطع نياط قلبي وأنا أرى ردة فعلك تجاه ما أقدمه لك؛ لم أشعر للحظة بالسعادة في عينيكِ وأنا أغدق عليكِ في احتوائي لك؛ لم أشعر بالسعادة في عينيك حينما اتخذت قرارًا ألا أطالبك بحقوقي عليكَ حتى أرفع عنكِ ألم الشعور بالخيانة في داخلك؛ أما أنا فكُنت أتمزق كُل ليلة بينما أنت نائمة، وأنا أقف أمامك وأعلم أن رجلاً آخر يملك قلبك

ويملك أحلامك وهو معكِ فيها، وأنا مكتوف الأيدي؛ ماذا تظنين؟ أنكِ وحدك من يتألم؟! تأكدي أنكِ قد ذبحتني ذبحًا، أهدرت كرامتي ورجولتي تحت قدمي عشقك المجنون.

تلقت كُل كلماته بدموع لم تتوقف للحظة؛ ما كانت تتمنى أن تؤول علاقتها بهذا الزوج إلى هذا الحد، كانت على يقين من أنها لسوف تنتهي لكنها ما كانت لتتمنى أن تجرحه لهذا الحد، لقد مزق روحها بحديثه وزادها ألمًا فلم يكُن لها من إجابة عليه إلا كلمةً واحدة وهي:

- طلقني.

وهو ما حدث، كانت تظن أن الأمر انتهى هنا وانتهت مواجهاتها، وهو ما اكتشفت ضده في أول يومًا لها بالشركة بعد دخول معشوقها ومالك الشركة إلى المشفى لدى والدها؛ إلا وبدأت تخرج ديدان الأرض من مكامنها؛ أول صدام كان بزوجة عشيقها، والتي ظنت أنها بفرض القوة والبأس والتهديد بكشف عشقها لزوجها قد تُثني تلك الفتاة عن دورها في حماية أموال فارس من يد تلك الساقطة؛ كان لقاؤهمَ عاصفًا فلم تتخيل الزوجة أن تلك الهزيلة الضعيفة بتلك القوة؛ فلقد صفعتها صفعًا بردودها الحازمة الصارمة، وجاوبت عن كل تهديد بتهديد أقوى؛ فإن هددتها بفضح حب عذري تجاه زوجها، فكانت الصفعة أنها لم تعد متزوجة، وأما التهديد فكان أشد شراسة وقوة فأجابتها؛ إن تفضحي حبًّا عذريًّا فأنا لديَّ امرأة متزوجة على علاقة بشاب من قبل زواجها والأهم أن الزنا مستمر بعد زواجها؛ والأهم سرقة تلك المرأة لأموال الزوج لتنفق على علاقتها

المحرمة؛ بلغ الصدام ذروته وحاولت الزوجة التطاول عليها سبًا وتطاولًا لليد؛ بدت الشراسة في تلك الطفلة تبددت ملامح الطفولة من وجهها وتبدل جسدها الهزيل إلى قوة جبارة؛ وما كان إلا أن اقتادها بالقوة تُلقيها خارج المكتب أمرة الأمن بطردها ومنعها تمامًا من الاقتراب، من أيٍّ من ممتلكات معشوقها، وتمادت الخلافات بينهم طيلة الفترة التي احتجز فيها فارس بالمشفى، وما لم يخبره به القاضي عدة دعاوى رفعتها زوجته تجاهها، بالاختلاس وخيانة الأمانة؛ والاتهامات بأنها على علاقة محرمة به ودعوى أنها تحتجز زوجها بمستشفى والدها عنوة؛ كل تلك الدعاوى سقطت ولم تنجح أيٌّ منها إلا دعوة وقف التوكيل بالأمس؛ وهو التوكيل الذي حالت به دون اقتراب أخيه أو زوجته من أمواله؛ ولم يقتصر الأمر على الزوجة وحدها ضدها، تحالف معها في كل الدعاوى ضدها شقيق فارس؛ إن ما كسر تلك القوية لم يكن أي شيء في هذه الرحلة، لا سباب ولا دعاوى قضائية ولا نيلهم من سمعتها وشرفها بألسنهم؛ ما قهر تلك القوية هو قرار الأمس من المحكمة بوقف توكيلها الذي حافظت به على أمانة حبيب عُمرها؛ سُلب منها سلاحها للدفاع عن معشوقها وسُلبت مع هذا القرار قوتها وصلابتها؛ طوال الفترة الماضية لم تبكي قط، ولم تخف على حبيبها طالما تمسكت بتلابيب الأمل ولم تضعف قط أمام اليأس؛ قهروا المرأة في حبها وكرامتها وقوتها، أشعروها بهوانها وخوار قوتها وأنها لن تستطيع منعهم من الوصول إلى جثة معشوقها وتمزيقها أمام عينيها؛ امتد الحوار بينهما ساعات طوال، فاض كل منهما بما يحمله، فأخيرًا وبعد كُل تلك السنوات أعلمته بحبها له وبكل تفاصيل حياتها؛ لم تكُن تتحمل أن تكتم ما

كوما

بداخلها أكثر أما هو فلم يسمح بأي مقاطعة، حتى تلك الممرضة حاولت إعطاءه العلاج أكثر من مرة ويرفض؛ ولم يكُن هنالك حلا من إنهاء تلك الجلسة الطويلة من نظرها إلا الدكتور علي؛ والذي صدمها بجوابه على طلبها تدخله لإنهاء الجلسة؛ فصعقها برفض طلبها وأكد أن تلك الجلسة أهم من الأدوية التي سوف يأخذها؛ وأمرها ألا تحاول أن تتدخل بأي شكل؛ ولكن أمره لم يمنع فضولها من التجسس بين الفينة والأخرى واستراق النظر عن ما يحدث وهل انتهت الجلسة؛ ورغم عدم سماعها شيء فإنها جلدت عقلها جلدًا لتحاول استنتاج الحوار الدائر بينهم وسبب طول تلك الجلسة؛ الفضول مرض يورط صاحبه دومًا، وقد يؤدي به إلى مقتله أحيانًا.

***

8

اندفع إلى مكان لقائه بتلك الساحرة التي أسرت فكره وقلبه من الوهلة الأولى؛ وما إن اقترب من مكان لقائه بها؛ حتى شدهه وجودها، تسارعت دقات قلبه بشدة وزاد اضطرابه؛ وهو ما تعارض مع حركته فهدأت خُطاه، حتى اقترب منها وبسط يده سائلًا وهو يعلم الإجابة:

- نوران؟

وصلته الإجابة التأكيدية لما يعلمه مُسبقًا، وبدأ الحوار حول دراستهم والامتحان وسهولته، وأدهشته مرة أخرى حينما أكدت له أنها متفوقة، ليكتشف أنها حقًا لا تُمت لتلك المجموعة من الفشلة بأي صلة، وطالت الجلسة وتشعبت الأحاديث بينهم؛ وقبل وجوب انصراف كليهما كان قد أعطاها رقم هاتفه بمنزله، لم يكُن يتخيل أن يصله في يومه ذاك اتصال منها بعدما تبين من حواره معها أنها من أسرة محافظة، وأنها شخصيًا مُتشددة كثيرًا؛ إلا أن الاتصال وصله يومها منها ولم يتوقف نهائيًا من وقتها، تعرف كلٌ منهم على الآخر وتبدلت المشاعر والأحاديث وتطورت العلاقة على

مر الزمن بينهم، تبدل روتين حياته الممل فقد دلفت إليه تلك الجميلة تُشع نورًا وأملًا وجودها أشعل نيران حماسته التي لا تنطفئ؛ ألهبت روحه وقلبه بدأت معها الحياة تضيء وتدخل السعادة إلى قلبه الحزين؛ هذا هو الحب الذي طالما انتظره أضاءت بحبها دروبًا كانت أحلك في ظلمتها من القبر، هذا الحب أضاء كل درب في حياته وسهلت أعماله التي تطور بها بشدة حتى أصبح أحد أمهر صُناعها وأعلاهم سعرًا وكفاءة، ورغم هذا التطور والتقدم واتساع دخله المادي لم يكُن كافيًا له، كان يشعر أن طاقته أكبر بكثير ويجب أن يستغلها وكان يجاهد في حرب مع الزمن ليصل لما حدده لنفسه مُنذ ليله رحيل كل أحبائه؛ حتى هذا اليوم الذي جلس في عمله مع محمود صديق ورفيق العناء والجهاد؛ والذي أثنى على تطوره الحرفي الممتاز والسريع، والذي عرض فيه على هذا الرفيق خطته؛ والتي تمثلت في رغبته احتراف جميع مهن العمارة بالكامل؛ وألا يقتصر على فرع واحد فيها، ورغم صدمة رفيقه من الطلب فإنها تبدلت إلى إعجابًا شديدًا؛ حينما أبلغه بالسبب وهو أنه يُريد لنفسه ألا يتوقف ساعة عن العمل، فإذا تعطلت حرفة منهم لأي سبب يتجه للأخرى، وأسره أنه يحلم باليوم الذي سوف يمتلك فيه إحدى أكبر شركات المقاولات في مصر، وأنهُ يسعى لتحقيق هذا الحلم بأقصى قوة وسرعة، وتم الاتفاق بينهم على السعي مع كل محترفي مهن المعمار من زملائهم ومعارفهم لتدريبهم، لم يمر عام إلا وكان أحد أمهر الحرفيين في مهن المعمار كافة، وبدا الدرج بغرفته صغيرًا للغاية، ولم يعد مؤهلًا لحمل أمواله وكانت خطوته الأولى للبنك، كان مُتيقنًا أن السبب في تلك الطفرة هو عشقه لتلك الفتاة التي ألهبت حماسته وروحه

وأدخلت لقلبه نارًا جديدة وهي الغيرة، طالما رأى فيها هدفه ومبتغاه، حافظ عليها بكل قوته، حتى اللقاء كان يحرمه كلاهما، فلم يكن يحدث سوى مرة أو مرتين على الأكثر خلال العام الدراسي وبداخل أسوار جامعتهم العريقة، طالما رأى فيها كل نساء الأرض وأقدسهم، حتى ذاك اليوم الذي هاتفته فيه وهي تبكي وتنوح من ورطتها والتي كانت متمثلة في سرقة مبلغ منها وكان كبيرًا حقًا، وما كان منه إلا أن طلب لقاءها فورًا وتدبير المبلغ المطلوب لها؛ وخلال ساعة كان لقاؤهم مُقتضبًا، سلمها المبلغ وطالبها بالإسراع في تسديده إلى صاحبته وكانت

خديجة كما قالت له يومها؛ كان هذا اللقاء قُبيل امتحاناتهم بقرابة الشهرين، وانقطع اللقاء كالعادة؛ وهو ما لم يكُن محل دهشته فهي عادتهم؛ إلا أن ما شدهه انقطاع مُكالماتهم الهاتفية.

قاطع سرده مُجددًا جرس هاتفها؛ بدا له الاتصال مهمًا من نهوضها السريع وهي تقبض على هاتفها بيدها، اعتذرت له عن المقاطعة ووجوب ردها على الاتصال موضحة أن المتصل شقيقتها الكبرى؛ تفهم من إجاباتها أن شقيقتها تؤنبها على التأخير، وأن هنالك من سوف يأتي لاصطحابها؛ أنهت الاتصال وعلمت من عينيه بحثًا عن أجوبة لأسئلة يود أن يسألها؛ بادرت بالإجابة عنها، أعلمته أنها تعيش مع شقيقتها الكبرى وأن زوج شقيقتها سوف يصل خلال دقائق لاصطحابها للمنزل، واعتذرت عن المقاطعة كما عاهدته على استكمال حديثهم غدًا؛ رحلت من الغرفة تتابعها عيناه من خلفها؛ تحسست خطواتها ببطءٍ تجاه غرفة التمريض، لم تعُد تفهم

كوما

شيئًا، لَمَ تسعد بوجودها لجواره؟! ولَمَ يُحزنها الفراق؟! ولو كان لساعات قليلة، كُلما جاهدت في تسمية أو اكتشاف ما تشعر به فشلت؛حتى عادت لقناعتها بألا تبحث عن أسباب أو مُسميات، لم تكُن تعلم أن الأسباب والبحث عن المسميات هو ما يقتل أسمى العلاقات؛ وحده الحب هو ما لا يمكن تسميته، وقد تُصيبنا صدمته بالتشتت، نشعر بارتياح، أمان، ثقة، شوق، احترام، تقدير؛ إلى أحدهم، ومن الصدمة نعجز عن القول بأنهُ حب؛ وحده الحب هو ما تعجزون عن تسميته، فهو أسمى من الصداقة، وأكثر من قرابة الدم، وأسمى من كونه انجذابًا؛ وكثيرًا ممّن يصابون بالصدمة وترفض قلوبهم التسليم وتفشل ألبابهم في التفسير ويحاولون تسميته أو وضعه في أي بوتقة أخرى، يقتلونه وهم لا يشعرون؛ و هؤلاء الرافضون والفاشلون ما هم إلا الاستسلام، كُلما جاهدوا لتفادي الغرق في نهر الحب، ضعُفت قواهم وخارت عزائمهم، مهما جاهدوا لن تصل قواهم إلى سرعة تياره، ومن استطاع أن يسبح يومًا ضد التيار ونجا؛ وحدهم من يسبحون مع تيار النهر الجاري يصلون؛ لا تدهشهم النهايات وإن أوصلتهم إلى أماكن ما أرادوا يومًا الوصول لها؛ ولكن تبقى المتعة الحقيقية في الرحلة بحد ذاتها؛ وهي اللذة التي لا يُصيبها السابحون ضد التيار؛ فإن لم يعودوا إلى الخلف، أقصى ما قد يصلون إليه البقاء في أماكنهم؛ وهي دون أن تدري، قررت أن تسبح مع التيار؛ خرجت من غرفتها واندفعت باتجاه المصعد، هبطت إلى الدور الأول دون أن تلاحظ أو تهتم لمن قابلوها، اتجهت إلى الباب وكان زوج شقيقتها ينتظرها بالسيارة، هو في أواخر الأربعينيات، متوسط الطول، لهُ كرش متوسطة، وشعر

كوما

أسود، أنف طويل، وعينان سوداوان،، بشرة تميل للسمرة، ورغم كونه في أواخر الأربعينيات، لا يبدو عليه عمره ألبتة؛ فتحت الباب ودلفت إلى داخل السيارة، وبادرت بالاعتذار عن إرهاقه والتسبب في نزوله ليلًا مُعللة السبب عملها، أجابها بأنها ابنته التي لم ينجبها وأن رعايتها مسؤوليته، وكعادته فهو مهووس بمظهره سألها عن رأيها في عطره الجديد، لم تحتمل أن تترك الأمر أكثر فأجابته:

– أكثر ما يُعجبني بك يا عبد الرحمن هو اهتمامك بنفسك.

– ولِم لا أهتم، الإنسان خُلق ليستمتع بالحياة.

– أتمنى أن يصل جزء من هذا الاهتمام إلى فاطمة.

التفت لها برأسه وانفتحت أعينه على اتساعها سائلًا:

– وهل اشتكت لكي من شيء.

– أو يجب أن تشتكي حتى أطلب منك أن تهتم بها؛ طوال النهار وأنا وأنت بأعمالنا، وهي تُفني حياتها وذاتها في خدمة أبنائكم، وليلًا تُفني ذاتها برعاية أصغر أبنائكم وهو الذي يجافي عينيه النومُ تمامًا ليلًا بينما أنا بغرفتي نائمة وأنت بغرفتك نفس وضعي؛ وإذا ارتفع صوتهم نالوا الصرخات إما منك أو مني طالبين الراحة؛ أهذا هو العدل؟!

– الأمر خارج عن إرادتي تعلمين عملي وصعوبته؛ أشيري عليَّ بما أفعل.

- إذا كان يوم إجازتك الأسبوعية فاصطحبها بأولادك لأي مكان تتنفسون فيه.

- رغم أنه حل مرهق فإني أقبله؛ أصطحبهم مرة وتصطحبينهم أنتِ مرة.

- هي ليست زوجتي، أنت من يجب أن يملأ دوره ولا يترك فراغًا؛ أشعرها بقيمتها وقامتها، لا تُشعرها بأنها مُجرد خادمة في منزلك تخدمك أنت وأولادك.

- تفهمت ما تقصدين وأعدك بالتغيير.

لاذت بالصمت وهي تتابع الأبنية التي تمر على يمينها من شباك السيارة، حتى توقفت السيارة أمام منزلهم، هبطت منها وصعدوا إلى شقتهم عبر المصعد، دلفت إلى داخل الشقة الكبيرة، دون أن تجد أثرًا لشقيقتها وأولادها في الصالة الكبيرة، والتي تحوي صالونين وسفرة، واتجهت إلى الطرقة الممتدة أمامها وفي أولها بابان، أحدهما لغرفة نوم شقيقتها وآخر لحمام صغير، وبدأت تلوح أطراف شعر شقيقتها من الغرفة التي تلاصق الحمام، فهو المطبخ الكبير وبلا باب، أسرعت باحتضانها من الخلف قائلة:

- اشتقت إليكِ.

استدارت لها، فهي أقصر منها قليلًا، جسد متوازن، بشرة أفتح من بشرة شقيقتها الصغرى، وجه أنهكه التعب، عينان ذبُلتا من طول السهر على أطفالها، شعر أسود لم تمسسه يد كوافير مُنذُ فترات طويلة؛ أجابتها بحنين تبعه فزعًا:

- وأنا اشتقت إليكِ أكثر؛ ماذا بك، لقد خسرتِ كثيرًا من وزنك؟!

- يا حبيبتي لنا أكثر من أسبوعين لم نلتقِ.

- الأمر خطير يا زينة إن مظهرك يُخيف؛ هل تأكلين جيدًا؟

مسحت على أرنبة أنفها بسبابتها وهربت بعينيها منها وأجابتها:

- قطعًا لا، أين هذا الطعام وأنا بعملي لا أكاد أفارقه؛ الأهم الآن حال أبي وأمي.

سألت وهي تعلم ما سوف ينتُج عن هذا السؤال من إجابة، لم تكُن تخفى عليها حالة أبيها المرضية المصاب بقصور شديد في عضلة القلب وتوقف صماماته عن العمل وشرايينه المتدهورة، والجراحة الفاشلة التي أجريت له مُنذُ شهر؛ ورغم ما تكلفته تلك الجراحة من أموال طائلة ساهم الجميع فيها، منها شقيقها الأكبر الذي ضحى بمدخراته لشراء شقة له، وهي التي استدانت مبلغًا كبيرًا من البنك؛ ولم يعد لحالته حلًّا إلا إجراء الجراحة بمركز للجراحات الدقيقة بإنجلترا؛ وكذا حال والدها المصابة بداء خطير في قلبها أقعدها عن الحركة وآلامه الرهيبة وعدم استجابتها للأدوية؛ وكعادتها كلما زاد الألم عليها والحسرة وهي تسمع انفجرت غضبًا في شقيقتها مُتعهدة بإيجاد حلٍّ للأزمة، أنهت الحوار بالذهاب للحمام تحصل على حمامًا قد يُهدئ ثورتها، انصرفت إلى غرفتها والتي تلاصق غرفة شقيقتها، ظنت أن الحمام قد يُنسيها كلمات شقيقتها التي تعلمها عن ظهر قلب، أُسرتها وتحمل كُل آلامها و أوجاعها، تحملها على عاتقها دون كلل

أو ملل أو شكوى، وما لم تكُن تعلمه شقيقتها أن ما دفعته من أموال، تكلفة العملية الجراحية لأبيهم، كانت قرضًا ولم يُسدد منه قسط واحد طيلة الخمسة أشهر المنصرمة على الجراحة، رغم أن راتبها كبيرًا، لم يكُن يكفي سد احتياجات أسرتها من أدوية ومساهمات لأشقائها لظروفهم الصعبة، وفُتات يتبقى لها تنفقه على نفسها، وما لم يكُن يعلمه أحد هو أنها تتداعى جسديًّا، دون أن تعلم السبب رغم خبرتها الطبية، فقد أشار عليها طبيب التحاليل بالمشفى أن تجري تحليلًا للدم، وقامت به بالأمس وهي تنتظر النتيجة، فقدت خسرت كثيرًا من وزنها دون سبب، فقدت شهيتها للطعام تمامًا، لم تعد تشعر بالجوع، فقدت الرغبة في النوم، ساعة واحدة قد تكفي ليومين متواصلين من العمل، فقدت الرغبة في كُل شيء فجأة، خرجت من حمامها وتوجهت لغرفتها، تبعتها شقيقتها ووضعت لها الطعام، حاولت أن تفتح أي حوار مع شقيقتها الصغرى، فيما اكتفت شقيقتها بالرفض مُعللة ذلك للإرهاق وحاجتها للنوم، وحتى تنهي الجدل أكدت لها أنها يجب أن تعود للمشفى في السابعة صباحًا، أي بعد أقل من ست ساعات؛ رحلت شقيقتها من الغرفة، نهضت خلفها وأغلقت الباب على ذاتها لتتحرر، اعتادت أن الباب المغلق عليها ليس سجنًا بل تحررًا، تخلع ملابسها بالكامل وبابها مغلق عليها،إلا من قميص يخفي صدرها ومؤخرتها؛ لم تكن ترغب في التحرر من ملابسها فقط، إنما كانت تتمنى لو أمكنها التحرر حتى من جسدها بأكمله؛ ولكنها الأمنية التي لا يُمكن تحقيقها إلا بالموت، وهو أكثر ما تخافه، لذلك ما إن يغلق عليها بابها، إلا وتكتفي بالتحرر من ملابسها؛ ولا تتحرر أبدًا لا من ذكريات حبها المؤلمة، ولا من

ألام أسرتها والضغوط المفروضة عليها، ولا من لوم ذاتها على كُل ما حدث وما يحدث وما سوف يحدث؛ لكنها في هذا اليوم لم تسنح لها الفرصة بهذا التقييد بالذكريات والآلام وجلد الذات؛ ما إن عادت إلى فراشها حتى سمعت جرس هاتفها، التقطت الهاتف ودققت في شاشته الكبيرة،((رقم خاص)) يتصل بك؛ لم تكن مُعتادة أن تجيب على أرقام غريبة، إلا أن شغفها قتلها للإجابة، من يكُون صاحب هذا الرقم الغريب؟! ولَم يتصل بها؟!، أجابت وكانت دهشتها وصدمتها كبيرة بالقدر الذي أذهلها فهو ذات مريضها، الم يكتفي بما دار من حوار طويل بينهم طيلة اليوم؟ كان هو أول أسئلتها له، وكانت إجابته أكثر ذهولًا لها بأنه لم يمل مُطلقًا من حديثه معها؛ قالها ولم يتوقف حديثهم طيلة الليل، حديثًا تلو الآخر تلو الآخر، حديثًا بلا نهاية ولا هدف، فقط هم يسمعون أنفسهم، لا يمكنهم ما إن ينتهوا من هذا الحديث أن يتذكروا منه شيئًا، هم يُلبون رغبتهم ويندفعون مع التيار ولا يبحثون عن أسباب، حديث الليل هو متعة ولذة لا يدركها إلا العشاق، يُلامون عليها بشدة، فيمَ تتحدثون؟ ولَم تتحدثون؟ ودومًا ما تجد العشاق لا يُجيبون، يكتفون إما بالخجل أو الضحك؛ لذة ومتعة لا تدركها إلا القلوب المحلقة في سماء العشق، لا حجاب ولا حاجز لها، تهرول وتهرول ولا يعنيها إلى أين قد توصلها هرولتها؛ قلوب تنعم بلذة الرحلة ومتعتها وخاب وخسر من لم يدرك لذة ومتعة الرحلة، لا يهتم العشاق بنهاية الرحلة، ولا يعنيهم إن كانت النهاية سقطة مدوية إلى الأرض؛ أو كانت اندفاعًا أكبر إلى فضاء العشق بلا هوادة، من يعشق حقًا لن ينشغل بالنهايات، ينعم بجمال ومتعة الرحلة؛

هؤلاء هم العاشقون، ومن تعلقت قلوبهم بالأرض لن يروا إلا النهايات، فإما يرون نهاية خيالية تُعجز عشاقهم عن تحقيقها، أو نهاية مؤلمة مدوية تدفعهم ليؤدوا الحب من البداية، ومن يتعلق بالأرض لا يفيق من وهمه إلا حينما يشعر بما هو أشد وأقسى ما في الحب، وهو الفراق؛ ما إن يقع الفراق حتى يعلم إنما تعلق بوهمٍ زائف، لِمَ لم يشارك عاشقه أحلامه ورحلته؟!، لِمَ لم يندفع مع التيار؟! كُلها أسئلة تبقى لديهم بلا إجابة رغم وضوحها، تعلقتم بالأرض كثيرًا والخطأ فيكم؛ وعندما يفيقون يكون قد فات الأوان، ولا تبقى لهم إلا الحسرة على ما كان يمكن أن يعيشوه؛ الحب فرصة قد تتحول إلى عشقًا تهيم معه أرواح المحبين محلقة، تنعم بجمال الرحلة، أو يؤد في مهده ويتحول إلى فراق مؤلم، سماء مظلمة وأرض قاحلة تستحيل بها الحياة.........

***

9

العائدون من الموت

رحلت من الغرفة وعلى وجهها ابتسامة عريضة ونظرة إصرار قوية، فلقد نالت ما تتمناه طوال حياته، لقد أعلمت فارس بكل ما بداخلها ولأول مرة تشعر باللهفة في عينيه تجاهها، بيد لها أن تلك الجراحة قد غيرته تمامًا، أومأ لها إيجابًا ولم يكُن هنالك وداعًا، لن يفصلهما عن لقائهما القادم سوى ساعات قليلة وسوف تمر عليه صباحًا لتصحبه إلى المحكمة، أما هو ففور رحيلها تذكر شخصًا آخر رغم ضعف ذاكرته تذكر كل تفاصيل علاقته به وهو الحاجة ((أم محمود))؛ لكم كانت تلك المرأة غريبة في كُل شيء مُنذ اقترب منها وعمل مع ولدها، كان أول ما لاحظه عليها وبدا أكثر شيء غريبًا شاهده هو قراءتها المتمكنة من المصحف الشريف بالنطق الصحيح والتجويد، رغم كونها امرأة أمية؟! من علمها قراءة المصحف الشريف بهذه الكفاءة المتناهية؟! الكثير من المتعلمين يحتاجون إلى تدريب خاص لقراءة المصحف بشكل سليم فكيف الحال مع امرأة أمية؟! ويذكر

حين سألها حول الأمر وكيف تعلمت أجابته بأغرب جملة سمعها في حياته؛ ابتسمت له وأجابته في ثبات وهدوء يجب أن تُحسد عليه حقًا:

- أقرأ من الآية (81) بسورة يس إلى آخر السورة تجد الإجابة.

لم يفهم إجابتها في بادئ الأمر، حتى عاد إلى منزلهم وظلت إجابتها تدور برأسه ليندفع لأقرب مصحف يبحث عن الآيات التي أشارت لها وما إن وقعت عيناه عليها حتى ازدادت دهشته وتعلقه بتلك المرأة بالتأكيد خلفها سر كبير، وعادت تكرر معه ذات الألغاز حينما انقطعت عنه حبيبته الأولى وكاد يفقد عقله، فما إن وقعت عينيها عليه حتى ربتت على كفه برفق وأردفت:

- اقرأ الآية رقم (21) حتى (24) من سورة الأنفال ولسوف تفهم وتجد إجابة ما تُريد.

التقم حديثها وأسرع إلى منزله، فلقد تفهم الأمر فإجابتها دائمًا حول كُل أمر هي لغز، واللغز الأكبر هو أنه في هذه المرة لم يسأل وجاءته الإجابة؛ فما إن وقعت عينيه على الآيات حتى انفتحت عيناه على اتساعها وازداد حزنه وألمه، وتكررت تلك المواقف والألغاز بينهم كثيرًا حتى اعتادها منها وبدا يشعر باللهفة للغزها الجديد، لقد أيقن أن تلك المرأة تملك الكثير من الأسرار، وكان الموقف الأكثر دهشة له والذي جعله يتذكر كُل ذلك هو الموقف الذي حدث قبل زواجه من (روان)، شعر بأنه يتحتم عليه رؤيتها، توجه بسيارته إلى شارعهم القديم قرب الفجر، والأغرب له هو أن باب المنزل الخاص بها كان مفتوحًا على غير العادة،

دلف إلى داخل المنزل مقتربًا من باب شقتها بالدور الأول لتكتمل دهشته، فلقد وجد باب شقتها مفتوحًا وهي تجلس أرضًا وأمامها المصحف الكبير الذي دومًا ما تقرأ منه وبيدها مسبحتها الخشبية، وما إن وصل إلى الباب حتى ابتسمت له وأردفت في ثبات:

– ما الذي جعلك تتأخر إلى هذا الحد؟ أنتظرك مُنذ أكثر من ساعة، حتى تركت لك الباب مفتوحًا فدوما ما تُحب أن تصل متأخرًا.

ضحك بقوة وهو يقترب منها قبل يدها وجلس إلى جوارها وبادر بالحديث سائلًا:

– من أين لكِ أن تعرفين أنني آتٍ إليك؟ أم أنكِ تراقبينني؟!

ابتسمت بقوة وأجابته بثبات:

– ولِمَ لا تقول إني من أراد رؤيتك وإحضارك إلى هنا؟!

تعالت ضحكاته الصافية فهذا هو نهج حوارهم دومًا، السؤال بسؤال ولا يخرج أبدًا من نقاش مُنتصرًا على تلك العجوز أبدًا، حتى تعلم أن يسأل عما يُريد مُباشرةً حتى يحصل على لغزه ويرحل؛ فما كان إلا أن بادر بسؤالها عن زواجه فهو لا يشعر بالسعادة؛ هربت دمعة من عينيها وأردفت في حزن شديد:

– لن أقول أزيد مما أقول في كُل مرة إلا أن تينك المرة سوف أستبدل كلمة واحدة؛ أنتبه من الآية رقم (99) إلى الآية (101) من سورة المائدة تجد جوابك.

رحل ولم يفهم قط سبب حزنها وحتى حينما وصل إلى منزله لم يتمكن من فهم الآيات بشكل صحيح، إلا أنهُ تفهمها الآن بشكل كامل بعد رحيل (خديجة)؛ لو أنهُ كان من أولي الألباب لما كان ما كان، أنهى رحلته مع الذكريات واقترب من شاشة التلفاز بزاوية الغرفة لم يفصله عنها سوى سنتيمترات؛ أمسك جهاز التحكم يفعلها وكان تشوشًا تامًّا مثل المرة السابقة، ظل صامتًا فترة ليست قليلة ينظر لها وهي في حالة التشويش التام؛ لم يشعر بوجود الممرضة حتى رفعت صوتها تقاطع وجومه؛ استدار لها مُحافظًا على صمته ومكانه سلمها جهاز التحكم بالتلفاز طالبًا منها تشغيله؛ اقتربت من التلفاز فيما ابتعد هو إلى زاوية مُعاكسة للتلفاز على مقربة من فراشه؛ ما إن أمسكت الفتاة الجهاز وإعادة تشغيل التلفاز حتى وضحت الصورة تمامًا، ولم يعد هنالك تشويشًا بشاشته، استدارت وتحدثت له وهي ضاحكة:

- أظن أن التعامل مع التكنولوجيا كان ضمن ما فقدته بذاكرتك.

- أهذا ظنك !!

- الأهم الآن هو أين لبيت طلبك وأحضرت أستاذ (علي) موظف الاستقبال، هل ترغب في لقاءه؟

- بالتأكيد فلتحضريه.

وضعت جهاز التحكم على المنضدة قُربها و خرجت من الغرفة؛ نظر للتلفاز من موضعه وهو يعمل بكفاءة، وتحرك باتجاهه ببطء وعيناه لا

تغيبان عن شاشته، كُلما اقترب خطوة زاد التشويش في الشاشة حتى انعدمت الرؤية تمامًا بمجرد وصوله لموقع المنضدة التي تحمل جهاز التحكم، أمسك جهاز التحكم وأغلق التلفاز وجلس على أقرب كرسي منه؛ جلس ناظرًا لباب الغرفة ينتظر القادمين وعلى وجهه ابتسامة غريبة، ونظرات أغرب مجموعة من القوى تجتاحه، حماسة أم حزمًا أم قوة أم سخرية الأدق أنها جميعًا نظرة واحدة هي نظرته الآن، دلفت من الباب وتبعها رجل بدا خمسينيًا يرتدي نظارة طبية وبدا شخصًا رزينًا من الوهلة الأولى؛ تحرر هذا الخمسيني من صمته فور سألته سعاد أن يسرد كل ما يعلم؛ كان دقيقًا حتى في وصف السائلين ولم ينسَ أن يضيف تعليقاته عن أخيه الذي لم يأتِ إلا مرة واحده وكل ما كان يعنيه هل مات؛ وكذلك امرأة من وصفه لهيئتها وزينتها علم أنها زوجته، وأتت للسؤال مرتين وكان يصحبها شخص بدا له مقربًا جدًا لها، وكذا كرر نفس رأيه في أخيه في زوجته، وأن هنالك شخصًا يدعى عبد الرحمن لم يمر أكثر من ثلاثة أيام إلا وأتى لاهثًا في السؤال بحرارة ولا يرحل إلا بعد لقاء الدكتور على واستجوابه عن كل تفاصيل الحالة الطبية؛ حتى سأله في إحدى المرات عن علاقته بالحالة لما رآه من بكائه كثيرًا، حالته كانت حزنًا شديدًا وقهرًا وجرحًا؛ وكانت الإجابة مدهشة لهذا الخمسيني المتمرس في فرز الشخصيات والأشخاص في عمله هذا الذي قارب الثلاثون عامًا؛ تلخصت الإجابة في كلمة (صديقي)؛ أسهب في سرد ذكريات الصداقة المفقودة في هذا الزمن، ووفاء الصديق الذي بدا على هذا الشاب وصدق إحساسه الذي طمأنه أن الحياة بها جمال ووفاء؛ وكذا شاب اسمه محمود كان وضعه ذات وضع السابق؛ هنالك

شخص واحد يأتِ يوميًا إلا أنه لا يتعامل معه قط، دومًا ما يتجه إلى الدكتور على؛ لم تتغيب يومًا طيلة فترة مرضه، لم يسأل عن اسمها فهي معروفة له تمامًا ولكل من بالمستشفى؛ انتبه الحاضرين جيدًا لحديثه ولوصفه لها، انتظر سؤالهم عنها وهو ما لم يحدث فلقد اكتفوا بأسئلة الأعين؛ أجابهم أخيرًا بأن تلك الشخصية هي الفتاة التي انصرفت من زيارته مُنذُ دقائق هي (خديجة) ابنة الدكتور (علي) مالك المستشفى؛ نهض واقفًا وشكر الرجل وأكد له أوامر الدكتور علي بإجابة كل من يسأل عنه بأنه في الرعاية ولا يعلم أحد شيئًا عن حالته سوى الدكتور علي؛ توجه الرجل إلى الباب راحلًا وتوقف قبل الخروج وعاد مسرعًا للداخل قائلًا بقوة:

- هنالك أمر تذكرته بالأمس أتى أخوك وزوجتك ولكنهما لم يسألا عن حالتك؛ بل كان سؤالهما عن دكتور حسام وكان معهم شخص آخر وتوجهوا إلى مكتبه.

لم يبدُ منه انزعاج، أومأ برأسه إيجابًا وسأله:

- كم كانت مدة لقائهم به؟

- قرابة الساعتين.

أومأ له برأسه إيجابًا، رحل الرجل فيما عاد هو إلى كرسيه جالسًا وأشار للممرضة بالجلوس؛ فلقد أنهت نصف مهمتها بجلب هذا الخمسيني؛ وتبقى لها النصف الأهم له وهي قصة تلك الفتاة التي علم أنها أخذت منه أموالًا طائلة من خديجة، وادعاء تلك الممرضة أنه يُحبها وتحبه وهم على

علاقة لا يتذكرها؛ أراد أن يكتشف من هي تلك الفتاة وتلك الطلاسم في العلاقة ما دفعته لرفض طلب خديجة وقف تمويل رحلتها وأهلها بإنجلترا طالما لا يتذكرهم؛ فهو يخشى أن يكون هنالك أمر خفي ويأمل أن يجد إجابات لأسئلته عند صديقتها تلك وهي ممرضته؛ وهو ما بدأ يحدث فور حديثها، هم صديقتان مقربتان مُنذُ زمن، أسهبت في سرد مشكلات زينة الأسرية، ودورها الجبار في رعاية أسرها، وتدهور الحالة الصحية لوالدها ووالدها، وفشل ذريع في حالة حب لها قبل التقائها به، لم تخرج من صدمتها في هذا الحب حتى الآن، وأنها تغيرت من الحزن للسعادة والأمل في الثلاثة أيام التي قضتها معه، وانه كان الملاك المرسل لها من السماء، بدد أحزانها وحولها سعادة، وأنه تكفل بعلاج والديها كاملا، وأن الشيء الوحيد الذي كان مبهمًا لها وهي مشاهدة لهم، نوع علاقتهم فلم تحددها لها زينة ولا مرة، إلا أنها كانت تصر أنهُ حب؛ خصوصًا حينما أسرها زينة بأنهُ ظُلم كثيرًا وأنهُ ائتمنها على أسراره وانتقامه؛ توقفت الفتاة عن الحديث وشردت؛ قاطع صمتها قائلًا:

- أكملي حديثك.

- هذا هو كل ما أعرفه إلا أنهُ هنالك أمر لا أعلم إن يحق لي سرده عليك؛ ولكني على يقين أن زينة أخبرتك به قبل سفرها، فلقد أكدت لي أنها سوف تُعلمك به.

- إذًا تحدثي، فلا أذكر شيئًا.

شردت للحظات بدا الشيء الذي سوف يخرج منها خطيرًا؛ خرجت كلماتها بصوت ضعيف في البداية؛ بدا بقدر شجاعتها ويرتفع كُلما خاضت في الأمر، سردت لكم كانت زينة تُحب هذا الشاب الذي صدمها قبل معرفتها به، وتضحياتها ومدى عشقها وتأثرها بشخصيته؛ حتى تطورت علاقتهما بشكل خطيرًا وتجاوزت الحب العذري؛ أعطته كل ما تملك من روحها وأغلى ما تملك من جسدها؛ زفرت بآخر كلماتها ولاذت بالصمت تتابع تقبله لما سمع؛ والغريب ردة فعله فلم تكُن له أية ردة فعلًا تُذكر؛ حتى عيناه بدتا ميتتين لا مشاعر بهما قط؛ وما شدهها حقًا إجابته والتي جاءت بنبرة حاسمة:

– انتهيتِ من قصتك؛ أم هنالك شيءٌ آخر؟

– هذا هو كل شيء أعرفه عنها قبلك ومعك وحتى الآن.

– لكِ الآن أن تذهبي؛ أرغب في الانفراد بنفسي.

أنهى جملته واتجه إلى الشرفة تاركًا إياها خلفه؛ تأكدت أنهُ حقًا يحتاج للانفراد بنفسه، نهضت وهي لا تعلم أأخطأت بكشف سر صديقتها أم أصابت؛ خرجت من الباب وأغلقته وما إن استدارت لترحل حتى جاءتها الفزعة من رؤية دكتور حسام خلفها؛ باغتتها بسؤاله:

– حالة 666 نائم أم يقظ؟

– يقظ يا دكتور.

– اذهبي إلى عملك فلديَّ جلسة طويلة معه.

دلف إلى داخل الغرفة وأغلق الباب خلفه؛ مسح الغرفة بعينيه سريعًا باحثًا عن نزيلها ولم يجده، تأكد أنهُ بالشرفة، اتجه إليها وكان مستقبله يتكئ بمرفقيه على سور الشرفة شاردًا تمامًا بالدرجة التي لم تسمح له بالشعور بوجوده حتى رفع صوته ليُنبهه بوجوده:

- مساء الخير.

استدار واستقبله بحماسٍ شديد وترحيب بالغ وطلب منه الجلوس وهو ما أثار دهشة الطبيب فكلاهما يعلم أنه لا يحب الآخر، ولكن هذا لم يبدُ قط من ترحابه به، جلس وانتظر البداية وجاءته سريعًا على لسان مستضيفه:

- من الرائع رؤيتك يا دكتور حسام؛ كنت أحتاج إليك بشدة وجئتني بالتوقيت المناسب.

- أشكرك، في الحقيقة جئتك لأمر مهم.

قاطعه بحماسة:

- لن يكون أهم ممّا أريدك فيه؛ فلننهي ما أريدك فيه أولًا.

- كما تشاء.

سحب نفسًا عميقًا وزفره وبدأ يسرد له ما يشعر به من أحاسيس غريبة، ومشاعر متناقضة مُنذ أفاق من جراحته، وتلك الأشياء الغريبة التي تحدث معه، مثل عدم عمل أي شيئًا يعتمد على الإشارات اللاسلكية وهو بالقرب منه، محادثات المحمول اختبرها ولم يسمع شيئًا بلا سماعة تُبعد

الهاتف عنه مسافة ليست بالقليلة، ورغم دهشة طبيبه مما يسمع إلا أنه كان يُنصت بعناية لكل كلمة، أنهى حديثه له بسؤاله عما يعرف من معلومات طبية حول ما يحدث له، سيلاً من المعلومات تدفق يسحق ما يقابله، تناسى مؤقتاً سبب وجوده وأسهب في سرد معلومات لم تكُن أهم رغم دقتها من تلك القصص الخيالية التي سردها عن ((العائدين من الموت)) وأنهُ بحث مرارًا في هذا الأمر وأنهُ طالما اهتم به؛ فكان من أولى الروايات التي رواها له هي رواية أحد ضباط الشرطة بإنجلترا وكان في الثانية والثلاثين من عمره، تلقى بلاغًا حول سرقة أحد مكاتب البريد ليتحرك على الفور هو وزميلته لمطاردة اللصوص الذين علقوا في زحمة السير بعاصمة الضباب، ما إن اقتربا من السيارة وحدداها حتى ترجلا من سيارة الشرطة متجهين لهم سيرًا على الأقدام، شاهد حقيبة نقود صفراء على المقعد الخلفي للسيارة، وبينما حاول فتح باب السائق أخرج شريكه الذي كان جالسًا على المقعد الأمامي لجوار السائق مسدسًا وأشهره في وجه شريكته، مما دفعه لمحاولة جذب السائق من رقبته في محاولة لتقييده ومساعدة شريكته، لكنه سمع صرخة وطلقة مدوية، شعر بحرارة لاسعة تمر برأسه، ويسرد هذا الشاب أنه بعد الطلقة وفي جزء من الثانية شعر بنفسه يسقط في نفق ومر كُل شيء بسرعة، ويؤكد أنهُ لم يشعر بالرعب مطلقًا وكان بآخر هذا النفق سماء زرقاء صافية وساحل رملي بديع، وكان يقف على هذا الساحل والداه المتوفيان مُنذُ خمس أعوام وشعر أنه يُسحب إليهما وهما يتحركان باتجاهه وإذ فجأة توقف تمامًا؛ حتى لوح له والده وهو يقول له إنهُ ليس وقتك يا بُني، ويؤكد أنهُ لم يكُن كلامًا بل بدا وكأنه خاطراً ، يقول أنه

كان راغبًا في البقاء فلكم كان هادئًا وجميلًا تسوده الطمأنينة؛ إلا أنهُ احتفظ لنفسه ببعض الصور له وهو بالكفن وحضور أطفاله الثلاثة والذين مُنعوا من رؤيته لأن الطلق الناري هشم رأسه؛ وفي غضون ثواني شعر أنهُ سُحب بسرعة فائقة وبشكل ارتجاعي عبر النفق، سمع بعدها صوت بعض زملائه ليجد نفسه مُستلقيًا لجوار السيارة مُحاطًا بزملائه بعد إلقائهم القبض على اللصوص؛ والأغرب هو ما حدث له بعد ذلك، فلقد أخرج من الخدمة بالشرطة على أثر إصابته من الحادث وما يزال حتى اليوم يؤنب نفسه كيف نجى من هذا الحادث فلقد تبدل تمامًا حيث اتجه للعمل الخيري في منظمات عدة، ولم يعُد له همًا مُنذ يومها إلا مساعدة الآخرين؛ وكانت الرواية الثانية أكثر غرابة من الأولى وهي عن امرأة تعمل كاتبة مسرحية وشاعرة، تعرضت لتجربة العودة من الموت على أثر صدمتها من الموت المفاجئ لوالدها، تقول تلك المرأة إنها دلفت إلى داخل مكان كان بديع الجمال أقرب ما يكون إلى الجنة، ولم تكُن هنالك شمس، ورغم أن والدها توفيت في الشتاء إلا أن الجو في هذا المكان كان ربيعيًا، شعرت أنها يجب تسأل عن هذا المكان وهل لها أن ترى والدها؟! وجدت نفسها تتجه إلى غرفة بها كرسي وشاشة كبيرة للغاية، بدأت تلك الشاشة تعرض صورًا لأشخاص يعبرون جسرًا؛ وإذ بها فجأة ترى والدها بين هؤلاء العابرين، ولكنها كانت قصيرة وصغيرة جدًا أقرب إلى المراهقة عمرًا وجسدًا، لم تتمكن من رؤيتها جيدًا، ولكنها كانت جميلة للغاية وترتدي وشاحًا بلون السماء الصافية وتبتسم لها، وإذ فجأة اختفت في الزحام من أمام ناظريها؛ خرجت من الغرفة لتجد شخصًا لا تستطيع وصفه فسألته هل من الممكن

أن تبقى بهذا المكان الجميل؛ فأجابها بأنها عليها العودة إلى طفلها وكان عمره تسعة أعوام، وإلى زوجها وأضاف أن زوجها لن يعيش طويلًا وهو ما أدهشها، حيث كان زوجها يتمتع بصحة جيدة؛ وتقول إنها عادت تعبر ممرًّا فضيًّا، وشعرت أنها تعود إلى جسدها حيث أفاقت من الصدمة، جلست وهي مشدوهة بأنها لم تشعر بالوهن أو المرض من الحادث، نظرت حولها بالغرفة لتجد حقيبة اليد الخاصة بوالدتها والتي جلبتها معها في يوم وفاتها وكانت مفتوحة، اقتربت من الحقيبة وصعقها ما رأت وهو ذلك الوشاح الذي كان في رحلتها مع الموت؛ وتؤكد أن هذا الوشاح لم يكُن يومًا من أملاك والدتها ولا هي ولم تقع عيناها عليه يومًا؛ شعرت أن والدتها ترسل لها إشارة فتقبلت الأمر والأغرب لها هو سوء حظها في تحقق النبوءة التي أخبرها بها الشخص الذي لم تميزه في رحلة العودة من الموت، لقد انهارت صحة زوجها بشكل غريب وتدهورت حالته المرضية بشكلٍ أعجب ليتوفى في أقل من عامين على عودتها من الموت؛ إلا أنها لم تشعر بالبغض من تلك النبوءة حيث أمهلتها وقتًا جعلتها فيه تستعد لحياة لن يكُن فيها زوجها ووالد طفلها الوحيد؛ أما آخر الروايات كانت الأغرب بين سابقيها وهي عن شاب مصاب بمرض معوي مزمن ودخل إلى المستشفى لإجراء جراحة له في معدته، كان هذا الشاب يعمل كهربائيًّا في ذلك المستشفى ولكن تدهورت حالته في أثناء الجراحة بشدة، أصيب بتسمم في الدم وانهارت رئته وتم إخبار زوجته أنه على شفا الموت، يقول هذا الشاب أنهُ مر عبر ممرًّا ذهبيًّا ليرى نفسه راقداً في غرفة العناية المركزة وحول جسده الأطباء ويؤكدون موته ويتحركون بسرعة لمحاولة إنقاذه

وكان يرى كُل ما يفعلونه ويسمع كُل كلماتهم، والمصابيح كانت تشتعل وتنطفئ بشكل عجيب، ويقول إنه كان يشعر بالاطمئنان وخرج من غرفته ليجد زوجته تبكي بحرارة خارج الغرفة، ثم رأى نفسه ينظر للمبنى بالكامل ويرى طفلة صغيرة على سطح المبنى تلهو على السور الصغير لتهوي جثة هامدة؛ ورأى حذاءها قد تعلق في أثناء سقوطها أعلى أحد شبابيك المبنى وهذا الشباك لغرفة الطبيب الذي يجرى له الجراحة، لم يذكر شيئًا آخر عن تلك الرحلة ولكنه ذكر أنه لما أفاق في اليوم التالي علم من الأطباء أنه تعرض لحالة موت وعاد منها؛ وما شده الأطباء هو أنهُ أعلمهم بما فعلوا وحديثهم في التوقيت الذي كانوا يرون فيه أنهُ توفي، والأغرب إصراره على الطبيب المعالج له أن يبحث عن حذاء الطفلة القتيلة أعلى شباك غرفته؛ كانت صعقة الجميع مدوية من أن تلك الفتاة توفيت قبل عمله بالمستشفى لتكتمل الصدمة للجميع حينما وجدوا حذاء الطفلة حقًّا في المكان الذي وصفه هذا الشاب، فقد هذا الشاب عمله بعد رحلة عودته من الموت؛ كلما اقترب من مصباح ازداد ضوئه بشدة واشتعل، ولم يعُد يستطيع ارتداء ساعات اليد ولا الاقتراب من ساعات الحائط حيث إنها كانت تتوقف فور اقترابه منها! أنهى الروايات الثلاث وذكر أسماء مشاهير لم يتوقعها مستمعه حدثت لهم ذات الحالة، ورؤساء وملوك وهو ما شده سائله ودفعه إلى عدم قبول ما يسرده طبيبه؛ قطع حديثه وجلسته طالبًا الإذن بالذهاب لمكتبه دقائق والعودة لاستكمال الأمر، هرول خارجًا من الشرفة والغرفة تتبعه أعين فارس وعلى وجهه بسمة ونظرة غريبة؛ لم تُمر دقائق حتى عاد الدكتور حسام ويحمل معه الكمبيوتر المحمول الخاص به،

وعاد لاحتلال موقع جلوسه السابق في مواجهة حالته التي طالما بحث عنها، بدأ في الاتصال بشبكة الإنترنيت من الجهاز وعرض أبحاثًا تؤكد حديثه السابق وعرض أسماء المشاهير والصدمة جاءت من قدر الأسماء التي شاهدها وكان منها ملك راحل لإحدى الدول العربية ورئيس سابق لأكبر دولة في العالم؛ وهو ما دفعه للانتباه الشديد لحديث الطبيب بل طلب منه شرحًا مُفصلًا عن ((العائدين من الموت))؛ زفر بقوة وكأنما يخرج كل ما يعرف من داخله و أسهب بالحديث؛ ((العائدون من الموت)) هم أشخاص يتعرضون لأزمات صحية ويتوقف القلب تمامًا مع باقي أعضاء الجسد وهو ما يفسر النصف الثاني من الجملة وهو الموت؛ أما العودة فتأتي فجأة ويعود القلب للحياة والجسد وهو ما يفسر النصف الأول من الجملة وهو العائدون؛ الأغرب في هؤلاء الأشخاص هو الجهل التام من جميع البحوث وفي جميع الحالات عن سبب العودة المفاجئ، بعضهم يدخل حالة ال (كوما) الكاملة دقائق وبعضهم يمتد لأكثر من ساعة؛ ولا يوجد تفسيرًا طبيًا مؤكدًا عن سبب العودة، ولكن حد الغرابة والتشويق لا يتوقف عند مسألة العودة من الموت بلا سبب فقط؛ بل يمتد لأمرين أولهما هو ما يحدث للمريض في فترة ال (كوما)، ما الذي يشاهده ويسمعه وما يجري له داخل ال كوما؟!! أغلبهم إما يسرد أشياء خيالية لا تُمت للعلم بصلة عن مقابلة الملائكة والبعض عن الشياطين، والبعض عن لقاء أموات والبعض شاهد الجنة والبعض النار، والعلم لا يجد تفسيرًا؛ إلا أن الأخطر والأغرب هو الأمر الثاني وهو ما يحدث لهم من تغيرات بعد العودة؛ منهم من يتغير نفسيًا إما للأسوأ أو الأفضل من يعود شيطان ومن يعود ملاكًا؛ ولكن

الأغرب هو التغيرات الجسدية منهم من يعود ويحمل خصائص فوق الطاقة البشرية ويقف لها العلم حتى الآن عاجزًا عن التفسير ومنها حالات لا تستطيع ارتداء ساعة اليد فتتوقف عن العمل فور ارتدائها، ومنهم من يقوم بالتشويش على الإشارات اللاسلكية فتتوقف شاشات التلفاز عن العمل بوجوده؛ ويبقى دومًا السؤال عن التفسير العلمي لتلك الخصائص والحالات غير مُجدي أو دقيق حتى الآن؛ أما السؤال الأهم هو هل تتوقف قدراتهم الخارقة عند هذا الحد الذي قيل أم أنها تتعداه؟! وإذا كانت لهم قدرات أكبر وتتعدى ما نعرفه يأتي أهم سؤالين، لما يخفي العائدون من الموت تلك القدرات؟! وإلى أي مدى تصل بهم تلك القدرات؟! العائدون من الموت هم في عالم خاص بهم كُل ما يُحيط بهم غريب مجهول لا يملك أحدًا تفسيرًا له حتى الآن؛ والجميع يسعى ويحلم باليوم الذي يكتشف فيه أسرار عالم العائدين من الموت؛ انتهى من سرده الحماسي ناظرًا له بقوة يتمنى أن يخترق عقله وجسده ويشعر ما يمر به، وسأله السؤال الأهم وهو:

- لقد أعلمتني ما تغير بجسدك بعد العودة من الموت، ولم تُعلمني برحلتك نفسها في العودة من الموت؟!!

باغته فارس بإجابته المبهمة:

- دعنا نترك هذا الأمر للزمن على أن نظل على بحث دائم وتواصل حوله وتأكد يومًا ما سوف تعلم كُل شيء عن رحلتي؛ لكن الآن فلتبدأ بما كُنت قادمًا من أجله، فكلي آذان مصغية.

أومأ برأسه خنوعًا فبكل الأحوال لن يقتلع الحديث من داخل رأسه فالخنوع كان الخيار الأقرب له؛ أعلمه بأن زوجته وشقيقه قاموا بزيارته بالأمس بصحبة محاميهم،كانت زيارة طويلة سرد فيها شقيقه قصصًا مطولة عن الجحود تجاهه طوال زمن والزوجة التي اتهمت زوجها بالجنون وإساءته الدائمة لها ومحاولتهم بصحبة محاميهم إقناع الطبيب المُحنك، بعدل قضيتهم وأنهم يُريدون إصلاح ما قد فسد وتُعجزهم الأمور القانونية؛ وتم اختصار طلباتهم منه بالحضور للمحاكمة غدًا والكشف عن الحالة المرضية لفارس، أسره أنهُ في بادئ الأمر كان سيفصح لهم عن تقدم حالته الصحية بشدة وفشل قضيتهم، إلا أن ما دفعه لكتمان المعلومة هو قدر الإجحاف في حقه الذي ورد على ألسنتهم؛ فهم لا يعلمون مقدار القرب بين من يُحدثونه وبين مريضه؛ لذا لاذ بالصمت وأقنعهم بقبوله الحضور للشهادة غدًا، بل تمادى وأضاف أن الحالة الطبية لفارس سيئة وحقًا يحتاج لزمن للتعافي؛ ورحلوا على أمل شهادته بعد رفض الدكتور على مقابلتهم أساسًا فلم يسمح لهم الولوج إلى باب مكتبه؛ وأنهى حديثه بأنه جاء ليُعلمه بالأمر حتى يأخذ حظره وأن ما طمأنه هو زيارة محاميه له اليوم، وهو ما دفعه لتأجيل الزيارة على هذا الوقت الذي تأخر كثيرًا بعد أن طالت جلستهم؛ أطرق برأسه بعد ما سمع وأجابه بقوة:

- إذًا لنتقابل غدًا بالمحكمة.

- تأكد أني لن أنطق إلا بما يُمليه عليَّ ضميري.

- أنا على يقين من ذلك يا دكتور.

نهض الطبيب وتحرك ومُتجهًا لباب الشرفة مُغادرًا، قاطع رحيله سؤالًا:

– دكتور حسام، لي سؤالًا أخيرًا؛ ما الذي تعرفه عن زينة؟

اضطرب بشدة وبدا الانزعاج عليه قويًا أجابه بنبرة أكثر اضطرابًا:

– ممرضة بالمستشفى، لِمَ تسأل عنها؟

– علمت أني كنت على علاقة بها؛ ولا أذكر شيئًا لا عن تلك العلاقة ولا عنها.

عاد إلى كرسيه جالسًا سائلًا في شبق للإجابة:

– ما العلاقة التي كانت بينكم؟

– أخبرتك بعدم تذكري لأي شيئًا حول تلك الفتاة أو علاقتي بها؛ إلا أن ما علمته أننا كُنا على علاقة يُقال عنها علاقة حب! وما دفعني للاندهاش هو ما أخبرتني به مديرة شركتي حول إعطائي لها مبالغ مالية ضخمة؟!

اضطرب بشدة وبدا سؤاله يحمل كثيرًا من الغضب والاضطراب:

– أنت لا تذكرها بما يعني أنك لم تُحبها؛ أما هي هل تُحبك؟

شبك يديه خلف رأسه وتمدد بجسده للخلف زافرًا نفسًا عميقا وأجابه وهو ينظر للسماء:

– لا أعلم ان كنت أحبها أم لا؛ ولكنِ على يقين أنها تُحبني، فلنترك هذا الأمر لتوقيته المناسب فلدينا غدًا موضوعًا هامًا بالمحكمة.

رحل الطبيب من الغرفة ونهض هو أيضًا من جلسته، اتجه إلى درج الكومود أخرج هاتفه وعاد إلى الشرفة يحتل موقعه ناظراً للجنة، مُمسكًا بهاتفه في يده.

***

9

استفاقت من الحالة السحرية التي تهيم فيها، بنظرة إلى ساعة الحائط في غرفتها، والتي أشارت إلى تمام السادسة صباحًا، قاطعته دهشة من مرور خمس ساعات على حديثهم وتوعدته بإرهاقه فهي مُعتادة على قلة النوم، أنهت المحادثة ونهضت من فراشها، سؤالًا واحدًا أرقها أكثر من عدم النوم؛ كيف تحدثت معه قرابة الخمس ساعات في الهاتف بشكل متواصل؟!، أحاديث طويلة هامسة وكأنهم عاشقان يسترقان الكلمات بعيدًا عن الأعين؛ هزت رأسها بعنف تطرد الأفكار التي تتلاعب بها، اتجهت إلى الحمام ومنه إلى غرفتها ترتدي ملابسها، انسحبت من المترل بشكل سريع وهي تتعمد ألا يشعر بها أحدًا، لم تكن تحتمل نقاشًا آخر مع شقيقتها حول ما تعلمه يقينًا عن حالة أبيها وأمها المرضية، وما لا تعلمه شقيقتها عن حالتها هي؛ لم تمر أكثر من ساعة ونصف حتى وصلت إلى المستشفى، بدلت ثيابها وأسرعت إلى الغرفة ((666))؛ دلفت من الباب تبحث عنه بعينيها، وكان ساقطًا على فراشه يغط في نومه، اعتلت وجهها ابتسامة كبيرة وأومأت برأسها رفضًا، اتجهت إلى الكرسي، جلست وهي تراقبه

بعينيها، لم تمُر أكثر من لحظات حتى دق جرس هاتفه المحمول، حافظت على هدوئها وجلستها، نهض من فراشه مذعورًا ولم ينتبه إلى وجودها، أجاب على الهاتف في عجالة، بدت ردوده توحي بأنه يُحدث فتاة له عليها سُلطة يُطالبها بالإسراع في تأكيد حجزًا وانهُ سوف يُخطرها بالأسماء لاحقًا ورفض بشدة زيارتها، وبدت مُحدثته على مقربة كبيرة منه، وضح ذلك من توضيحه ومُحاولة رفض الزيارة بلطفٍ بالغ، أغلق الاتصال ووضع الهاتف أعلى الكومود، زفر نفسًا عميقًا ونهض من فراشه ليُصدم بوجودها بالغرفة، كانت قسمات وجهها تحمل آلاف الأسئلة قرأها جميعًا في لحظة، ضحك بقوة وهي تراقبه في صمت، قاطع ضحكه بسؤالها:

– مُنذُ متى وأنتِ هنا؟

نهضت من جلستها تواجهه وصبت نظراتها على عينيه وأجابته:

– قبل أن تستيقظ، عن أي حجز تتحدث ومع من؟!

أومأ برأسه إيجابًا وأتجه للكرسي، جلس ونظر لها نظرة طويلة وأردف:

– حجز طيران وإقامة ولكنه ليس ليّ.

– إذًا لمن؟

– ستعرفين.

نهض من جلسته واتجه إلى الكومود وأجرى اتصالًا من هاتفه:

– خديجة، الأسماء كالآتي.

التفت إليها وهي جالسة وما تزال دهشتها تسيطر عليها سائلًا:

– اسمكِ بالكامل وكذا اسم والدتك.

– لماذا؟!

– فقط الأسماء الآن وستعرفين كُل شيء.

نقلت له الأسماء وما تزال تسيطر عليها دهشتها، كان يومئ لها برأسه إيجابًا وهو ينقل الأسماء إلى محادثته، وكان آخر المحادثة الهاتفية يحمل تأكيدًا بضرورة أن يكون السفر فجر بعد غد على أقصى تقدير، أنهى مكالمته واستدار إليها والشغف يقتلها، آلاف الأسئلة في رأسها ولم تكن تحتاج لأن تصرح بها، لم يدُم صمته إلا لحظة واحدة وأسهب في الحديث:

– كُنت أتحدث إلى خديجة وهي مديرة شركتي وصديقتي والابنة الوحيدة للدكتور علي كما تعرفين، أما الحجز والسفر لوالدك ووالدتك وأنتِ أيضًا، السفر لإنجلترا في أكبر مركز هناك لعلاج السرطان والقلب؛ هو مركزًا على أعلى مستوى من الكفاءة والدقة الطبية.

ما إن ظفرِ بكلماته على مسامعها إلا وبدأ الأمر يتبدل بداخلها ومن حولِها، توقف الزمن تمامًا أمامها، أصبح كُل شيءٍ جليًا، مس سماوي أو شيطاني، لم تدرك ما أصابها في تلك اللحظات، رغم إسهابه في الحديث أمامها، إلا أن شفتيه تتحركان ببطء شديد، كل شيء بدا هزيلًا ضعيفًا وكأنهُ إما يحتضر أو يولد من جديد، لم تميز الأمر في بدايته، شرد ذهنها وعقلها مُحلقًا بعيدًا عن جدران الغرفة 666، رغم بطء كُل شيء وتوقفه

أمامها، حلقت مع ذكرياتها بسرعة البرق الخاطف، تذكرت تلك الأزمة المريرة بمرارة الصبار في حلقها، تذكرت سرها الدفين بعيدًا عن الجميع، لم يصل إليه أحدًا غير تلك المشاكسة سعاد، تذكرت من عشقته من كُل قلبها، من أطلقت العنان معه لروحها وجسدها، تعبُر معه كُل حدود المنطق والحب والتقاليد والجنون، تذكرت من صعدت سفينته في بحر هائج، صعدت تأتمنه على روحها مع رُبان لم تدرك أنهُ لا يعلم عن القيادة سوى أن يصل أينما يُريد هو، رُبان اخترق بالسفينة الهزيلة بحرًا لا يعلم معنى كلمة ضعف، دينه الوحيد الأقوى يلتهم الضعيف، رُبان لم يعلم من قواعد البحر أهمها وهي مهما كَبُرَ حجمك دومًا هنالك من هو أكبر منك، ومهما تلتهم فلسوف يأتِ اليوم ليلتهمك أحدهم، أمواج كانت تلاطم السفينة طيلة الرحلة بكُل عُنف وقوة، تُهدم أعمدتها وتُمزق شراعها كُلما طالت الرحلة أكثر، أين كان الرُّبان وهي معه على سفينته من مئات العواصف التي أطاحت بها على سفينته، دومًا ما كان يحتمي وحده خلف دفة القيادة، دومًا ما علل هربه من العواصف بأهمية دوره، ولم تفهم مع كثرة العواصف إنما دوره الوحيد هو حماية نفسه، يُضحي بأي شيء حتى يبقى سالمًا، تذكرت التضحيات التي بذلتها من أجله، تلك الحُرة الطاهرة العفيفة، من سددت ثمن حريتها جلدًا وسجنًا في شقتهم القديمة الخانقة، بذلت حُريتها تنقاد خلفه في تقيُد لامها عليه الكثيرين ولم تنتبه، عفتها ونقاؤها بذلتهما من أجله، ولم تنتبه أنه نهل منها ليُشبع شهوته ورغبته، حتى في رحيله كان أنانيًا كعادته لم يلتفت لمن مزقها وامتص دماءها حتى آخر قطرة، هربت دموعها تشق طريقها على وجنتيها، دموع الندم تحرق

وجنتيها وقلبها وكُل إنش في جسدها يُريد الصراخ والنواح، عامًا تلو الآخر بعد رحيله تتأوه صارخة ليرحمها بعودته ولم يلتفت؛ طرقت كُل الأبواب تُهين ما بقي لها من كرامة وعزّة ولم يُكرمها، لم يُعزّها بحقها وهي العزيزة ذات أنقى قلب وأطهر روح؛ حتى أبواب السحرة والمشعوذين طرقتها جميعًا ولم تفلح، لم تعلم أنما أراد الله أن يرحمها من ذئب ادعى أنهُ رُبان، كُل شخص يختار البداية كيفما شاء أما النهاية فلا يخُطها إلا الله وحده؛ بدأت تتفهم الآن أن ما هي به ما هو إلا مقارنة معقودة في ذهنها، هي تولد من جديد وأنهُ مس سماوي صافٍ، قارن ذهنها رغمًا عنها بين من يُبذل كُل ما في وسعه دون رغبة، وبين من لم يبذُل شيئًا وأخذ كُل شيءٍ، بين من ينظرها حورية في جنة الله لا ينبغي تدنيسها، وبين من رأى فيها عاهرة ينهل من روحها وجسدها كُلما أراد، يعتليها باسم الحُب، ويهرب كُلما جاء وقت دفع الثمن؛ لم تكن تعلم أنها أحبت شيطانًا، ولم تدرك يومًا أنه أنزلها من الجنة طاهرة إلى الأرض عاهرة مدنسة؛ اخترق بسمومه بساتين جنتها التي خلقها الله عليها بفطرتها، اقتلع أزهارها ليزرع مكانها أشواك الألم، بدل تلك الجنة إلى حفرة من جهنم، نعم حولها إلى عاهرة الشيطان وقد أيقنت ذلك؛ إلا أن ما لا تستطيع تفسيره إلى الآن أنها ما تزال تحبه! الآن هي ولدت من جديد على دموعًا تجففها بيديها وهي تستمع له، أسهب في سرد مزايا المركز الطبي وتصنيفه العالمي المرتفع، وأنهُ بنفسه كان قد حجز هنالك لنفسه، ولكن تراجع في اللحظات الأخيرة قُبيل السفر، أكد لها أنها لن تتكلف شيئًا مُطلقًا، كُل ما سوف يحتاجونه قد تم إعداده وتوفيره، صعقها آخر حديثه حينما كشف لها أنهُ علِمَ ليلًا ما إن

رحلت، بأنها مُصابة ب ((لوكيميا الدم)) لم تشعر بوطأة الأمر إلا حينما اقترب منها يُنهضها وهو يُمسك بكتفيها، وضع رأسها على صدره وتمادت كلماته عزفًا موسيقيًّا رفيعًا على مسامعها بقوله:

- لا تخشي شيئًا سأظل لجوارك أحميك وأدافع عنك؛ لن أرحل سوف أعود من أجلك.

أجلسها على الكرسي وجلس أمامها، أعلمها أنهُ علم بحالته الصحية ليلًا؛ وطمأنها أن المرض في بداياته وأن علاجه أيسر ما يكون، هذا ما أكده له طبيب المركز في لندن بعد محادثته ليلًا، كما توصل لرقم هاتفها من صديقتها سعاد؛ ورغم كُل الساعات التي تحدثوا فيها ليلًا؛ لم تتملكه الشجاعة لإعلامها بالأمر؛ أجهشت أكثر في بكائها وعلا نحيبها، فلا تعلم أتسعد بهذا الملاك المرسل لها، أم تحزن على ما أصابها من مرض؛ أم تحزن على أبويها؛ ضمها لصدره يُهدأ روعها؛ وأصر على طلبه في الثقة به، وأنهُ يدعمها بكل ما يملك من ثروة، وأصر على أنه سوف يتمسك بتلابيب الحياة فقط ليعود لها ويسعدها؛ هدأت قليلًا وبدأت تستجمع قوتها وأجابت على كُل حديثه بسؤال:

- لم تفعل كُل ذلك؟

نهض واقفًا ناظرًا لها بقوة:

- ولِمَ لا أفعل؛ لقد فعلت ما هو أكثر من ذلك بمراحل للعديد من الأشخاص، وما كان جزائي منهم إلا النُكران والجحود؛ لقد ظلمت نفسي

كثيرًا بالتفكير في جحودهم ونكرانهم تجاهي؛ وكُنت أنتِ السبب الذي دفعني للعفو عنهم جميعًا.

نهضت ونظرت لعينيه بقوة وأردفت بلهجة لا تقل قوة عن نظرتها:

– إن عفوت أنت عمَّن جحد تجاهك وقهرك بالقدر الذي أمرض قلبك؛ فأنا لن أعفو عنهم ولو لم يبقَ في حياتيَ إلا دقيقة واحده لأنهيها وأنا أسقيهم من ذات كأس القهر التي أسقوك منه.

ابتسم وقبَّل جبهتها وأردف بلهجة حنون:

– هذا شأنك والقرار بيدك في نهاية الأمر.

تحركت إلى الكومود أخرجت دفترها وجلست تستعد لكتابة ما سوف يسرده؛ نظر لها في صمت فقاطعت صمته:

– إذًا فلن نُكمل ما بدأناه.

أومأ برأسه قبولًا وأسهب في سرده؛ بدأ العام الدراسي الجديد واستمر معه الانقطاع بينه وبين نوران، جاهد مرارًا وتكرارًا في فهم السبب لهذا الانقطاع وفشل، حاول الوصول إليها بأية طريقة وعجز؛ حتى أتى أول يوم في امتحانات نصف العام، بكّر كثيرًا في ذهابه هذا اليوم فهو لم تغفُ عيناه طوال الليلة؛ نار موقدة في قلبه وعقله عن معشوقته وما حدث لها؛ وكان أكثر ما أصلى قلبه وعقله قلقًا هو لغز (أم محمود) الذي ألقته له دون تفسير كعادتها؛ ما إن وصل لموقع لقاءه بها وبمجموعتهم حتى وجد خديجة وحدها، وكانت قلقة مُضطربة تتهرب من الإجابة عن أي سؤال

يخص صديقتها وحبيبته، وبدأ يزداد عددهم بوصول عبد الرحمن الذي انتهج ذات نهج خديجة في التهرب من أي إجابة حول نوران؛ وانسحب فجأة على حجة أنه مُصاب بألم في معدته ويحتاج أن يجلب علاجًا؛ وأخيرًا وصلت روان بدت مُنطلقة إلى أبعد حد في هذا اليوم، صافية صفاء السماء في أيام الربيع؛ وبدت تحمل أمرًا في داخلها تُريد أن تسرده، قاطعت شرحه للمادة بنبرة قوية:

– أعلمت بأمر نوران؛ بالتأكيد أعلمتك خديجة بالأمر فهي صديقتها المُقربة.

صُعق من حديثها وأجابها سائلًا:

– ما الأمر وما بها نوران؟

تنهدت بقوة وضحكت بسخرية كاشفة أن نوران كانت على علاقة بحسين مُنذُ أكثر من عام؛ وامتدت العلاقة إلى ما هو مُحرم على فتاة، ولما حَملت منه اضطرت لأجراء إجهاض للجنين؛ بجراحة مُكلفة ولكن الأمر لم يسر كما خططت له مع حسين؛ الجراحة كانت صعبة وعلم أهلها بالأمر وتطورت الأمور بقوة؛ وفي النهاية تم تزويجهم لإنهاء الأزمة، وأضافت علم خديجة التفاصيل بكافة ؛ والغريب أنه لما نظر لخديجة وجدها مُطرقة برأسها لأسفل في صمت تام؛ لم ينتبه جيدًا لباقي حديثها عن علاقتها بحسين وخداعه لها أيضًا؛ وتحميلها كثيرًا من اللوم على كاهل خديجة وجلدها جلدًا باسم الصداقة، وأنهُ كان يتحتم عليها إطلاع الفتاة على حقيقة حسين باكرًا؛ لم يعُد يسمع ما يُقال هام عقله في مكان آخر الآن فقط

تفهم سبب بكائها وحزنها وادعائها سرقة أموال خديجة منها؛ والآن فقط فهم لغز أم محمود؛ تلك العاهرة لم تكتفِ بخيانته فقط بل وسلبته أمواله لتُصلح بها خطأ زناها؛ نار تسري بعروقه ورأسه، غضب مُدمر يعتليه؛ ألم لا يوصف في صدره، قلبه عُصر عصرًا وانتزع منه؛ جملة واحدة خرجت من فيه كانت تُفسر كل شيء، كانت تخون من مع من؟! أكانت تخونه هو مع هذا الفاسد أم تخون هذا الفاسد المُتسلق مُستبيح أعراض غيره معه؟ صب نيران غضبه في نظرة واحدة لخديجة التي بكت فور وقوع عينيها في عينيه؛ كُلكن عاهرات، كُلكن خائنات، باحثات عن المتعة؛ لم ينطقها ولكنها تفهمتها منه؛ هرب من مجلسهم راحلًا وروحه تتمزق، مرت عليه أيام الامتحانات أصعب ما يكون على بشر، كان في تلك الأيام أقرب للموت منه إلى الحياة؛ مرت الأزمة بصعوبة عليه إلا أنه قرر أن كُل غضبه يتحول لطاقة جبارة يصل بها إلى أهدافه؛ مر العام وتقدم بقوة من أهدافه، ورغم محاولات خديجة المتكررة تبرير صمتها لم يقبل أي عُذر؛ حتى التقى بها آخر يوم بالعام الدراسي؛ لم يفهم كيف صفح لها أهو من دموعها التي شعر بصدقها؛ أم لبراءتها المتناهية؛ هي حقًا طفلة في جسد أنثى صغير، بل تطورت صداقته معها بقوة وشاركها كثيرًا من أحلامه؛ وكان أهمها شركته التي في خياله ويسعى لها بقوة، وكذا اقترب منهُ بقوة عبد الرحمن فرأى فيه الصديق المخلص الأمين، ولم ينسَ له عبد الرحمن أبدا موقفه حينما أمده في آخر عام لهم بالجامعة بمبلغ مالي كبير كان يحتاجه بقوة للمساهمة في زواج شقيقته الوحيدة؛ فهو الابن الأكبر لأسرة صغيرة تُوفي ربها مُنذُ عامين وله شقيقان؛ تلك الفتاة التي تسعى للزواج من حبيبها ضاغطة على أخيها

الذي يكد في أعمالا لا تُذكر يُساعد نفسه ويساعد أسرته، والشقيق الآخر في عمر المراهقة ويحتاج لمن يرعاه ويعوله؛ كانت النقطة المفصلية هم يوم التخرج فجمعهم في أحد المطاعم؛ كان الحاضرين أربع هو وعبد الرحمن و خديجة و روان، كشف لهم عن خطته لإنشاء شركته فورًا مُعتمدًا عليهم جميعًا؛ وصُعق الجميع من خطته المحكمة وقدر التمويل الذي قام بتدبيره، هو تمويل لم يتخيل أحدهم أن يكون بهذا القدر؛ فبقدر ما لم يكُن ضخمًا أو حتى مُنافسًا لأي شركة تعمل بمجال المقاولات إلا أنهُ لم يكُن صغيرًا لهم جميعًا أو على شركة حديثة الإنشاء؛ وقد كان ما سعى له طوال خمسة أعوام؛ أُنشئت الشركة وعامًا تلو الآخر تتقدم بقوة وثبات؛ حتى مر عليها ثلاث أعوام وكانت الشركة ذات مركز مالي ومعنوي كبير أمام نُظرائها في المجال؛وبدأ في هذا التوقيت تقارب غريب سعت إليه روان بقوة أدخلته حياتها الهشة؛ هي المُدللة الوحيدة لأسرة ثرية دائمة السفر، وكان التطور سريعًا في علاقتهم، تشاركه مطاعمها وسهراتها وحتى إدمانها لمخدر الحشيش، كشفت له كل شيء وأدخلته في أدق تفاصيلها حتى الليلة التي دعته للعشاء معها بمنزلها وعلى أثر سهرة طويلة وإصرارها على أن يُجرب معها تعاطي الحشيش الذي لم يقربه قط طوال حياته؛ رغم إدمانه القوي على التدخين رضخ لها؛ ولم تنتهِ الليلة إلا وكان قد جمعهما فراش واحد؛ ما إن استيقظ صباحًا حتى قرر أنهُ وإن أخطأ فإنه ليس نهاشًا للأعراض وكانت المفاجأة لها بان أفصح لها بأنه سوف يتزوجها؛ وهو ما لم يكُن في خيالها، خاصة بعد ما حدث في الفراش بينهما، واكتشافه أنهُ ليس أول من يعتليها في فراشها؛ هو ذاته لم يكُن يفكر إلا بشيء واحد أنهُ لا يمكن أن

يكُن داعرًا، الجميع يُخطئ ولكن الأهم أن تُعجل بإصلاح أخطائك وأن تُسامح من يخطئ؛ فأنت لست الله لتُحاسب الناس على أفعالها كان هذا منطقه؛ وكانت المفاجأة أكبر على خديجة وعبد الرحمن عندما تفاجأ الجميع بخبر الزواج في اليوم التالي؛ قاطع حديثه جرس هاتفه..

***

10

نظر لهاتفه طويلًا يُفكر أيفتحه أم يضعه لجواره؛ قرر أخيرًا فتحه وأخذ يدور سريعًا في ملفات الصور حتى توقف أمام صورة والدته؛ نظر بعمق لصورهما حتى هربت دمعة من عينيه؛ استجمع قواه ووضع يديه أمام عينيه جفف دمعه؛ أزال يده من أمام عينيه واتسع بؤبؤا عينيه بقوة؛ لم يكُن ينظر إلى الجنة بل كان ينظر إلى فراش في غرفة نوم أحدهم ويظهر له ظهر رجل عارٍ يعتلي امرأة وهي تتأوه بقوة ولا يبدو منها أية ملامح له؛ فزع بقوة مُحافظًا على صمته كيف وصل إلى هذا المكان؛ وكيف اجتاح خلوة رجل وامرأته، ومن يكُن هذا الرجل وتلك المرأة، لم يُميز إلا نبرة صوتها بكلمة واحده تقولها للرجل وهي حبيبي، وكذلك ميز نبرة الرجل بكلمة واحده يُجيب بها المرأة وهي حياتي؛ هز رأسه بعنف مُتيقنًا أنهُ يَحلُم ويُريد الاستيقاظ من هذا الحلم؛ أغلق عينيه وحرك رأسه بقوة؛ فتح عينيه ببطء، تنفس الصعداء أخيرًا فلقد فر من تلك الغرفة برجلها وامرأته؛ لحظات وعادت دهشته من جديد هو في شرفة لكنها لا تُطل على الجنة، إنما تُطل

على مبانٍ بمنطقة شعبية بدت مألوفة له ولكنه يعجز عن تمييزها، وبدأت أذنيه تستمع حوارًا بين رجل وامرأة، كانت المرأة تتحدث فيه عن الثروة التي سوف تتملكها هي وزوجها، وأحلامها في حياة أفضل؛ وبدا الرجل معها قابلًا مُقتنعًا بأحلامها ويُزيد عليها بأحلامه في سيارة وحياة رفاهية، بدا له أن الرجل والمرأة وهو لا يراهما فقط يسمع حديثهما أنهما يتسلمان ميراثًا كبيرًا من أحدًا لم يتورعوا في لعنه وتمني الجحيم له؛ عاد ليغلق عينيه ويحرك رأسه بقوة يتمنى الهرب من هذا الكابوس المزعج؛ فتح عينيه ببطء وأخيرًا اطمأن قلبه؛ لحظات وعاد له قلقه وفزعه هو بحديقة تُشبه الجنة التي يُطل عليها؛ ولكنها مُختلفة وطقسها بارد ومبانيها مُختلفة؛ وقعت عيناه على فتاة من ظهرها تتحدث في الهاتف في بكاء شديد؛ بدت من حديثها تُكلم حبيبها وترجاه بالحضور لزيارتها، وتُعلمه أنها حولت له الأموال التي طلبها؛ وكانت تقفز فرحًا وهي تصرخ أحقًا سوف تأتي غدًا، أغلق عينيه غضبًا وهو يصرخ متى ينتهي هذا الكابوس؛ فتح عينيه ببطء وبدا له أن هذا الكابوس لن ينتهي فلم يرَ الجنة؛ وجد نفسه مُستلقيًا على فراش وينظر لسقف الغرفة وكان طلاؤه أبيض؛ التفت يمينًا ليجد الدكتور على جالسًا على كرسي لجوار فراشه؛ ابتسم بقوة قائلًا:

– إما إنك دلفت لداخل الكابوس، وإما أن مكروهًا حدث لي.

– في ظنك أيهما الذي حدث؟

– أعتقد أن مكروهًا قد حدث؛ فما أظنك قد تحضُر أبدًا في كابوسًا.

ربت على يده برفق وحنين وأجابه:

- إذًا أتركك الحين تستعد لذهابك للمحكمة ونكمل حديثنا بعد عودتك؛ إن خديجة تنتظرك مُنذُ عشر دقائق بالخارج.

أنهى كلِماته وهم بالرحيل من الغرفة، توقف قرابة الباب واستدار له سائلًا:

- أتود أن أكُون معك بالمحكمة؟

- أتعتقد أن حالتي لا تسمح لي بالذهاب وحدي؟

ابتسم بصفاء قلبه الناصع وأومأ برأسه نفيًا وأجابه:

- أتيقن أنك لم تعُد بحاجة إلا لنفسك.

نهض من فراشه وارتدى بذلته المنمقة، تهيأ بقوة فهو على يقين أن أساس نصره في معركته اليوم هيئته وثقته بذاته، توجه إلى باب الغرفة وكانت قد وصلت ممرضته المشاكسة، أبدت إعجابها بهيئته الفخمة ولكنه لم يُفسح لها المجال لحديثًا طويلًا، فلقد تأخر حقًّا عن موعده؛ خرج من الغرفة بصحبتها وهبط بالمصعد وهي بصحبته حتى وصل إلى صالون استقبال المستشفى وكانت خديجة بانتظاره بصحبة عبد الرحمن صديقهما؛ وكانت براقة كلؤلؤة في هيئتها، اندفع باتجاهه عبد الرحمن ضمَّه إلى صدره بقوة شاكرًا الله على سلامته، وكان اللقاء أكثر رقة وأعلى حرارة مع خديجة التي ما إن بسطت يدها له؛ حتى قبلها بحنين شاكرًا الله على عودته ليراها ثانية؛ شرد كليهُما في أعيُن الآخر لحظات في ذهول من الممرضة وصديقهما، الذي صفق على يديه بقوة ليُنهي الموقف المحرج مُذكرهما

بموعد المحكمة؛ تحركوا خارجين من المشفى وتوجه عبد الرحمن إلى سيارته مُنفردًا بعد طلب صديقه ان يصل للمحكمة بسيارة خديجة، تحركوا بسياراتهم وكان الغريب هو صمته الطويل طوال الرحلة إلى المحكمة وهو ما شده خديجة؛ التي توقعت من طلبه الذهاب بصحبتها أن لديه حديثًا طويلًا؛ في تلك الأثناء كانت المعركة على أشدها بداخل المحكمة أمام القاضي، عرض ومرافعة قوية ومُطولة من محامي شقيقه وزوجته؛ وصل فارس وخديجة وعبد الرحمن أمام باب القاعة وكان محاميه بالداخل، فدلفت خديجة لتُعلمه بوصولهم، دلفت للداخل تاركة صاحب القضية بالخارج؛ رمقتها الزوجة والأخ بنظرات حقد وكُره، فهم على ثقة من نصرهم اليوم؛ خاصة بعد تأكيد الدكتور حسام أن شهادته معهم؛ همست خديجة في أذن محاميهم وأجابها همسًا لتنسحب من القاعة بهدوء؛ أعلن محامي الزوجة والشقيق طلبه الإذن بدخول شاهده وهو الطبيب المعالج للمدعى عليه؛ وأمر القاضي الحارس بإحضاره، خرج الحارس ورفع صوته يستعدي الشاهد، والذي جاء مُتأخرًا وأجابه بأنه حاضر من على بُعد أكثر من عشرة أمتار، ما إن اقترب من الباب حتى ابتسم إلى فارس الذي جاوبه ببسمة لم يفهم معناه أحد؛ وهمس في أذن طبيبه لحظات، وعاد لذات بسمته مُشيرًا بسبابته إلى باب القاعة؛ اضطرب طبيبه بقوة وبدا مصدومًا للحظات، قطع صدمته وشروده استدعاء الحارس له، دلف إلى الداخل وأعين جميع من بالقاعة تتبعه حتى وصل أمام منصة القاضي؛ انسل فارس بعد دخوله بلحظات خلسة جالسًا بصحبة خديجة وعبد الرحمن بآخر القاعة؛ بعدما لقنه القاضي القسم كانت شهادته تتمثل في الإجابة على

سؤال واحد من محامي المُدعين، هل الحالة الصحية للمدعى عليه تسمح له بإدارة أمواله؟ صمت تمامًا ولم يُجب فكرر عليه المحامي السؤال وصمت أيضًا؛ تدخل القاضي طالبًا منه الإجابة، رفع رأسه تجاه القاضي وأجاب بلهجة مُضطربة للغاية بالنفي؛ فطلب منه القاضي أن يوضح إجابته، فكررها بقوة أرى أن حالته لا تسمح لهُ بإدارة أعماله ولا أمواله؛ شكرهُ محامي المُدعين مُعلنًا انتهاء أسئلته إلى الشاهد ومُكتفيًا بمرافعته؛ نهض مُحامي فارس بقوة، طالبًا من القاضي استجواب شاهد المُدعين قُبيل مرافعته فأذن له؛ وكان سؤاله دقيقًا للشاهد مُتمثلًا في ما السبب الذي يُفقد شخصًا أهليته لإدارة أمواله وأعماله من الناحية الطبية ومن وجهة نظر الشاهد الشخصية؟ اضطرب أكثر وبدا حديثه غير مفهومًا، فطلب منه القاضي الهدوء وأن يُجيب على السؤال بلغة مفهومة للمحكمة؛ صمت لحظات وعاد ليُجيب:

– الناحية الطبية التي يفقد فيها أي شخص الأهلية تتمثل في حالات ال((كوما))؛ أو ما يُعرف بالغيبوبة فيفقد في تلك الحالة اتصاله عن العالم ويكُن فيها أقرب للمتوفَّى منه لمن يحيا حياة سليمة؛ أما عن وجهة نظري الشخصية فهي ذات وجهة نظري العلمية مع الملاحظة أني طبيب عضوي ولست طبيبًا نفسيًّا، ففقد الأهلية لهُ أسباب عديدة بالطب النفسي.

– أتفهم ذلك منك يا دكتور حسام؛ سؤالي الآخر هو هل المدعى عليه يقع تحت العلاج النفسي بمشفاك؟ وهل هو في حالة ال ((كوما)) أو الغيبوبة؟ أتمنى أن تكون إجابتك إما نعم أو لا فقط؛ فلا أحتاج لآراء مرة أخرى.

- لا لم يحصل على أي علاج نفسي قط فهو كان مريضًا بسرطان القلب؛ وأما عن ال ((كوما)) فنعم هو مُصاب بها.

رفع يديه المحامي بقوة زافرًا بكلمة:

- أشكرك، فلقد اكتفيت.

نظر إلى القاضي طالبًا أن يبدأ مرافعته، بدأ مرافعته حماسيًا لأبعد حد وبدأ مرافعته بهجوم ضاري على المدعي الأول وهو الشقيق فاضحًا استيلاءه على ميراث شقيقه مُنذُ كان شابًا جامعيًا، وعاد اليوم ليستولي على أموال شقيقه مرة أخرى وأفصح للمحكمة أنهُ ألح على شقيقه أكثر من مرة لرفع دعوة وإعادة ميراثه من براثن شقيقه وكان دومًا يرفض، وبدأ هجومه على الزوجة التي لم تذهب للسؤال عن زوجها طوال ثلاثة أشهر في المشفى إلا مرة وحيدة باحثة هل توفى أم لا؛ مُعللًا موقفها بأنهُ طبيعي فهي اعتادت مع موكله على النكران مُعلنًا للمحكمة أنها لم تلتق موكله مُنذُ أكثر من ستة أشهر، ثلاثة قضاها بالمشفى وثلاثة قبلها كانت فيها زوجته على خلاف معه تاركة منزل زوجيتها؛ زاد حماسه بقوة وزايد على مرافعته أن كُل ما قيل لن يؤثر في صلب دعوى المُدعين لأنهم حقًا ورثته الشرعيين؛ ثم عاد لهجومه الشرس تجاه الطبيب مُتسائلًا عن مدى جدارة هذا الطبيب العلمية والواقعية في وصف الحالة الطبية لموكله بأنهُ في حالة غيبوبة؛ مُشككًا في كونه قد حصل بالأساس على شهادة طبية ساخرًا منه؛ قاطعه القاضي إن ما يقوله اتهامًا لشاهد لن يقبل به؛ رفض تعليق القاضي مُعللًا أن هجومه مبني على أدلة وشهادة شخص؛ بوجوده تسقط

الدعوى تمامًا وتصبح بلا جدوى؛ عم الصمت القاعة والجميع مشدوه لحماسة المحامي؛ خرجت كلماته قوية حازمة:

– أطلب من سيادة المحكمة أن تستجوب المدعى عليه وهو السيد ((فارس)) بنفسها؛ وتكشف لنا أهو أهلًا لإدارة أمواله وأعماله أم على غير كفاءة لذلك كما ادعى الطبيب الذي أتشكك في كونه طبيبًا بالأساس.

أنهى مرافعته الحماسية الحازمة وهو يُشير براحة يده إلى موكله؛ الذي نهض بقوة وتحرك تجاه المنصة في ثبات رافعًا جبهته والصمت والوجوم يعم المكان بمن فيه؛ ضاقت على زوجته وشقيقه القاعة؛ تيقنا أن معركتهما حُسمت ضدهما، ولم يعُد بأيديهما شيء؛ احتل موقعه أمام منصة القاضي بقوة، عرف نفسه إلى القاضي بلهجة حاسمة وفي ثبات؛ بدا القاضي مُندهشًا من هيئته وثباته بعد مرافعة المدعين وشهادة الشاهد؛ فكان أول سؤال للقاضي له بعد اطلاعه على أوراق إثبات شخصيته، هو ما دفاعك في ادعاء زوجتك وشقيقك بأنك غير مؤهل لإدارة أموالك وشهادة طبيبك المؤكدة لذلك؟! ابتسم بقوة وأجاب بثبات:

– سيدي القاضي الأمر بسيط، الأمر هو أني أصبت بمرض عضوي في قلبي؛ وخضعت لجراحة كبيرة على يد اثنين من أعظم الأطباء في مصر بل في العالم؛ أحدهما هو من شهد اليوم بأني في غيبوبة؛ ومُنعت عني الزيارة تمامًا كما تكتم الأطباء على حالتي لحرصهم على تقدمها فلم يعد يعلم أحدهما شيئًا عني، فما كان من زوجتي وشقيقي وطبيبي إلا أن أخرجا ما في

قلوبهم تجاهي، زوجتي وشقيقي يحلمان باليوم الذي أرحل فيه عن الحياة ليتقاسما تقطيع جثتي، ومع منع أي معلومة عني طوال ثلاثة أشهر ونصف توقعا أنني أحتضر، ومع شرحًا لرأي شخصي من طبيب على خلاف شخصي معي؛ اجتمعوا على إقامة الدعوى، ولكن جميعهم فاتهم أمر هام وهو أني ما زلت حيًّا وأن أموالي لن يطالوا منها شيئًا.

أنهى كلماته في دهشة من القاضي، كان يتعجب من هؤلاء الساعين لتقطيع جثة رجل لم يُمت بعد؛ بدأ القاضي في الاطلاع على الأوراق التي قدمها مُحاميه والتي تثبت تحليه بصحة جيدة؛ ولم يكُن الأمر مُخالفًا للتوقعات حينما صدر حكم القاضي برفض الدعوى؛ رحل القاضي من المنصة وعمت السعادة المُنتصرين وكان أقوى ردة فعل قد أتت هي خديجة التي هرعت إليه تحتضنه بقوة، وبكاؤها حار، ودموعها تبلل وجنتيها، ما إن أخرجها من صدره حتى التفت إلى محاميه وحدثه بنبرة عالية حاسمة:

- لا أُريد أن تكُن لي أية صلة بتلك العاهرة من الآن؛ فلتعجل بدعوتك فورًا.

أنهى حديثه وهو يُشير إلى زوجته بالجانب الآخر والتي كانت في حالة انهيار ترحل متكئة على شخص وضحت ملامحه وهم راحلون؛ ما إن تعرف إليه فارس ومعسكره حتى تعالت ضحكات فارس بقوة وهو يُشير له مُحدثًا خديجة:

- يبدو أن حسين عمل بجهد في فراشي طوال ستة أشهر.

صُعق الجميع من كلماته إلا خديجة بدت وكأنها كانت تعلم؛ عجل بطلبه من محاميه إجراءات دعوى الزنا ضد زوجته، وكذا إعادة التوكيل لخديجة وأنهُ سوف يتجه لمقر الشركة ينتظر حضوره مع مندوب الشهر العقاري لتوقيع الأوراق المطلوبة ثم يعُد إلى المستشفى؛ رحل الجميع من المحكمة المحامي في طريقه ينجز المطلوب منه، وعبد الرحمن بسيارته إلى أحد أكبر المطاعم لجلب مأدبة غداء فخمة لكل العاملين بالشركة كما طلب مالكها وصديقه أن يُشاطر الجميع الغداء اليوم؛ أما فارس فرحل بصحبة خديجة بسيارتها متجهين إلى الشركة إلا أنهُ طلب منها الذهاب أولاً إلى أحد المطاعم على النيل قبل الذهاب إلى الشركة؛ وصلا إلى أحد المطاعم، ورغم أن ذلك طلبه فما إن جلسا حتى لاذ بصمته؛ وهو ما أثارها بقوة فقاطعت صمته:

- أطلبت أن نأتي هنا لتجلس صامتًا؟!

نظر لها بقوة وأجابها بنبرة حازمة:

- بل جئت لأطلب منكِ الزواج؛ فهل تقبلين؟

تلعثمت في الحديث وأصابتها حالة هستيرية من البكاء؛ طالما حلُمت بهذا اليوم طوال ثمانية أعوام وهي تنتظره؛ حتى زيجتها لم تأتِ إلا هربًا من عشقها له بعد قتله لها بزواجه من روان؛ وهو ما لم تتحمله في نهاية الأمر وانتهت منه مُتيقنة أنها لم تُخلق إلا من أجل عشقه فقط؛ كان حديثه لها بمثابة الماء الذي أخمد نيران حُزنها، أكد لها أنهُ طوال أيامه مُنذُ عرفها لم يكُن يبحث إلا عنها؛ ولما جلس وحيدًا بعد كل ما حدث يُفكر لم يجد

غيرها بجواره، ولما حاول اكتشاف مشاعره تجاهها وجدها لا تقل عن الحب؛ فهي أكبر من مشاعره تجاه روان في أعلا مراحل علاقتهم، وأكبر وأنقى و من مشاعره تجاه نوران؛ أسرها أن السبب الحقيقي في عشقه لها هو أنها لم تعلم كُل أخطاءه فقط بل عايشت تلك الأخطاء ودومًا ما غفرت له؛ إن المرأة إن أخلصت بحبها تغفر ذنوبًا لا تُغتفر حتى الخيانة تغفرها! وهو ما ذبحه ذبحًا أنها طالما أعطت ولم تأخذ شيئًا؛ شكر الله على وجودها بحياته داعيًا أن تظل إلى جواره؛ رحلا من المطعم إلى الشركة ولم تقُد السيارة في عودتهم أصر أن تظل أميرته في سعادتها وأن يتولى رعايتها ولو قليلًا؛ بدت السيارة قطعة مُصغرة من الجنة كما بدت هي كحوريات الجنة كلما ارتسمت البسمة على ملامحها الطفولية؛ وصلا إلى مقر شركته الفخمة وبعد ترحيب كبير من العاملين وصل إلى مكتبه والذي كانت تستخدمه خديجة لإدارة أعماله، فور دخوله المكتب طلب من خديجة أن تُحضر له رفيق كفاحه ((محمود))، من أي مكانًا يوجد فيه فورًا وألا تعود إليه دون أن تحضره تحت أي ظرف؛ رحلت تُلبي رغبته فيما جلس على كُرسي مكتبه الفخم مدد الكُرسي للخلف وأخرج هاتفه المحمول يُراجع صورة أمه فلم يعُد يطمئن إلا برؤيتها؛ تطلع فيها وابتسم بسمته الغريبة؛ أغلق هاتفه وأعاده إلى جيبه وأغلق عينيه لحظات يستحضر حضن خديجة الدافئ الذي أعاد إليه دفء أحضان أمه؛ فتح عينيه ولكنه كان بشرفة بدت تُطل على موقع فخم، وسمع صُراخًا بين رجل وامرأة؛ لم يُميز أصواتهما في البداية إلا أنهُ سُرعان ما تذكرهما، هما الرجل وامرأته ذاتهما في كابوسه بالأمس، لكن المرأة لم تكُن تتأوه مثلما كانت بالأمس من فرط

مُتعتها الجنسية، كانت تتأوه ألَمًا على أثر صفعة من رجُلها صارخًا فيها أنها ورطته بجنينها، وأنهُ لن يعترف به تحت أي ظرف، وكانت المرأة تجاوبه بأنها لم تكُن تعلم ولا غيرها بأن ما حدث قد يحدث؛ وفجأة صمت كلاهما وعم الوجوم لحظات وعادت الإثارة بصوت المرأة بلهجة حاسمة حازمة؛ إذًا لا مفر لنا من قتله يجب أن يختفي الليلة بأسرع ما يكُن، بدا الرجُل غاضبًا في البداية من اقتراحها ثم خنع لها بقوله يبدو أنهُ لم يعُد هنالك حلٌ آخر؛ فزِع من هول ما يسمع من هؤلاء ومن هذا الشخص الذي يُدبرون لقتله هؤلاء القتلة؛ أغمض عينيه وهو يطرق على رأسه بعنف يُقظ نفسه من هذا الكابوس المُرعب، عاد يفتح عينيه، ولكن كابوسه مُمتد فهو بذات المكان الشعبي العتيق؛ ويسمع شجارًا آخر بين ذات المرأة ورجلها في كابوسه السابق وبذات المكان؛ وكانت تصرخ عليه المرأة بوجوب أن يجد حلًا؛ وأنها سوف تهجُره إن لم يجد حلًّا لهذا الميراث المُعطل، أجابها الرجل بخنوع وكيف أتي بحل وهو لم يُمت؟! صرخت فيه المرأة إذًا يجب أن يُمت ليتنعموا هم بحياتهم فلا حياة لهم ما دام هذا الشخص حيًّا؛ وعدها الرجل بأنه سوف يجد طريقة للتخلص منه؛ فزِع للمرة الثانية ما الذي يحدث لما هؤلاء الناس تبتغي قتل شخص، أكل ذلك من أجل ماله؟! عاد لطرق رأسه فلقد تيقن أنها طريقه للهرب مع إغماض عينيه؛ وجد ذاته على أبواب شرفة يُطل على ذات الفتاة الجميلة بالحديقة في كابوسه الأول؛ ولا يعلم ما صلته بها بدت له مقطوعة شاذة في هذا الكابوس؛ وكانت تهرع في فتح باب الغرفة لشخص، ارتمت في أحضانه تضرعه بشوق ولهفة؛ وبدا الرجل متفاعلًا معها؛ لم تضح له ملامحهم لكنه كان يسمع كلِماتهم المعبرة

عن شوقا ولهفة بالغة انتهت بإفراغها في فراش جمعهما؛ قرر وجوب الخروج من هذا الكابوس بأي شكل وشرع في صفع وجهه الصفعة تلو الأخرى بقوة..

***

11

كانت المُقاطعة الهاتفية من خديجة تطلب الإسراع بإحضار الوثائق لتعجل بإجراءات السفر؛ أغلق مؤكدًا لها أن أحدا سوف يصل لها بالأوراق خلال ساعة على الأكثر؛ أنهى حديثه طالبًا منها أن تُسرع بنفسها في توصيل الأوراق إلى خديجة، قبلت بعد إصرارًا منه على ذهابها وصلت شقة شقيقتها التي شدهها عودة شقيقتها باكرًا؛ أعلمتها أنها وجدت حلًا بسفر والديهما فورًا على أن ترافقهما بنفسها؛ ولما سألتها شقيقتها عن التكاليف اكتفت بأن أخبرتها أن المركز الذي سوف يُسافرون إليه هي على تواصل معه مُنذُ فترة، وأن المركز يُعالج سنويًا نسبة مُحددة مجانًا وأنهما من تلك النسبة؛ اكتفت بهذا القدر فلقد كانت على عجلة ويجب أن تصل إلى شقة والديها بمنطقة شعبية بحي فيصل؛ وهنالك كان صراعها أكبر مع والديها الرافضين، وكان انفعالها بالغًا، لم يرضخا لها إلا بعد رؤية دموعها الغفيرة؛ ليُسلمها والدها الأوراق ويُسلمها موافقته، خرجت مُسرعة في طريقها إلى العنوان وأدهشها مظهر الشركة الفخم، سألت الأمن عن مكتب خديجة وبعد محادثة هاتفية داخلية من الأمن

ومكتب خديجة، اصطحبها أحد أفراد الأمن أوصلها إلى هدفها وطوال الرحلة إلى المكتب بالدور الرابع شدهها فخامة المصعد و فخامة المكاتب والطرقات وأزياء الموظفين المنمقة؛ وصلت أخيرًا إلى باب المكتب طرقته ودلفت بداخله ولم تزل تُصحبها دهشتها وإعجابها، أعجبت للغاية بتلك الجميلة التي استقبلتها بحفاوة بالغة ولم تُبدِ أية تعليقات أو أسئلة لها؛ فقط أعلمتها بخطط السفر والتدابير له؛ كما أعلمتها بالحساب المصرفي الذي سوف تجده هناك لمساعدتها في أي شيء تُريده، انتهى لقاؤهم سريعًا على وعد بلقاء آخر يجمعهم بعد العودة من السفر وتمام شفائها هي ووالديها لم يكُن أمامها مفرٌ من هذا السؤال بدا لها يحتاج إلى إجابة، ألقته على باب المكتب وهي مغادرة:

- هل أنتِ حقًا ابنة الدكتور علي؟!

ارتسمت على وجهها بسمة الملائكة وأجابتها بكلمة واحدة:

- ولي الفخر.

رحلت من الشركة عائدة إلى المستشفى وكانت تهرول تبتغي الوصول إلى غرفة الملاك المرسل لها، اعترض طريقها بغرفة التمريض صديقتها المشاكسة؛ أجهدتها بأسئلة كثيرة حول هذا النزيل بغرفة 666، أعلمتها أنها قد تأخرت عليه ويجب أن تعود إليه ووعدتها أنها سوف تُعلمها كُل شيء ليلًا؛ أسرعت في عودتها إلى غرفته وكان ينتظرها بالشرفة، هرعت إليه بنبرتها السعيدة تقف إلى جواره وهو يُطل على الحديقة الخاصة بالمشفى أو كما يُحب أن يُطلق عليها الجنة؛ تُعلمه بتفاصيل لقائها مع خديجة

والتفاصيل التي أعلمتها بها عن السفر والتدابير المالية؛ كانت إجابته على حديثها مُغايرة لما تتوقع طلب منها أن ينتهي من سرد كل ما لديه لها؛ أراد أن ينتهي حقًا من هذا الألم في صدره وطرده بعيدًا عنه، كان قد أحضر لها دفترها ووضعه على الطاولة الصغيرة بالشرفة؛ جلست وبدأت في تدوين تلك القصة التعيسة من جديد؛ زفر بعنف وأومأ برأسه رفضًا، وأسهب في سرده؛ بدا له فور إعلان زواجه الرفض الشديد من خديجة وعبد الرحمن، وإن لم يعلنا هذا الرفض صراحة، ولكنه كان جليًا في كُل تصرفاتهما، فسر هذا الرفض على أنهُ نوع من أنواع الغيرة فالصديق عندما يتعلق بصديقه، يغار عليه أكثر من غيرة المُحبين؛ مر عام كامل على زواجه كان أقرب فيه إلى سكان الجنة من سكان الأرض، امتنعت زوجته عن العمل واكتفت بإسعاده، كما امتنعت عن التدخين وأي شيء لم يكُن ليرضيه؛ كان يشعر بشوقها له في كُل لحظة لا يكُن فيها إلى جوارها، وبدأت الأيام تتابع وتتبدل المشاعر، لم يعُد يشعر بها ولا بلهفتها عليه القديمة؛ ولا أشواقها الحارة التي طالما ألهبت بها مشاعره وبدنه، تبدلت إلى أسيرة لهذا الهاتف المحمول اللعين، مرات عدة حدثها ولم تنتبه وهي تتحدث فيه كتابة تارة وصوتًا تارة أخرى؛ خاصة بعد وفاة والديها وانشغالها فترة كبيرة في استلام ميراثها، ورغم أنهُ كان كبيرًا حقًا فلم يسألها يومًا عنه؛ والأغرب أنها لم تنقطع عن طلب أموال أكبر من ذي قبل إرثها منه، كانت تُصر مرات ومرات على السفر إلى إحدى المدن الشاطئية وحدها، مُعللة ذلك بأنها تحتاج إلى التغيير خاصة بعد وفاة والديها، وكان أكبر خلاف نشب بينهم عندما عاد إلى منزله ولم يجدها في صالة المنزل، ووجد هاتفها وكان

جرس هاتفها يصرخ عليها وبدت له لا تسمع؛ حمل الهاتف ودار باحثًا عنها ليجدها تهرول خارجة من المطبخ إلى هاتفها الذي بيده؛ سحبته من يده بقوة وبدت غاضبة للغاية؛ وانفعلت بقوة تتهمه بالتجسس عليها وأنها لا تقترب من هاتفه، صُعق من حديثها فهي تعلم يقينًا أنهُ طوال حياته لم يسمح لنفسه بلمس هاتفها، لم يستوعب حديثها في البداية إلا أنه لاذ بالصمت، أنهت انفعالها على قرار بالسفر لترتاح من ضغطه المُستمر عليها؛ لم يُبدِ أية إشارة لا قبولًا ولا رفضًا مكتفيًا بصمته وتركها ترحل، إلا أن الموقف أثار حفيظته بقوة لم يجد تفسيرًا لما حدث؛ وها قد سقطت ورقة من أوراق شجرته، مُنذُ تلك اللحظة أمست تلك الزوجة زوجة ورقية فقط؛ ازداد إقباله على التدخين بشراهة، وفي تلك الأثناء عادت نوران تظهر في حياته من جديد؛ وكان ذلك عن طريق اتصال هاتفي بينهما أعلمته أنها تحتاج إلى لقائه بأي طريقة، قبل لقائها بعد إصرارها عليه وكان في أحد المطاعم على النيل؛ جاهدت في تبرير موقفها القديم وخيانتها، أجابها أن الأمر قد انتهى تمامًا له وأن تدخل في صُلب الموضوع الذي طلبت لقاءه من أجله؛ دمعت عيناها وأعلمته بلهجة حزينة أنهُ لن يُصدق أنها لم تُحب غيره ولكن الظروف والشيطان الذي تزوجته هو من دمرها؛ وسلمته هاتفًا محمولًا، وانتفضت راحلة؛ أمسك يدها يمنعها الرحيل سائلًا:

- لَم تركتِ هذا الهاتف؟! وما سبب طلبك لقائي؟!

- تركته لك لأن به سبب طلبي لقاءك؛ اقرأ المحادثات بهذا الهاتف جيدًا سوف تفهم؛ وقبل رحيلي أعلم أني مُطلقة الآن، ولم ولن أحب غيرك.

تركها ترحل فلم يشعُر بأي شيء من كلماتها، مهما حدث لن يغفر لها ذنب الخيانة، الخيانة في قاموس هذا الشاب تعني الموت؛ لكن ما شغله هو ما الذي يحويه هذا الهاتف وما قد يكون بداخله؛ أمسك الهاتف ودلف إلى الرسائل النصية وكانت في أغلبها بين رجل وامرأة اكتشف من الرسائل أنها متزوجة؛ وعلم من احدى الرسائل أن الرجل هو حسين هذا الفاسق الذي دمر حياته قديمًا؛ وكان يضحك من رسائل المرأة له فبدت مُغفلة للغاية، فأعطته ملايين الجنيهات يؤسس شركة إعلانات هي كل ما تملك في الدنيا من مال كما وصفت له في رسائلها، وهو يطلب المزيد دومًا؛ اتجه في بحث إلى أحد البرامج للمحادثات عن طريق الإنترنيت؛ وبدأت صعقته وأدهشته بقوة وتبدلت قسمات وجهه للقهر في لحظة؛ تبين أن العاهرة الجديدة لم تكُن إلى زوجته روان، أكتشف كم امتدت خيانتها له، وكيف كان هذا الفاسق يتحكم في حياته معها؛ حتى فراش زوجيته كان يتحكم فيه ويأمرها بألا تقرب زوجها وهي تُلبي؛ وتتبارى في عشقها له بطاعتها في جرح زوجها، وضحكاتهما الفاسقة على استغفاله تقطعت نياط قلبه من تلك الخائنة وهذا الفاسق وكيف كانوا يخلوان إلى فواحشهما بهذا القدر من الرضا؛ وتقطع ما بقي من نياط قلبه فور رأي صورة خديجة في إحدى المحادثات؛ تردد في فتح المحادثة فقلبه لا يتحمل أكثر؛ تمالك شجاعته وقرر أخيرًا فتح المحادثة، وهربت دموعه رغمًا عنه لما رأى؛ كانت تهدد حسين

بقوة ليبتعد عن روان، وأنها تشك بهما، وأنها سمعت مكالمة لزوجته مع هذا الفاسق يتفقون على لقاء محرم؛ دمعت عيناه من إخلاصها في دفاعها عنه بقوة، وخاصة حينما أهانه هذا الفاسق في المحادثة معها؛ هي لم تكُن تعلم شيئًا حتى هذا الشيطان ليهرب منها أقسم لها أنهُ لا صلة له بالأمر، وأن روان عاهرة غيره وهو لا دخل له؛ لم يكتفِ بهذا الألم فجلد نفسه أكثر بالبحث في الصور على الهاتف؛ تقطع ما بقي في قلبه الضعيف، والذي كان يؤلمه مُنذُ زمن ويتغاضى عن نصائح أطبائه بالعلاج أو توقف التدخين؛ وكان ذلك هو آخر ما حدث له قبيل قراره بالموت في غرفة الجراحة، قرر القبول بالجراحة التي لا يضمن نجاته منها؛ بل الأكثر في سعيه إلى الموت رفض إجراءها بأكبر مراكز الطبية في العالم، حتى يتيقن من رحيله عن تلك الحياة البائسة؛ لم ينفصل عن تلك الخائنة أو يواجهها لا هي ولا غيرها، فقط اكتفى بقرار في نفسه أن أمواله لن يصلوا إليها تحت أي ظرف وهذا ما سوف يعتمده في وصيته قبل الدخول إلى غرفة العمليات؛ أنهى سرده واختل توازنه، تشبث بيديه في سور الشرفة؛ فزِعت الفتاة بقوة تحاول مساعدته في الجلوس إلى كرسيه؛ إلا أن ذات الحالة التي تضربه من فترة لأخرى عادت بشراسة في تلك المرة، تقطعت أنفاسه تمامًا، وتبدَّل لون وجهه، لم يعد يرى مُجددًا إلا طريقًا حالك الظلام على مسافة كبيرة للغاية منه يخرج ضوء بسيط ويخفُت شيئًا فشيئًا؛ ولم يعُد يرى شيئًا إلا الظلمة الحالكة وهو يصرُخ بقوة مُحدثًا الله، ماذا فعلت لأستحق الجحيم أنا المقهور؟ أنا المظلوم؟ أنا المغبون في عرضه وماله وحياته؟ ما الذنب الذي اقترفته ولم أتُبْ عنه لتُنجيني من هذا العذاب؟

بدأت تنقشع الظلمة ببطء شديد، وهو يُجاهد فتح جفونه الثقيلة ليجد طبيبه أمامه، سمع بصعوبة نبرته المطمئنة أن الأزمة قد مرت بسلام، وأن ينام في هدوء ولا يقلق فجميعهم إلى جواره؛ لم يتمكن من رؤية الجمع بغرفته من أطباء وممرضات، أغلق جفونه وغط في سباته الإجباري بأثر العقاقير التي حُقنت بها أوردته؛ طلب الدكتور على من الجميع الرحيل وطلب من حسام التعجيل بإجراءات الجراحة، رحل الجميع من الغرفة وبقي هو وزينة فقط، نظر لها بقوة وطلب منها الجلوس وجلس في مقابلتها، تحدث بنبرة حاسمة إليها:

- حينما أوكلت إليكِ حالة فارس، كُنت على يقين أنكِ سوف تكونين أحد أهم العناصر المساعدة في تقدم حالته؛ ولم أتخيل للحظة أنك سوف تكونين العنصر الأساسي في تدهور حالته بهذا الشكل؛ ما الذي يحدث ولا أعلمه؟

صُعقت من اتهامه الجائر لها، واندفعت للدفاع عن ذاتها بحدة وحماسة:

- ومن ذا الذي أعلمك بأني عنصر تدهور حالته؟ وكيف لي هذا وأنا كُنت على مشارف الموت قبل لقائه؛ وهو من أعاد إليّ الحياة والأمل وأعاد إليّ كُل شيء؟ ألم تلحظ تدهور حالتي الصحية وأنت أقرب إليّ منهُ وأنت رئيسي وأستاذي الذي أفخر به؛ من أوصله لتلك الحالة هم أشخاص غيري.

أدهشه حديثها ودفاعها القاسي عليه؛ وألح عليها في السؤال أن تُفضي له بما يحدث لها ولمريضه الذي يعتبره ابنًا له وأقسم عليها بكل ما هو غالٍ

عليها؛ فما كانت إلى أن أسرته بحالتها المرضيه المكتشفة حديثًا وأن أحدًا لم ينتبه لها إلا هو، ودوره في حياتها الذي بذله بعطاء دون قيد أو شرط؛ وأنها تُعتصر ألَمًا عليه لما علمته منه وآلامه وجراحه في حياته، وكانت دهشة رئيسها أكبر مُتمثلة في سؤال لها وهو أأسرك حقًا بأسراره وأطلعكِ على ما أوصله إلى تلك الحالة؟! اكتفت بإجابتها له بإيماءة إيجاب من رأسها، ابتسم لها وأعلمها أنهُ لن يُفرط فيها فهي تعد ابنته، وأعلمها أنها لن تحتاج للبقاء اليوم بالعمل فما أعطاه لمريضه من عقاقير لن تسمح له بالاستيقاظ إلا صباح غد، ولكنها رفضت الرحيل من المشفى وأبت أن تبتعد عنه قائلة:

- سوف أسافر غدًا صباحًا، ولن أضيع على نفسي فرصة أن أكون لجواره ليلة فلم يبقَ لي معه الكثير من الوقت قبل الرحيل.

رضخ لطلبها ورحل من الغرفة فيما جلست الفتاة تنظر لهذا الملاك الراقد على فراش المرض، أجهدت عقلها وجلدته في تفكيرًا مُفرغ وأسئلة بلا إجابات، لما لم تقابله مُنذُ زمن؟ لما يفعل أحدهم هذا بشخص أعطاه كل شيء بلا مقابل؟ لم تنتبه إلى مدى الكره الذي تربى بداخلها تجاه زوجته وصديقه وشقيقه، بل قارنته بمدى الكره بداخلها تجاه عشيقها السابق؛ جميعهم أخذوا بلا عطاء؛ وأهم ما لم تنتبه إليه أن مشاعر الكراهية ما هي إلى وجه آخر للحب، الحب والكراهية يؤكدان وجود العاطفة، والعاطفة قد تتبدل بين ليلة وضحاها؛ دلفت صديقتها المشاكسة إلى داخل الغرفة، وقبل أن تنطق بكلمة أشارت لها زينة بالصمت وخرجت معها من الغرفة، توجهت الممرضتان إلى أسفل المستشفى وحصلتا على كوبين من القهوة؛

وتوجهتا للحديقة بناء على طلب زينة، جلستا متجاورتين على أحد المقاعد الحجرية بالحديقة؛ ولم تتحمل سعاد الصمت أكثر، كسرت حاجز الصمت بسؤالها:

- الآن يجب أن أعلم كل شيء، لم أعُد أُطيق الانتظار أكثر؟

أومأت لها برأسها قبولًا وأجابت:

- أول ما يجب أن تعرفينه هو أني سوف أسافر غدًا صباحًا ليخضع والدي للعلاج بإنجلترا؛ وأخضع أنا أيضًا فأنا مصابة بسرطان الدم.

صُعقت الفتاة من آخر كلِماتها وسألت في فزع:

- كيف هذا ومتى أصابك هذا المرض؟!!

أطرقت برأسها أرضًا وهربت دموعها رغمًا عنها وهي تسرد لها كُل ما فعله لها نزيل الغرفة 666، وكيف دبر كل شيء لتبديل وضعها، أفاضت لصديقتها أنها تمنت لو أن حبيبها السابق هو من فعل ذلك، وقارنت بينهم دون قصدًا منها، ولكن الأمر أتضح جليًّا والمقارنة معقودة من يُعطي ويبذل دون قيد أو شرط؛ وآخر أخذ كل شيء ولم يُفكر أن يلتفت لمن أخذ منها كُل شيء؛ وبختها صديقتها بقوة على تفكيرها في هذا الجاحد الذي تركها، وأنها يجب ألا تنتبه إلا لمن أرسله الله لها لتبدأ حياتها من جديد، وسألتها هل سوف تُعلمه بكُل تفاصيل علاقتها السابقة؛ جاوبتها بقوة أنها سوف تُعلمه كل شيء قبل سفرها صباحًا؛ وأسرت صديقتها أن هذا الملاك المرسل لها قد عانى طوال حياته مثلها، كُل من اقترب منه اقتطع

كوما

منه جزءًا ومضى؛ هذا الشاب وقف أعوامًا ينتظر ما يعلم أنهُ لن يأتي أبدًا، كل ما حلم به يومًا الحب والإخلاص ولم يأتِه؛ الآن هو يسعى بكل طاقة إلى الحب والإخلاص في الموت؛ لم يعد يشعر بأن الحياة جديرة بأن تستحق منه أي مجهود أكثر؛ حتى التقيت به فلم يجد أحدنا تفسيرًا ولا تسمية لما نشعر به؛ قاطع حديثهم صوتًا قويًا من الدكتور حسام يطلب أن ينفرد بزينة قليلًا، رحلت سعاد من الحديقة تمامًا ليحتل حسام مكانها جالسًا، ليبدأ حديثه سائلًا:

- علمت أنكِ سوف تُسافرين غدًا؛ كيف تدبرتِ أمر السفر؟

ضحكت ساخرة وأجابته:

- عجبت لمن يقول إنهُ يُحب إنسانًا؛ وكل ما يشغله هو كيف لهذا الإنسان أن يُدبر أموالًا؛ ولم ينشغل أو ينتبه أن هذا الإنسان مصاب بسرطان؛ وما قد يُشغل شخصًا يحب آخر أكثر من صحته؛ وليس ماله يا دكتور حسام.

حاول أن يفسر سؤاله ولكنها قاطعته بقوة:

- دكتور حسام أرى أن علاقتنا ما هي إلا طبيب وممرضة في طاقم عمله؛ وأرجو منك ألا تتطرق إلى حياتي الشخصية بأي طريقة أو تحت أي مُسمى.

ألقت آخر كلماتها ورحلت تندفع بقوة إلى المصعد؛ كانت حركتها أقرب إلى الهرولة أنفاسها تتقطع ولا تدري السبب لما تصاب بتلك الحالة

كُلما ابتعدت عن غرفة 666، و الأدق كُلما ابتعدت عن نزيلها؛ دلفت للغرفة وجلست في كرسيها تنظر له فلقد اقترب الفجر وسوف يفيق بأي لحظة؛ تيقنت أن تلك سوف تكون آخر محادثة بينهم ولم تكُن لتفوتها؛ لكنها لم تكُن تعلم أن النوم أقوى منها غفت وهي جالسة، أفاق وهو على فراشه ليجد شرايينه قد اخترقت بالإبر الطبية؛ أزالها جميعًا لتستيقظ الملاك النائم على أصوات الأجهزة الطبية، اندفعت تجاهه في فزع سائلةً :

- لَم تُزيل الأجهزة؟ حالتك تحتاج إليها.

نظر لها بحنين فاضت به عيناه قبل شفتيه:

- أريد أن أحتضنك قبل سفرك.

ابتسمت بقوة وارتمت في صدره تنهل من حنان هذا القلب، هذا القلب الذي أرهقه الألم والمرض ولم يتوقف عن العطاء يومًا، سمح لها ولأول مرة في حياته بأن يتكئ عليها حتى وصل إلى الشرفة؛ كان الصمت بينهم أبلغ من ألف كلمة؛ اكتفى كليهما بقطع وعدًا للآخر بالعودة من جديد والتمسك بتلابيب الحياة؛ لم يكُن هنالك متسع من الوقت لكليهما خاصة بعد حضور دكتور على طالبًا من زينة آخر مهامها وهي تجهيز فارس للجراحة؛ أمسكت الدفتر الذي تدون فيه قصته وهي تنظر للصفحة الأولى البيضاء، كسر الصمت بينهم بسؤال واحد:

- ما الاسم الذي سوف تضعينه لها؟

- كوما.

- أريدكِ أن تعلمي أمرًا مهمًّا قبل سفرك؛ في حال ما لم أعد من تلك الجراحة فعليكِ الذهاب فورًا إلى المحامي الخاص بي؛ لقد أعطيتكِ ثلثي ثروتي في حالة وفاتي؛ ولا أريد منكِ سوى أن تذهبي إليه في حال لم أعد من تلك الجراحة.

جاهدت في إثنائه عن قراره وفشلت، تقبلت قراره أخيرًا حينما أسرها أنه لا يُريد أن تذهب ثروته لمن لا يستحقونها، رضخت لطلبه وعاد كلاهما لصمته فلم يعد للكلمات معنى بينهم؛ وكان آخر ما بينهما تقبيلها يده على أبواب الممر المؤدي لغرفة الجراحة؛ وآخر ما شاهدته قبل رحيلها للسفر هو صديقتها سعاد، وقطعت وعدًا لصديقتها بأنها ستعود فقط لتثأر لمن بذل لها كل ما في الحياة دون قيد وهو بغرفة الجراحة، ولم ترحل قبل أن تقطع لها صديقتها وعدًا بأن تحافظ لها عليه ما استطاعت؛ كان هذا آخر ما حدث لتلك الفتاة قبل السفر ولكن ليس ما حدث ل (فارس)، فما إن دلف إلى غرفة التخدير حتى طلب مغادرة الجميع قبل التخدير من الغرفة، طالبًا الخلوة بنفسه دقائق، لإجراء مكالمة مهمة من هاتف طبيبه الدكتور علي، أجرى المكالمة وكانت للشخص الوحيد الذي دوماً ما أجاب عن كُل أسئلته بألغاز، طلب الحاجة (أم محمود) على هاتف منزلها فهي لا تتقبل فكرة الهواتف المحمولة مطلقاً معللة ذلك بأن هذا الجهاز دمر العلاقات بين البشر، فحلت مكالمة منه لدقيقة زيارة لوالد أو والده أو صديق أو حبيب؛ تلك المرأة تملك فلسفة لا يتملكها أكبر الفلاسفة، وما شدهه أكثر هو كلماتها له فور إجابتها عليه، وكانت:

كوما

- اطمئن يا بني جراحتك ناجحة بأمر الله، فلا تخف ولا تحزن.

- من أعلمك بجراحتي ونجاحها من عدمه؟!

تعالت ضحكاتها وأجابته:

- سل سؤالك يا بني فلا وقت كافٍ لديك لنقاش، أنت تعلم أنك لن تصل منه لجديد.

- فقط أطمئن عليكِ يا أمي؛ فأنا قلق مما هو قادم.

- اطمئن يا بني، فكلنا أدوات بيد الله، اقرأ الآيات (260) إلى (263) من سورة البقرة قبل الجراحة، ولسوف يطمئن قلبك؛ وإلى لقاء قريب.

أنهت حديثها والمكالمة معًا، طلب من طبيبه فور دخوله الغرفة مصحفًا، أتجه إلى الآيات فور لمسه المصحف؛ قرأها بصوت مسموع؛ ما إن انتهى حتى شعر بسعادة غريبة تملكته لقد كان هذا أسهل الألغاز عليه، أو على الأقل الجزء الأول منه يسير؛ سلم ذراعه للتخدير لترحل روحه بعيدًا ويرتاح ولو قليلًا.

***

12

فتح عينيه على صفعات على وجهه مصحوبة بنحيب حار من خديجة، التي ما إن فتح عينيه حتى ارتمت في صدره تضربه بضعف وما يزال بكاؤها ونحيبها مرتفعًا، ربت على كتفيها بحنين ونظر لوجهها وتحدث باسمًا:

– أتوقظين النائمين بتلك الصفعات؟ لا عجب الآن من طلاقك.

أجابته بأجمل ما يمكن لعين أن تراه البسمة المغمورة بالدمع، انسحبت من صدره بهدوء فلم ينتبه كلاهما إلى وجود محمود وعبد الرحمن في الغرفة وهم أكثر منهما قلقًا والأهم هو الدكتور علي الذي حضر على أثر محادثة هاتفية من ابنته؛ وكان قد تقابل ثلاثتهم على أبواب المكتب بعد أن ذهبت خديجة بسيارتها إلى أحد المواقع التي تعمل بها الشركة تُحضر محمود؛ وتزامنت عودتهم مع عودة عبد الرحمن الذي جهز وليمة فخمة؛ ليجدوه في حالة غيبوبة كاملة على كرسي مكتبه لتهرع خديجة في طلب والدها ولم تكتفِ بذلك بل اندفعت تصفعه بقوة وهي تصرخ فيه أن يعود إليها حتى

عاد!! نهض وتحرك مُتجهًا لمحمود يحتضنه في ترحيب وسط وجوم الجميع؛ أنهى وجومهم بقوله بقوة:

– اطمئنوا جميعًا، فأنا على خير حال، الأمر أني لم أغفُ ولو دقيقة مُنذُ الأمس؛ فغفوت هنا في مكتبي كما إن العقاقير التي أخذتها في الأيام السابقة؛ جعلت من إيقاظي مهمة ثقيلة على من يفعلها.

نظر إلى الدكتور عليٍّ وأردف:

– دومًا ما أجدك في كل أزماتي؛ إلا أني اليوم أحتاج إليك في أمر أهم، أرجوك أن تنضم لمأدبة الغداء معنا.

أنهى جملته ونظر إلى خديجة ضاحكًا وأردف:

– ابحثي عن طريقة أخرى لإيقاظي بخلاف الصفعات إذا سمحت.

تعالت ضحكات الجميع وطلب منهم الجلوس بصالون مكتبه؛ رحلت خديجة إلى الحمام وتركتهم في ضحكاتهم، فهذا هو طبع كل لقاء يجمعهم بمحمود، ولا يفرغ من قصص ومواقف حدثت قديمًا بينهم؛ من عادت خديجة من الحمام لتنضم إليهم وقد عادت براقة مثل فراشات الربيع؛ حتى طلب منهم الخروج لمأدبة الطعام مع الموظفين؛ تحركوا لبهو الشركة، وكانت قد وضعت المائدة في منتصف البهو، واصطف جميع الموظفين على جانبي المائدة؛ توقف ومن خلفه جمع من كان بمكتبه عند رأس الطاولة، وبعد ترحاب حار من العاملين به فهو معشوق الجميع؛ طلب منهم الإذن بالحديث رفع صوته بقوة وتحدث بوضوح:

- جميعكم هنا تعرفونني جيدًا، وكثير منكم عاصر معي أيامًا صعبة لا ولن أنساها أبدًا؛ وتعلمون جميعًا أني تغيبت فترة طويلة لأزمة صحية؛ أظهرت لي هذه الأزمة الكثير من الأمور أهمها، من يستحق ثقتي ومن لا يستحق؛ وأظهرت أمرًا أهم وهو أني كُنت مُقصرًا جاحدًا في حق أحد الأشخاص، طالما أهنته بجهل وعمقت جراحه؛ ولا يتعجب أحدكم أو يظن أنني ملاك، فالحقيقة أن هذا الشخص موجود هنا بيننا، وأتضرع إليه في طلبين أمامكم.

توقف عن الحديث واستدار يواجه خديجة التي صعقها الموقف، وتحدث لها بذات القوة:

- الطلب الأول أن تُسامحيني؛ والطلب الثاني أن تقبلين الزواج بي.

عادت على وجهها أجمل ما قد يرى بشر، ابتسامة طفل تصحبها دموعها؛ براءة العالم وطُهره ونقاؤه تجمعت في تلك الفتاة؛ والتي لم تستطع أن تُجيب على الكلمات التي طالما حلُمت بها؛ إلا بأن هرعت تختبئ في صدره منتحبة، التقمها وضمّها في صدره ضمَّ أبٍ لطفله يُطمئنه؛ لم يكُن الموقف صعبًا عليهما وحدهما بل على صديقيهما خلفهما وابيها وجميع العاملين بالشركة، طالما حلُم الجميع باليوم الذي يجتمع فيه الملاكان؛ كلاهما معشوق الجميع وكلاهما يحتل مكانةً خاصة في قلب الجميع؛ استفاق كلاهما من الموقف على وقع التصفيق الحار المصحوب بالدموع من أغلب الحاضرين للموقف، أنهى الموقف طالبًا من الجميع الشروع في التهام المأدبة على شرف زواجهما؛ همت تنسحب إلى الحمام لتُجفف دمعها

وتعود لكنه أمسك يدها بقوة يمنعها؛ جفف دمعها بيديه وطالبها بأن تبقى إلى جواره، انتهت المأدبة على السعادة الغامرة، كما انتهى اليوم بعد عقد القران بمكتبه وشهد صديقاه على زواجهما بحضور دكتور علي؛ تم الترتيب إلى سفر يُعيد إليهم السعادة ولكن بعد ذهابه المشفى وتأكيد الدكتور على سلامته الطبية وإعلان انتهاء علاجه؛ لم يخلُ اليوم من حضور محاميه وموظف الشهر العقاري وكان اللقاء ناريًا جلس على مكتبه وأمامه موظف التسجيل على يساره ومحاميه على يمينه ومعشوقته وصديقاه، وعلي، في صالون المكتب وتحدث بالقدر الذي يجعل الجميع يسمع حديثه موجهًا أول سؤال لمحاميه:

– هل انتهيت من رفع دعوى الزنا والميراث ضد زوجتي وشقيقي؟

– تم الأمر مُنذُ ساعات ومركزنا في القضيتين بالغ القوة.

– إذًا انتبه للآتي من حديثي جيدًا؛ فلا أريد منك توكيلًا عامًّا لخديجة فقط.

– ماذا تُريد إذًا؟!

– أُريد منك الآن أن تكتب وصيتي وفي حضور موظف التسجيل وننتهي منها الآن.

– كما تُريد؛ ولكن ما وصيتك؟!

نهض من مكتبه وتوقف في المنطقة بين صالون مكتبه وفي خلفه محاميه وموظف التسجيل؛ تحدث وهو ينظر لزوجته وصديقيه:

كوما

– ثُلثا أملاكي وأموالي تنتقل فور وفاتي لزوجتي الحالية السيدة ((خديجة))؛ والثلث الباقي يوزع مناصفة بين صديقي محمود وعبد الرحمن.

شرع المحامي في الإجراءات ولم ينتبه للمعركة الدائرة في الصالون خلفه؛ لقد دُهش الجميع من قراره وحاولوا إثناءه عنه بأي طريقة، ولم يتمكن أحدهم من ردعه حينما أعلمهم أنهُ لم يجد غيرهم يستحق أن يرثه، وأنهُ اقترب من الموت بالقدر الذي يجعله على يقين أن الموت قد يأتيه في أي لحظة؛ وذكرهم بقدر المعاناة التي عاش فيها أيامًا طوال لجمع تلك الثروة الملعونة كما وصفها؛ أسرهم أنه لم يعُد يهتم لتلك الثروة كثيرًا وأن ما يعنيه الآن ألا تتجه إلى من لا يستحقها؛ ليخنع الجميع لقراره وتبدلت الكلمات الحزينة إلى سعادة بالغة بلسان محمود فهو جالب الفرحة في جلساتهم دومًا بوجوده قائلًا:

– وأخيرًا سوف أكون غنيًا، سوف أتزوج أربع نساء ليس اثنتين مثلك.

تعالت ضحكات الجميع من أسلوبه وكلِماته، رغم صعوبتها فهو يجد دومًا بطبيعته الضاحكة أسلوبه ليُجمل تلك الكلمات الصعبة، جاءته الإجابة من فارس قوية وهو يُقبل يد خديجة:

– قد تجد امرأة تكون وحدها بكُل نساء الأرض؛ وهأنا قد وجدتها.

انتهى المحامي من تلبية رغبته وقام بالتوقيع لموظف التسجيل وهم الجميع بالخروج من الشركة فلقد تأخر الوقت كثيرًا للجميع؛ على أبواب

الشركة أصر الجميع بمن فيهم المحامي على رحيل فارس وخديجة أولًا على أن يتوجها للمشفى، ومن ثم تبدأ رحلتهم الخاصة احتفالًا بالزواج؛ أصر فارس على أن يقود السيارة بنفسه وفتح الباب لخديجة والتي دلفت بالداخل، دار حول السيارة من الخلف حتى وصل لباب القيادة فتحه ودلف بداخلها؛ وكانت الصاعقة قبل تحرك السيارة بخطوة من أمام الشركة؛ إذ بسيارة مُسرعة تصدمهما من الخلف وتفر مُسرعة في لحظات؛ من هول الموقف لم ينتبه أحد للسيارة التي فرت هاربة؛ توجهت الأعين بنظرات الفزع تجاه سيارة فارس التي طاحت تمامًا في دورتين حول ذاتها بشكل سريع وكادت أن تميل تمامًا على جنبها ولكنها عادت للوضع الطبيعي؛ اندفع الأب والمحامي ومحمود وعبد الرحمن وأمن الشركة تجاه السيارة، كانت خديجة واعية تصرُخ من الألم في ذراعها وكتفها، أما فارس فبدا مُخضبًا تمامًا بالدماء فاقدًا للوعي يُلقي رأسه على عجلة القيادة والدم ينزف منه بغزارة، حتى أنهُ لم يتبين لهم موقع الجُرح من غزارة الدماء؛ لحظات ووصلت سيارات الإسعاف تلبية لمحادثة هاتفية من المحامي؛ انطلقت سيارة الإسعاف إلى المشفى الخاص بفارس بناء على طلب الأب وابنته التي أصرت على أن تكون معه بذات السيارة؛ ورغم آلامها لم تكُن تبكي منها، كان نحيبها وبكاؤها على حبيبها الذي ينزف أمام ناظريها؛ تزامن وصول سيارة الإسعاف للمشفى مع وصول سيارة عبد الرحمن ومعه محمود؛ فيما بقي المحامي يتابع التحقيق الشرطي للحادثة، كان ينتظرهم دكتور حسام عند أبواب المشفى في ذهول بعد محادثته هاتفيًا من على عبر الهاتف المحمول، نُقل فارس فورًا إلى العناية الفائقة بصحبة طبيبه الدكتور

كوما

علي؛ فيما تابع بعض الأطباء حالة خديجة والتي كانت بسيطة وتمثلت في خلعًا في كتفها وبعض الكدمات القوية؛ وانتهت من علاجها سريعًا، واحتلت موقع الانتظار مع عبد الرحمن ومحمود أمام أبواب العناية الفائقة؛ مرت الدقائق عليهم أعوامًا وهم في انتظار خروج طبيبه يطمئنهم، جاهد الصديقين تهدئة الزوجة الجريحة في زوجها وطمأنتها وفشلت كُل المحاولات؛ حتى ظهر الطبيب يخرج من الباب، اندفعت خديجة تجاهه تلهث وتتضرع في سؤاله حول زوجها، ربت على كتفيها بهدوء وطمأنها ببسمته الصافية قبل حديثه والذي اعتمد فيه نبرة هادئة وكان:

– لا يقلق أحدكم الحالة مُستقرة وبسيطة تمامًا وهو في خير حال.

– كيف ذلك؟!، كُنت معهُ بالسيارة لم أرَ ملامح وجهه من الدماء يستحيل أن يكون الأمر هين؛ فقط أخبرني الحقيقة.

– وما الذي قد يدفعني حتى لا أقول لكِ الحقيقة؛ غزارة الدماء هي نتيجة للعقاقير التي أخذها في الفترة الماضية؛ أما عن إصابته فهي جرح في أعلى رأسه وارتجاج بسيط في المخ، ساعات وسوف يكُون بغرفته وتستطيعون محادثته؛ حالتكِ أخطر من حالته.

اطمأنت قليلًا، ولكنها رفضت هي ومرافقيها كُل محاولات الطبيب ترحيلهم من مكانهم؛ حتى خنع لهم وتركهم بالاستراحة أمام أبواب ممر العناية الفائقة؛ لم يدروا كم من الوقت مر عليهم في جلستهم إلا أنهُ لم يكُن قليلًا بأي حالًا من الأحوال؛ مرت عليهم الساعات أعوامًا حتى قاطع صمتهم حضور المحامي ومعه شخص بدا ممشوق القوام وبدا ضابطًا لهم من

المسدس الذي يضعه بجانبه، وكان ظاهرًا لهم، ومعهم إحدى الممرضات التي ذهبت في اتجاه معاكس بعدما أشارت بموقعهم للمحامي ورفيقه؛ ما إن وصل القاضي أمام جمعهم حتى قطع صمتهم بحديثه الجاد:

– هذا هو المقدم عمرو وهو الذي تولى التحقيق في الحادثة؛ وباختصار لديه مثلي تشكك بأن الحادث جنائي وليس مصادفة، وهو هنا لأخذ إفادات الجميع.

ارتفعت الأصوات مصدومة مذعورة من حديثه مُتسائلة في تشابك جعل تفسير الحديث صعبًا، كُلٌ يُصر على سؤاله من أين لك هذا الشك؟!، أتم القبض على قائد السيارة؟! قاطعهم بغضب وحزم الدكتور علي فور وصوله؛ وبخ الجميع مُذكرهم بحُرمة المكان الذي يقفون فيه، طالبًا من الجميع اتباعه إلى مكتبه؛ دلف الجميع إلى داخل المكتب وشرع فورًا القاضي في تعريف المقدم عمرو بالحضور؛ نهض الضابط ليقطع نظرات التساؤل في أعيُن الحضور ويُنهي أي جدل قد يطرأ وكانت نبرته حاسمة حازمة:

– في بداية الأمر لست مُطالبًا بتفسير أي أسباب بنيت على أساسها قناعتي أن الحادث مُدبر، ولكن لأن أغلب الحضور شاهدوا الحادثة سوف أفسر أمرًا واحدًا.

أسهب في شرح اتساع الشارع أمام الشركة مما يُنفي أي فكرة عن احتمالات التصادم للزحام؛ بالإضافة إلى أن أثر عجلات السيارة التي صدمت سيارة فارس؛ تؤكد أنها تحركت بسرعة جنونية من على بعد مائتي

متر فقط من موقع سيارة فارس أمام الشركة، موضحًا أن هذا يعني أن الصادم كان يُراقب المبنى والسيارة وتحرك بسرعة وتعمد لصدمهم فور أن ركب فارس سيارته؛ وأضاف أهم نقطة فنية في وصف الحادثة وهي أنهُ بمعاينة آثار التصادم على سيارة فارس أتضح له؛ أن الصادم تعمد صدم السيارة في الثلث الأيسر لها من الخلف بالثلث الأيمن من مقدمة سيارته والتي كانت مُدرعة من مقدمتها بالقدر الكافي حتى لا تتضرر وتتوقف؛ مُتعمدًا بذلك أن يُطيح بسيارة فارس تجاه اليمين أي الرصيف وتنقلب تمامًا؛ مما يؤكد أن الجاني مُحترف قيادة ودبر بدقة للحادث.

أنهى حديثه أنهُ قد علم عداوات المجني عليه من مُحاميه وتفاصيلها؛ وأنهُ يسعى لملاحظاتهم فقط عن الحادث، وإن كان أحدهم يشتبه بشخص ما يكُن من وجهة نظره يقف خلف الحادث؛ لم يتحصل على إجابات منهم أكثر من تأكيد قصة القاضي عن عداوته مع زوجته وشقيقه؛ انتفضت خديجة وانتصبت واقفة بقوة تقطع الصدمة والوجوم بالغرفة صارخة:

- هنالك شخص آخر.

اتجهت لها الأعين وخاصة الضابط ولم تنتظر سؤاله لتُجيب:

- دكتور ((حسام)).

دُهش الجميع لاتهامها لطبيبه؛ ولكنها بررت ذلك بما حدث في المحكمة صباحًا، وشهادته الباطلة تجاه فارس، وتعمُده إبرازه غير قادرًا على الحياة مُجافيًا الحقيقة؛ قطع الحديث دكتور على بنهوضه وحديثه بنبرته الحاسمة:

– مع تقبلي لفكرة ابنتي أن هنالك أمرًا غريب في علاقة دكتور حسام بمريضه؛ إلا أني مُضطر للأمانة أن أنفي عنه الاتهام تمامًا؛ دكتور حسام مُنذ عودته من المحكمة وهو في غرفة العمليات حتى الآن، أجرى جراحة خطيرة لمدة ثماني ساعات، وهو الآن في جراحة لن تنتهي إلا بعد ساعتين على أقل تقدير؛ ما يعني أنهُ لم يُغادر المستشفى مُنذُ أكثر من عشر ساعات كاملة؛ وبالتبعية يُنفي عنه فكرة خديجة، وأرجو ألا يخرج هذا الاتهام بين جدران المكتب، حفاظًا على سمعة المشفى.

صمت الجميع وعاد الوجوم يُخيم على أرجاء المكتب، قطع الصمت الضابط بأنه يحتاج لإفادة فارس، وأن كُل شيء سوف يظهر جليًا بعدها؛ أجابه الطبيب أنهُ سوف يفيق بعد ثماني ساعات أي فجر الغد ويعود بعدها إلى غرفته ويستطيع أن يسأله كيفما شاء؛ طالبًا من الجميع الرحيل الآن والعودة صباحًا، وبعد ضغط كبير من الطبيب قبل الجميع إلا خديجة التي أصرت أن تنتظره في غرفته؛ ولم تنسَ قبل رحيل الجميع أن تُصر على طلبها من أبيها إبعاد الدكتور حسام تمامًا عن حالة زوجها؛ وأنها لا تطمئن له وسوف تُحمله أي مكروهًا قد يحدث لزوجها؛ تعهد لها بألا يقرب حالة فارس غيره، وصحبها حتى أوصلها لغرفة 666، دلفت إلى داخل الغرفة، ولم تستطع أن تكبح دمعها أكثر فاضت به عيناها وهي تتحسس فراشه؛ استلقت عليه في إجهادًا لتغفو أخيرًا في فراش معشوقها

***

13

وجد نفسه في مكتب بدا له عيادة أو مكتب طبيب بمستشفى، سمع شخصًا يتحدث بغضب ولم تتضح له ملامحه لكونه على فراش الكشف وأمامه ساتر أبيض؛ كان الشخص يُحدث أحدًا أنهُ تخلص من شخص اليوم، ولكنه بدا غير متأكد إن كان قُتل أم لا؛ علل ذلك بأنه لم يتمكن من معرفة الخبر الدقيق، طالبًا من محدثه التأكد بنفسه وبدا يُحدث أنثى؛ بحث بعينيه سريعًا في نفسه ومحيطه الضيق ولم يجد ما يميز المكان؛ أغمض عينيه سريعًا، وعاد يفتحهم ليجد ذات الفتاة بأحلامه السابقة وكانت تتحدث هاتفيًّا في الشرفة لأحدى صديقاتها وبدت مقربة لها من لهجتها والأشواق بينهم، بدت مُنفعلة سائلة عن أحدهم هل أصابه مكروه؛ أثنت على الله شكرًا وكأنها اطمأنت لحالته، أغلقت المحادثة بهدوء على وعدًا لمحادثتها بتكرار المحادثة في اليوم التالي؛ عم الصمت لحظة المكان ليعود ويسمع صرخاتها الغاضبة ولعنها للدهر والحظ وللشخص المصاب مُتمنية له الموت لترتاح مما هي فيه؛ تعجب من مكر تلك الفتاة ولم يفهم كُنهها أهي تحبه أم تتمنى موته؛ أغمض عينيه ليجد نفسه في أحد الصالونات لشقة

صغيرة ويسمع تمنيات بين رجل وامرأته لوفاة أحدهم والرجل يعلم المرأة أن الله أراد لهم الثراء بتخليصهم من شخص بدا مكروهًا منهم؛ أغمض عينيه ولم يعد يُطيق تلك الكوابيس المزعجة وما علاقته بها حازمًا أمره أن يعلم من هم هؤلاء الأشخاص، فتح عينيه وكان بشقة بدا مالكها ثريًّا من أساسها الفخم؛ وكان بإحدى الغرف حوار بين رجل وامرأة يخططان لقتل أحدهم بالتسلل لغرفته وحقنه وهو غافٍ بإحدى العقاقير لتُهلكه؛ لم يطق صبرًا لكشف هؤلاء الشياطين اندفع إلى داخل الغرفة ليُصعق من هول فراغ الغرفة فلا أحد بها؛ تشكك بنفسه، لحظات حتى سمع الصوت مرة أخرى من جواره مباشرةً وهو لذات المرأة وهي تسأل عن فاعلية العقار وهل سوف يُهلك أم هنالك أمل للشفاء؛ أدهشه الموقف حينما التفت ولم يجد أحدًا وكانت دهشته أكبر حينما سمع الرد عليها من الرجل مؤكدًا كفاءة العقار القاتلة؛ دقق النظر لمنبع الصوت ولم يجد أحداً؛ فزع بشدة وأغلق عينيه هاربًا من هذا الكابوس، دار برأسه يسارًا ليجد أكثر الوجوه أُلفة له ضحك بقوة قائلًا:

– الآن تأكدت أن مكروهًا حدث لي.

ربت على يده برفق وأجاب:

– لا مكروه ولا أي شيء أصابك، باستثناء هذا الجرح البسيط في رأسك من أثر اصطدام رأسك بعجْلة القيادة.

تعجب بشدة سائلًا:

– إذًا لِمَ أنا بالعناية الفائقة؟ فتلك ليست غرفتي.

عاد بظهره للخلف وأجابه:

- أنت هنا لسبب آخر ليس مرضيًّا.

نهض جالسًا على فراشه مُدليًا قدميه أرضًا يتكئ بذراعيه على الفراش، ولم يحتَج ليسأل بشفتيه، بدا سؤاله جليًّا على قسمات وجهه؛ وضع يده أمام عينيه في تقاطع ماسحًا وجهه كأنما يرفض ما سوف يخرج منه، صمت لحظات معدودة وأسر مريضه أنهُ في بادئ الأمر كان يعتقد أن حالة الكوما التي أصابتها في الجراحة هي عَرضية ولن تتكرر، لكن التجربة أعلمته أن الحالة تتكرر؛ لذا قرر أن في المرة القادمة لن يُقدم على أي علاج ليرى هل سوف تنتهي الكوما من تلقاء نفسها مثلما تأتي؛ وهو ما تأكد منه في المرة السابقة حينما دخل غرفته ووجده مُلقا أرضًا اكتفى بنقله لفراشه، وجلس يراقبه حتى أفاق؛ واليوم فعل نفس الشيء، عالج جُرحه فقط ووضعه هنا حتى لا يقترب منه أحد؛ وجلس يراقب؛ أسره أنهُ في حيرة من تلك الكوما، هل تأتي له تلك الحالة بسبب ما أم تُصيبه عرضيًّا؟ وأسره ان الشخص الوحيد الذي يعلمه وله أبحاثًا في هذه الحالة ويستطيع مساعدته هو حسام؛ نهض واقفًا وربت على كتفيه بقوة وأردف:

- يبدو أن الله يُريد لك الحياة ويرسل لك من يحرسك ولا فضل لأحد في ذلك؛ هو الله فقط ولسببٍ لا يعلمه غيره وغيرك.

أنهى جملته وتوجه لباب الغرفة وأعلمه أن سعاد سوف تأتي لتنقله لغرفته؛ رحل تاركًا هذا الشاب يفكر في آخر كلماته والتي أراد بها الطبيب أن يؤكد له أن سبب بقائه ليس الطب، فهو لم يُعِده لا في تلك

المرة ولا السابقة؛ والأمر إرادة الله فقط؛ كلمات بدت له في البداية غريبة من طبيب بحجم علي عبد الرحمن، لكنه تأكد بمجهود بسيط من التفكير من منطقيتها؛ وكان أهم ما يشغله في حديث طبيبه السؤال الذي يحتاج لإجابة، وهو هل تأتي له تلك الحالة بسبب ما أم تُصيبه عرضيًّا؟ ومن يُجيبه عنه أفضل من حسام، وهو حقًا يُعد مرجعًا في حالات العائدون من الموت، قاطعت أفكاره بدخولها الغرفة لنقله لغرفته لكنها بدت حزينة على غير عادتها؛ تحرك معها بالممر متجهًا لغرفته في صمت قطعته بجملتها:

– لقد حادثتني زينة هاتفيًّا اليوم؛ وصُعقت لما حدث لك حينما أعلمتها بالحادثة.

– وكيف حالها؟

– ولِمَ تسأل عنها ألم تتزوج؟!

– وهل أخبرتك أنا أو هي بأني أُحبها؟!

– أنت لا تعلم ما قد يحدث لها إن علِمت؟ فأنت لم تسمع لهفتها وصدمتها حينما علِمت بحالتك والحادثة.

– لا تنزعجي، فأنا على يقين أن عودتها سوف تُغير أمور كثيرة.

– لا أفهم كيف هذا؟!

وصلوا في تلك الأثناء للغرفة وقطع حوارهم وجود خديجة النائمة في فراشه؛ انفعلت سعاد لفعلها مُبررة الأمر أن تلك مستشفى وليست فندقًا؛ رمقها بنظرة قطع الكلام في حنجرتها وجاوبها بلهجة حاسمة:

- أذهبي إلى الدكتور حسام فأنا أُريد أن أراه فورًا.

انصرفت وهي مُمتعضة فيما دلف إلى غرفته، جلس لجوارها على فراشه يداعب وجنتيها بأنامله حتى استيقظت فزعة، ضمها إلى صدره يعلمها بوجوده وسلامته؛ كان بكاؤها حارًّا كعادتها فهي لا تتحمل أي موقف معه؛ هي تلك الزهرة التي قد تجرحها نسائم الفجر وقطرات نداه البسيطة؛ طلب منها أن تنصرف لترتاح فأبت بقوة طالبة أن يرحلا معًا؛ أعلمها أنهُ يجب أن يبقى قليلًا، وأنه سوف يخضع لعلاج الدكتور حسام لفترة، حتى يتمكن من السيطرة على حالة الكوما التي تعترض طريقه؛ امتعضت بقوة وأعلمته أنها لا تثق في هذا الطبيب خاصة بعد ما حدث في المحكمة مُحذرة من التعامل معه؛ أجابها بضحكة قوية وأعلمها أن الأمر بناء على طلبه، أصرت على رفضها؛ فأجابها مُنهيًا الحوار:

- ومن يستطيع أن يقربني بسوء وأنتِ هنا؛ لن أمنعك أن تأتي بأية لحظة تُريدين حتى ينتهي الأمر؛ أما الآن يجب أن ترتاحي حتى تستطيعين العودة إليّ سريعًا.

استسلمت أخيرًا لطلبه ورحلت، اتجه إلى الشرفة وجلس يراقب الجنة في صفاء نادر الحدوث معه؛ دلف حسام وجلس لجواره وقطع شرود فارس بسؤاله:

- لم أتخيل أن تطلبني خاصة بعد ما حدث في المحكمة وبعد أن قام محاميك بجعلي لم أدرُس الطب من الأساس.

- لا تشغل بالك بحديث المحامين فهو عملهم ولا ينتقص من قدرك عندي كُل ما حدث أو قيل وأنت على يقين من ذلك.

سأله بعنف:

- إذًا أُشغل بالي بما قُلت؛ فكيف عرفت ذلك؟!، أأنت من فعلها؟!

ضحك بقوة ساخرًا وأجابه:

- علِمت منها؛ أما عني فلست أنا ولن أكون فيما بعد، اطمئن؛ الآن يجب أن تُعلمني كل ما تعلم عن الكوما.

هدأت جوارحه، بدا له صدق محدثه، وبدأ السرد عن العائدون من الموت من جديد سائلًا عن الأشياء الغريبة التي تحدث لسائله؛ أجابه قاطعًا لا شيئا باستثناء ما ذكره له قبلًا، وأضاف تلك الكوابيس الغريبة التي تأتيه من وقت لآخر؛ صمت للحظات وأجابه بالتأكيد هنالك علاقة بينك وبين شخصيات كوابيسك، ولكن لسببٍ ما لم يُقدر لك بعد كشف أشخُصهم؛ سأله السؤال الأهم ما المفتاح الدائم لدخوله الكوما؟ أجابه بعد صمت أنهُ لا يعرف! عاد ليشرح له أنهُ يجب أن يعلم ذلك المفتاح ويحاول معرفة ما أقصى ما قد يصل له من قدرات بداخل الكوما، مُشيرًا أنهُ استطاع أن يجد آلية انتقاله داخل الكوما والإفاقة منها؛ وهي إغلاقه عينيه وتحويل عقله لينتقل إلى مكانًا آخر؛ وجم للحظات ثم تحدث محذرًا:

- أرى أن تنتبه جيدًا فالقدرات المجهولة أكثر خطورة من امتلاك خوارق ظاهرة؛ الأمر يتعلق بك وحدك.

- لا تنسَ أن كُل ما نتحدث عنه ما هو إلا تخيلات وأحلام لا تمُت للواقع بصلة.

بدا غير مقتنع بإجابته، واكتفى بكلمة " فليكُن" وانتفض راحلًا طالبًا منه أن يحدثه بأي وقت إذا طرأ ما هو جديد، نظر بعمق للجنة أمامه وارتسمت على ملامحه تلك البسمة الغريبة والتي يتسع فيها بؤبؤي عينيه وتميل شفتاه يسارًا؛ لتهرب من شفتيه وهو يسحب هاتفه من جيبه كلمة:

- فليكُن.

***

14

ارتدت ذلك القميص الذي لا يُغطي من جسدها أكثر مما يكشف، هو ذلك الرداء الذي يعشقها به، وهو دومًا ما نجح في جذبه إلى فراشها مع بعض من دلالها مهما يكن الخلاف بينهم دومًا ما أفلحت الحيلة؛ فهي تعلمه كم تعلم أصابع يدها رغم قوته هو هزيل أمام أي إغراء جنسيٍ؛ تهيأت أمام مرآتها و تعطرت، توجهت إلى حقيبة يدها أخرجت هاتفها وقامت بتشغيل مسجل الفيديو وتوجهت لأحد أركان الغرفة وقامت بدس الهاتف وهو بوضعية التسجيل؛ رغم عشقها له بلا حدود، ولكنها لم تكن تلك الساذجة التي قد تتورط وحدها؛ لم تهدأ أو تسكن شياطين رأسها بعد إصراره على أن تقم هي بحقنه بالعقار المهلك، ورغم حُجته القوية بأن وجودها منطقيًا أما هو فظهوره سوف يجلب الشكوك والمتاعب، فقد شعرت برادار الأنثى بداخلها أنهُ ككل مرة يُريد لها أن تتورط ويقف هو يحصد خيرات زرعها غاسلًا يده من أي مشكلة؛ ولكن ليس هذه المرة ليست كسابقاتها، هذا ليس مالًا تسلبه له أو حُجة تحتال بها لتلتقي به في فراش، أو حتى ميراثًا تهبه له؛ تلك المرة هي قتل ولن تتورط فيه وحدها؛

خرجت من الغرفة وعادت بعد لحظات تقتاده إلى فراشها تقبيلًا في حرارة، هذا الحيوان الشهواني الذي لا يشبع أبدًا من إرضاء غرائزه الجنسية، ما إن فرغا من لقائهما الساخن، والذي بدا كمعركة ضروس، سألته عن تأكده من قدرات العقار القاتل وخطته لها؛ تباهى في عرض تركيبة العقار القاتل وأنهُ مزجها بنفسه، وأما عن الخطة فهي بسيطة تتسلل لغرفته وتحقنه بالعقار وتمضي في هدوء؛ انتهى اللقاء الدنس وخرج من الغرفة بعد ما ارتدى ثيابه لينقلها بسيارته لتُنفذ مهمتها، ارتدت ملابسها وتأهبت للرحيل، وحملت حقيبة يدها، واتجهت لموضع هاتفها؛ لتتأكد أنه سجل وما يزال يُسجل، برقت عيناها فخرًا بذكاء تلك الشيطانة الآن هو متورط بلا شك معها؛ باغتها تعجله لها وهو يقف على أبواب الغرفة ما دفعها لدس الهاتف في حقيبتها دون أن تنهي وضعية التسجيل؛ خرجا من المترل وتوجها بالسيارة إلى وجهتهما وقطعت الصمت بسؤالها:

- لَمَ تُسرع هكذا!؟!

- يجب أن تصلي قبل الفجر وتتسللي خلسة ولم يبقَ الكثير من الوقت.

- ذلك الملعون مُرهِق في كُل شيء حتى في قتله.

تعالت ضحكاتهما بقوة من كلماتها، لحظة وتبدلت الضحكات إلى صرخات فزع، كانت فزعتهما من ظهور شخص أمامهما، اختلت عجلة القيادة وتكفلت السرعة بالباقي لتتقلب السيارة، مرة تلو الأخرى حتى سكنت على جانب الطريق مُهشمة تمامًا على من فيها؛ توقفت إحدى

السيارات التي شاهدت الحادث وأبلغت الشرطة؛ لم تمر ساعة واحدة إلا وعج المكان برجال الشرطة والإسعاف ووفد النيابة الذي وصل متأخرًا قليلًا؛ بالتزامن الوقتي دلف دكتور علي بصحبة خديجة لغرفة فارس وكان مُستلقيًا على كُرسيه بالشرفة؛ أيقظه طبيبه من سباته بعد عناء وقلق زوجته، فتح عينيه متحدثًا بلهجة ساخرة:

- كأن خديجة قد حرمت على الفراش بنومها عليه.

- ما الذي دفعك للنوم هنا؟!

- سحرني المشهد في الفجر حتى غفوت وأنا جالس، اطمئن يا دكتور.

- إذًا أرحل لأنتظر هذا الضابط، فلا أعلم ما الذي دفعه لهذا التأخير؟!

رحل فيما نظر فارس لزوجته التي ما تزال صامتة سائلًا:

- عن أي ضابط يتكلم الدكتور علي؟!

التقطت أنفاسها أخيرًا بعد حالة الصدمة التي أصابتها من استلقائه على الكرسي؛ جلست لجواره وقصت عليه كُل ما حدث بالأمس وعن شكوك الضابط في أن الحادث مُدبر وعن أسبابه المقنعة لذلك، شرد قليلًا وقطع صمته وشروده بلهجة ملؤها الحيرة:

- وجهة نظر هذا الضابط جديرة بالاحترام؛ ولكن من عساه يفعلها؟

- اطمئن، فبالتأكيد سوف يكشف هذا الضابط سر الحادثة.

- أتمنى ذلك.

شعرت بتوتره البالغ فتحتم عليها تبديل الحوار، باشرت في سرد تفاصيل الشركة وآخر الصفقات، نجحت فكرتها في تبديل الأجواء لطالما أثار حماسته الحديث عن العمل، مرت الساعات وهم يتناقشون في تفاصيل العمل دون أن يشعر كلاهما أو يرهق؛ كُلما توصلا إلى تعديل أجرت محادثة بالمختص عن التعديل بالشركة ليبدله؛ بدت الشرفة بكراسيها البلاستيكية أفضل من غرفة عمليات الشركة المكيفة؛ استدار يسارًا بشكل مفاجئ على أثر سمعه دقات على باب الغرفة، انفرج الباب وظهر طبيبه (علي) ومن خلفه ظهر شابًا طويل القامة وهو ما دفعه للنهوض وترك الشرفة لملاقاتهم، لم يخفَ عليه أن ذلك المنمق هو ضابط الشرطة فهو يتعمد إظهار مسدسه للجميع، هو أحد أساليب الشرطة لفرض الهيبة والسيطرة المعروفة؛ بسط يده له بالتزامن مع حديث طبيبه:

- المقدم عمرو، الضابط المسئول عن التحقيق بحادث السيارة.

بسط يده مرحبًا بتقدير واضح:

- أهلا بسيادتك، وإني أقدر وجهة نظرك السديدة في الحادثة.

بدا الضابط يخفي أمرًا جللًا وبدا ذلك بلهجته:

- لكنِ لم آتِ من أجل الحادثة فقط؛ هنالك أمر أهم وأرى أن نكتفي بحضور طبيبك معنا.

أشار له بالجلوس على أحد كراسي الغرفة ولطبيبه الكرسي الآخر فيما أشار لخديجة أن تقترب وأحضر كرسيًّا من الشرفة أجلسها وتحدث بقوة وهو يقبل أعلى رأسها من الخلف:

– تلك هي زوجتي ولا يعلم عني أحد بقدر ما تعلم.

أنهى جملته واتكأ بمؤخرته على حافة فراشه قائلًا:

– تفضل سيادة المقدم؛ كُلي آذان مُصغية.

التفت باحثًا في أعين الطبيب وكأنما يحصل على الإذن وجاءته الإشارة بإيماءة إيجاب؛ زفر نفسًا عميقًا، وعاد يشرح شكوكه حول الحادث وكيف بنى قناعته أن الحادث مُدبر؛ وكان أول خيار له حصر للمشتبه بهم وانحصرت الشكوك تقريبًا في (روان) زوجتك الأولى و(أحمد) شقيقه؛ أرسل إشارة لعموم أجهزة مباحث الأقسام الشرطية التي يقطن بها المشتبه بهم؛ وبالفعل وصل الطلب ل (أحمد) على أن يحضر عصرًا اليوم؛ أما روان فلن تحضُر لا عصرًا ولا في أي وقتًا آخر؛ بدا الجميع ينتبه بشدة للحديث؛ أعلمهم أنهُ تلقى إشارة أن هنالك حادثًا يُشتبه في أن قتيليه مطلوبان منه؛ انتقل فورًا إلى المكان الذي يقع على مقربة من المستشفى؛ وأنهُ فور وصوله كانت النيابة قد فرغت من مُعاينتها وطلبت حصر الأدلة وتفاصيل الحادث كالعادة؛ من فحص أوراق القتيلين تأكد للجميع أن المتوفاة هي زوجتك (روان) وبصحبة شخص يدعى (حسينًا)، دُهش الجميع وقطع سرده بسؤال من خديجة:

- وما جمعهما معًا؟

عم الصمت المكان لبرهة قطعه (عمرو) بإخراج هاتفًا من جيبه؛ وقال بهدوء:

- هنا يكمن السبب.

أنهى جملته وهو يُشير للهاتف، قام بتشغيل فيديو ظهرت به زوجته تتهيأ للقاء جنسي؛ اقترب الزوج المغدور في عرضه بوجهه يكاد يلاصق الهاتف بيد (عمرو)، حتى بدأت القبلات الحارة بين زوجته وعشيقها؛ ثار غضبه وجُن جنونه يسب ويضرب الفراش وأي شيء يلقاه أمامه يفرغ غضبه على عرضه المنتهك؛ صرخت خديجة في الضابط وهي تركع على ركبتيها أسفل قدمي زوجها تترجاه الهدوء:

- أوقف هذا الفيديو، يكفي ما شاهدناه.

هدأ الموقف للحظات بعد تدخل الطبيب بضربه للشاب الثائر في صدره؛ نهض (عمرو) متحدثًا بحزم ليسيطر على الموقف:

- ليس هذا بيت القصيد الأهم قادم؛ فليهدأ الجميع حتى تفهموا الأهم.

لم تصله إجابات لا بالألسن ولا بالإشارات ولكنه اعتبر صمتهم قبولًا، عاد لتشغيل الفيديو بعد أن تجاوز مشهد الفراش وبدأت تتضح الصورة لزوجته راقدة في خلاعة لجوار عشيقها، وبدأ يظهر التدبير لقتل الزوج المغدور في شرفه، لم يكفِهم قتل شرفه أرادوا إزهاق روحه تمامًا؛ بدأ الجميع

ينتبه للفيديو والترتيب الشيطاني بحقنه بأحد العقاقير لإنهاء حياته على يد زوجته التي سوف تتسلل لغرفته تحقنه وتمضي، بدأت ترتدي ملابسها، ووضعت الهاتف في حقيبتها دون إغلاقه على أثر دخول عشيقها؛ وبدأ يظهر صوت فقط لشاشة سوداء، وحوار (روان) وعشيقها ليهدأ سرعته ونتيجة تلك السرعة فجأة ظهر الصراخ وصوت التصادم البشع حتى خفت الصوت تمامًا؛ أغلق الضابط الهاتف وأعاده لجيبه ليصرخ فارس بقوة:

– لقد شاهدت هذا الفيديو من قبل؛ ولكنِ لم أعرف أنها زوجتي.

دُهش الجميع من ما يسمع وباغته الضابط بسؤله:

– كيف شاهدته وأنت في المستشفى والهاتف مع القتيلة ثم معي ولم يلمسه غيري؟!!

صرخ بقوة:

– لا أعلم لكن أقسم لك أني شاهدته.

تدخل (علي):

– هذا أمر طبيعي قد ينتج من العقاقير التي تتناولها أن تشعر أحيانًا أنك شاهدت شيئًا قبل حدوثه وهذا ليس حقيقيًّا هو أمر طبيعي نتيجة العقاقير والأدوية.

دلف للغرفة فزعًا يقطع الصرخات:

– ما الذي يحدث هنا؟!

أشار له (علي) بالهدوء وتحدث:

- هذا هو الدكتور حسام، ويتابع حالة (فارس).

توجه له فارس وأمسك مرفقيه بقوة وهو يصرخ:

- لقد شاهدته، أقسم لك شاهدته لقد أعلمتك بالكوابيس وها هو أحدهم، فلتعلمهم.

ربت على كتفيه برفق وأجلسه وطلب من الجميع الهدوء؛ توجه للضابط طالبًا منه شرح الأمر؛ شرح له (عمرو) كل شيء وعرض عليه الفيديو كاملًا في شرفة الغرفة؛ ما إن انتهى حتى دلف به للداخل؛ وقف في منتصف الغرفة يواجههم وتحدث بهدوء وجه أول حديثه لخديجة:

- لقد علمت من دكتور (علي) عدم ثقتك بمتابعتي لفارس؛ ولكن أقسم لك أني أحرص منكِ عليه فقط أرجو من الجميع الهدوء لأتمكن من إيضاح الأمر لكم.

أشار له الجميع بالموافقة، استهل حديثه بأن عرض فكرة عامة عن العائدين من الموت وحالة فارس بالخصوص، وأفاض في شرح الكوما من منطلق فهمه للحالة التي بينهم؛ وعرض لهم الأسئلة التي عجز العلم عن تفسيرها، ما قدرات العائدون من الموت؟!، ما الذي يشاهدونه؟!، ما السبب في بعض التغيرات السلوكية والجسدية لهم؟ منوهًا عن اختلاف تلك القدرات من حالة لأخرى؛ بدا الجميع باستثناء (فارس) و(علي)؛ غير مُستوعبين للفكرة، هنا أشار بيده كأنما يُغلق صفحة في كتاب علمي وتحدث بلهجة هادئة حاسمة:

- الآن ما يهمكم هو كلمات (فارس) حول أنهُ رأى هذا الفيديو قبلًا؛ أؤكد لكم صدقه لقد سرد لي بالأمس تفاصيل هذا الفيديو والترتيب للقتل ولكن بشكل مختلف ولم تكُن في رؤيته الحادثة مُطلقًا؛ الآن تنتظرون مني التفسير العلمي وهو لا شيء علمي مثبت حتى الآن؛ كُل ما أستطيع أن أجزم به أن (فارسًا) بطريقة ما عاد من الموت على قدرة أن يشاهد في أحلامه بعض الأشياء التي قد تحدث وقد لا تحدث أيضًا.

نهض (عمرو) وتحدث بحسم:

- ليكُن فهمي دقيقًا لحديثك؛ لقد قُلت بالحرف "أن يشاهد في أحلامه"، هذا ما قُلته؟

- بالتأكيد هذا ما قُلته تمامًا.

- إذًا الأمر يعنيكم فقط، هو أمر طبي لا علاقة للشرطة به؛ أما عن ما أُريده منكم أن تعلموه حاليًا أن نتيجة وفاة (روان)، وما تأكد من الفيديو أنهما لم يشتركا في محاولة القتل صدمًا بالسيارة؛ وذلك لأنهما وجدا ترتيبًا آخر للقتل؛ هو أن من حاول قتلك صدمًا بالسيارة ما يزال مجهولًا وجاري البحث عنه، والسؤال الآن هل لك شكوك تجاه أي شخص آخر؟

أجابه بإيماءة نفي من رأسه وقد صام عن الحديث، انسحب إلى الشرفة مُخلفًا الجمع بالغرفة خلفه، وكانت النصيحة التي استمع لها الجميع بتركه وحيدًا لتهدأ جوارحه قد أتت من (حسام)، حتى خديجة وافقت على نصيحته وغادرت وقد عزمت على العودة ليلًا؛ ما إن شعر بمغادرة الجميع

كوما

من الغرفة حتى عاد إلى فراشه، بدا له النوم في تلك اللحظة هو السبيل الوحيد للنجاة من عقله، تفكيرًا مستمر في الخيانة وهل كان يستحقها أم لا، هل استحقت تلك الخائنة وهذا الدنس تلك النهاية المشئومة؛ النوم هو الدرب الوحيد للهرب من ما يمر به وقد وصله سريعًا على غير العادة.

***

15

تمايلت بدلال على الطاولة وبسطت يدها تأخذ منه عبوة الشاي التي طلبتها، تعمدت أن تقبض على كفه بكفها تُصلي شهوته تجاهها، هي (نجوى) تلك المطلقة ولديها طفل وحيد تربيه، بعد مُعاناة كبيرة مع زوج عاطل مُتعاطي مخدرات، طلقها ورحل دون أن يعلم عنه أحد شيئًا، دومًا ما قال فيها أهل الحي إن تلك الفتاة نُكبت بجمالها وفقرها؛ جسد بض أبيض، خصر مستدير، مؤخرة ممتلئة قليلًا في تناسق بديع مع ساقين رسمت كأنما قلب رسم على جسد امرأة، صدر كثر لعنق طويل ووجه ماسي تجلى عليه إبداع الله في خلقه بعينين واسعتين وشفتين صغيرتين مكتظتين وأنف دقيق، ولم ينقص تلك الفاتنة الدلال بل بُولغ فيه كما عُد جمالها مُبالغًا فيه، حام حولها مئات الرجال من يبغي زيجة ثانية أو ثالثة أو من ابتغى علاقة محرمة؛ ولم يطل منها أحد حتى نظرة قبول، إلا هذا الشاب دائمة الدلال معه تُريده حقًا وتصليه نار الشهوة بدلالها، لكنها لم تقل في غرورها عن جمالها ودلالها، طالبت تطليق تلك العاقر التي تزوجها قبل أن تقبل به زوجًا لها، وعدته بأن يعيش معها ما لم يعشه يومًا من سعادة أفقدته

لها تلك الشيطانة العاقر، دومًا ما سمع منها ومن الحي أن زوجته تقوم بالسحر لتبقيه معها؛ لم يكُن يُجيب أحدًا حينما يسأله ما يدفعك للإبقاء على تلك المرأة الطامعة العاقر، كان يكتفي بالصمت هو نفسه لا يعلم سبب خنوعه لها ولرغباتها، أهو عشق جنوني أم لإتقانها فن الجماع الذي تُشعره فيه بأنه من أهل الجنة، وأن لا رجل على الأرض سواه، دومًا ما تفننت في السيطرة عليه بمفاتنها والجماع الحار بينهم، تعلم متى تُصليه نارًا بمنع نفسها عنه ليركع تحت قدميها ومتى تدفعه لمس النجوم لتُبقيه؛ لم يجد يومًا سببًا مقنعًا لإبقائه عليها، رغم ما تُدره تجارته من أموال تكفيهم للعيش في راحة تامة، إلا أنها دائمة طلب المزيد، دفعته إلى استغلال أزمات عدة بالمنطقة لتجني أرباحًا، حتى صار الدور الأول من منزلهم مستودعًا للبنزين المدعم وأسطوانات الغاز وجوالات دقيق وأي شيء يُدر مالًا؛ سحبت يدها في خفة من يده وبلهجتها التي تُصليه بها نارًا تحدثت:

- الزواج فقط ما يجعلك تملكني.

تحدث مُضطربًا بعد بلع ريقه بصعوبة وتجمع عرقه على جبهته:

- إذًا فلنتزوج.

- أنت تعلم لن يكون إلا بعد طلاقك لتلك الساحرة؛ طلقها تجدني بأحضانك حتى تشبع مني.

أنهت كلماتها ورحلت ببطء تتعمد إظهار مفاتنها وهي على يقين أن عيناه تتبعانها، ظل يتتبعها بعينيه حتى توارت في منزلها، جُن جنونه وثارت غرائزه، لقد نجحت تلك الفاتنة في استثارته، أغلق باب المحل وتحرك تدفعه

نيران الشهوة إلى منزله، قرر أنه يجب أن يُطلق تلك الشيطانة لقد اكتفى من ألاعيبها به، لم يعُد يُطيق صبرًا لينال (نجوى) طالما حلُم بها في منامه يعتليها وتعتليه؛ صعد تدفعه نيرانه ليفتح باب شقته صارخًا على (ولاء) زوجته، خرجت من غرفة النوم ترتدي قميصًا خفيفًا وبدت كأنها تتحضر للقاء جنسي مُنذ ساعات؛ جُن عقله كيف تعلم تلك الشيطانة ما يدور برأسه، وكأنها تجلس بداخل عقله؛ قرر أن يلفظها ولن يقربها مهما يحدث لقد فاض نهره، صرخ فيها بأنه سئم الحياة معها في مشاكلها التي لا تنتهي؛ لم تُجبه لفظًا بل اقتربت منه حتى تلاحمت بصدره تقف بقدميها على قدميه، طوقت رقبته كالحيات بيديها وألهبت جسده المشتعل بنفث سمها تقبيلًا لرقبته، تحدثت فحيحًا كالأفاعي:

- وأنا اشتقت إليك ألا تشتاق إلي.

لم يُجيبها هي تعلم أنهُ على وشك الانهيار أمامها كالعادة فتلك ليست المرة الأصعب التي تُخضعه فيها، لقد قابلت معه مرات أصعب بكثير وكانت أقساها حينما قام بصفعها لمرات وانتهى الأمر به خاضعًا لما بين فخذيها ذليلًا، لم تعُد تهتم لتلك النوبات من فرط إتقانها لتحويل مساراتها لمصلحتها، بل أمست تنتظرها لتنتزع منه أكثر مما تُعطيه، بدأ ينهار بين يديها يطوقها بيديه يقبلها، لتقتاده لغرفتهما تُلهبه أكثر في فراشها أوصلته للنجوم وأشبعت شهوته حتى فاض نهره وانحسر، لكنها أرادت له بدهاء إنهاكه أكثر حتى تضمن ألا يعود لنوبة جنونه قريبًا، اعتلته ولم تسمح له الخروج من أحضانها، وبينما تُلهبه كعادتها، قفزت من فوقه عارية في منتصف الغرفة تصرخ في زوجها:

- هُنالك أحد هنا؟

قفز من الفراش عاريًا مذعورا صارخًا:

- من عساه هنا يا امرأة والباب مغلق وأنتِ بالطابق الثالث؛ أجننتِ؟.

- أنصت أقسم لك هنالك أحد.

أرهف السمع بدقة فبدأ يسمع صوتًا غريبًا كأنما طقطقة، لحظات وبدأ كليهما يشعران بسخونة بالغة، تحرك عاريًا للخارج تلتصق بظهره زوجته في خوف، وبدأت ترتفع الأصوات كلما تحركا تجاه باب شقته، حتى وصل لباب شقته وبدأ يشتم رائحة غريبة تقترب للشواء، وضع يده على مقبض الباب متواريًا بزوجته خلفه، قرر أن يختلس النظر لما خلف هذا الباب، أدار المقبض ببطء ما إن اكتملت دورة المقبض حتى انهار الباب عليهما، فكمنت خلفه النيران التي التهمت الطابق الأول والثاني بالكامل؛ فزع كل من بالحي من هول الانفجار الذي تكرر من المنزل، حينما وصلت سيارات الإطفاء كانت النيران قد أتت على المنزل بأكمله بمن فيه؛ ولم يتبقَّ من الجثتين المتفحمتين الكثير لعناصر البحث الجنائي عند قدومهم؛ أجرى أحد الأهالي بالحي الاتصال يُعلم (محمودًا) بكارثة الحريق التي قد تطال منزله المجاور للمنزل المشتعل؛ هرع تاركًا عمله عائدًا إلى منزله وكان حظه مثل حظ آخر سيارة إطفاء تصل للمكان فقد كان كُل شيئاً انتهى تمامًا؛ وبعد تأكده من وفاة كُل من بالمنزل الذي أتت النيران عليه بالكامل؛ تحرك وهو يُفكر في الطريقة التي سوف يُعلمه بها، فرغم كُل الخلافات بين صديقه ومن احترق بالمنزل لن يكُن سعيدًا قط بما حدث، توجه إلى المستشفى

واتجه إلى مكتب الدكتور (علي) وشرح له ما حدث ووجوب إعلامه بالحادث، كان قرار علي أن يُعلِمُه بالأمر واستعان بالدكتور (حسام) لما رآه من إجادة في السيطرة عليه؛ توجه ثلاثتهم إليه بغرفته 666 ودلف الجميع للداخل، كان (فارس) نائمًا في فراشه متقوقعًا في وضعية الجنين يُطبق يديه على هاتفه المحمول؛ نظر (حسام) بتمعن له فيما أيقظه (علي) بصعوبة، انتفض واقفًا من جمعهم بغرفته؛ أكد لهُ حدثه أن هنالك أمرًا جللًا هو ما دفعهم إلى الحضور معًا؛ أعلمه (علي) بعد مقدمة عريضة بدت مملة وقاطعه فيها كثيرًا يطالب الاختصار حتى أعلمه بالأمر بقوله:

- لقد أتت النيران على منزلكم القديم وكل من فيه.

- ومن كان بداخل المنزل؟

أجابه (محمود) بلهجة ونبرة ضعيفة سُمعت بصعوبة:

- شقيقك وزوجته.

سقط جالسًا على أقرب كرسي منه، بدا الحزن تملكه تمامًا ولم ينتبه لحديث (علي) أو (محمود) وهم يدفعونه للصبر والاحتساب، ولا لنظرات (حسام) الطويلة وصمته الغريب؛ قرر أنه يجب أن يذهب ليُقيم عزاء شقيقه، جاهد (علي) في الاعتراض بشدة، ولم تكن هنالك أية إجابة قبول لاعتراضه، لم يكُن (محمود) ليعترض على ما يقع في قرار نفسه بأن تلك هي أخلاق صديقه ويوافقه عليها لا احد يعلم طبائع المناطق الشعبية من عادات وأصول إلا أهلها؛ حاول (علي) أن يدفع (حسام) لإقناعه بالعدول

عن الفكرة، والذي توجه إلى الكومود أخذ هاتف (فارس) بيده واقترب منه وهو يبسط يده به وتحدث بلهجة هادئة سائلًا:

– أسوف تأخذ هاتفك معك أم تتركه هنا؟

ارتسمت تلك البسمة العجيبة على وجهه واختفت سريعًا دون أن يلحظها إلا (حسام)، وأجابه:

– بالتأكيد فهاتفي لا يفارقني.

– إذًا أتمنى ألا تتأخر، يجب أن تظل تحت العناية حتى نطمئن عليك تمامًا؛ والأهم أن لي جلسة هامة معك الليلة.

رحل الجميع من الغرفة (فارس) يصحبه (محمود) إلى أنقاض منزله القديم، (علي) و(حسام) إلى مكتب (علي)، لم يغفل (محمود) إعلام (خديجة) و(عبد الرحمن) بما حدث حتى يكونوا عونًا له في هذا الموقف الصعب، ما إن وصلوا إلى الحي حتى كان قد سبقهم (عبد الرحمن) و(خديجة) في الحضور وانتظارهم، هبط من السيارة يمسح حيه القديم بعينيه مسحًا دقيقًا، انسل (محمود) منهم ليعكف على تجهيز سرادق العزاء، كان الزحام قد خف كثيرًا أمام أطلال المنزل بعد استخراج الجثث ونقلها للمشرحة ورحيل سيارات الإطفاء، لم يتبقَّ إلا الشرطة وبعض من الأهالي، اجتاز الزحام دون أن يهتم من يُمد له يدًا ولا من يقوم بعزائه، فقط كانت عيناه على المنزل الذي تبدل لونه إلى السواد من أثر الحريق، تلك الأطلال التي يراها كانت يوم تحوي بداخلها أسعد أسرة في الحي، لم تكن أعمدة

كوما

وجدران هذا المنزل خرسانية بل كانت قديمًا أقوى من الفولاذ كانت من الحب والإخلاص، لم يتخيل أن تنهار تلك الأعمدة والجدران بهذا الشكل، رغم أنهُ تيقن من انهيارها جزئيًّا بعد وفاة والده ووالدته لكنه لم يقطع أمله من الوصل بهذا المنزل قط، هذا الوصل هو ما دفعه لترك هذا المنزل لشقيقه المحترق حينما عاد إلى جشعه وطمعه فيما بقي من إرثه وهو تلك الجدران؛ رفض المطالبة بحقه في تلك الجدران وأسر محاميه في هذا التوقيت أنهُ يحلم باليوم الذي يعود فيه أخوه إليه؛ هربت دموعه من عينيه وهو يُشاهد أطلال المنزل ولم تكُن تلك الدموع إلا عتابًا للدهر الذي لم يمهله تحقيق مراده في عودة شقيقه له؛ أبى الدهر لهما أن يجتمعا، في مكتب (علي) كان الصراع والنقاش قويًا بين الطبيبين الكبيرين، أصر (حسام) على روايته لزميل الدراسة والعمل بمكتبه في أن (فارس) هو أحد العائدين من الموت، متيقنًا في أنهُ قد وجد معبرًا تمكن به من بسط يده للثأر من ظالميه؛ وهو ما رفضه (علي) تمامًا متهمًا إياه أن أبحاثه حول العائدين من الموت قد شوشت تفكيره تمامًا، وأكد له أن كُل حديثه ما هو إلا أحلام العالم في إثبات نظريته، وحتى يُنهي الجدال الطبي والفلسفي الذي أمتد لساعات تحدث بآخرِ كلماته بلهجة حاسمة:

– فلتعلم أن فكرتك ما هي إلا اتهام لشخص بالقتل؛ ولن أذكرك أن مثل هذا الحديث إن خرج من تلك الغرفة فهو حديث يُحاسب عليه القانون، مجمل حديثك يفتقد المنطق والأدلة؛ ولن أسمح لك أو لغيرك أن يُضيع سمعة هذا المشفى الذي جاهدت لأجعلها في السماء؛ أغلق الأمر تمام يا دكتور.

غادر (حسام) سفر اليدين بعدما فشل في إقناع زميل العمر بوجهة نظرِه؛ رغم أنه لم يتمكن من إقناعه إلا أنهُ زرع الخوف والشك في قلبه تجاه هذا الشاب، الذي يعده (علي) ولده الذي لم يولد، لذا قرر أن يذهب له بمكان منزلهم المحترق ويعود به؛ بدا أنهُ وصل متأخرًا لسرادق العزاء، فلم يجلس أكثر من دقائق حتى انتهى العزاء الحاشد وبدا الجمع ينفض، وصل إلى (فارس) بعد عناء شديد في البحث، أُجهدت عيناه وهو يُفتش في هذا الزحام، ضمه إلى صدره وظل لجواره حتى انفض الجمع ولم يبقَ سواهما و(محمود) و(عبد الرحمن)، قطع صمتهم بكلِماته التي لم يأتِ إلا لها:

- أرى الآن أن تعود معي فورًا إلى المستشفى، حتى نطمئن على حالتك تمامًا.

بدا أن طلبه لقي دعمًا واستحسانًا كبيرًا من (محمود) و(عبد الرحمن)، وتأكيدًا لكلِمات الطبيب بأنهم سوف يكونون أكثر اطمئنانًا عليه بالمشفى؛ تجاوب الجميع مع الطلب إلا صاحبه كانت إجابته عجيبة، لقد طلب من (محمود) أن يذهب ويُحضر (خديجة) من السرادق الفرعي الذي أقاموه لتتلقى فيه عزاء نساء أهل الحي؛ نظر إلى (عبد الرحمن) طالبًا منه أن يُعطيه سيجارة، لم يكُن هنالك مجال لاختبار أي محاولات لإقناعه بأنه ممنوع من التدخين؛ لم يجرؤ أحدهم على رفض طلبه؛ أشعل سيجارته متحركًا للأمام محافظًا على مسافة صغيرة بينه وبينهم خلفه؛ ومحافظًا على صمته، بدا في سحب أنفاس الدخان من السيجارة كحبيب ألهبته نار البعاد عن محبوب وعاد لينهل منه بشراهة، انفصل عن العالم تمامًا وعن من خلفه ولم يشعر

بانضمام زوجته و صديقه الذي أحضرها للجمع خلفه، والأهم انضمام شخص آخر لهم، ما إن استدار يواجههم حتى رآه، قاطع حديثهم الهامس:

– أهلًا حضرة الضابط، لا أظن أنك هنا للعزاء، بالتأكيد هنالك أمر آخر.

– بالتأكيد هنالك أمر آخر؛ لقد علمت أنك سوف تعود إلى المشفى، فليكُن حديثنا هناك.

– ومن أعلمك أني عائدًا للمشفى؟!

– الدكتور (علي).

تقدم مقتربًا منهم وأجاب حاسمًا:

– لن أذهب إلا للمنزل مع زوجتي؛ لقد أتيت على حقها بما فيه الكفاية؛ الآن هي من سوف تختار منزلها وتستضيفنا جميعًا لديها.

دُهش الجمع لكلماته التي لم يكُن يتوقعها أحد، حتى زوجته لم تكُن لتطلب حقها فيه الآن مُطلقًا، الجميع يعلم انه طالما قال فعل؛ لذا انتظروا منها اختيار المكان وكان الصاعق للجميع، أنها اختارت شقة زواجه الأولى والتي عاش فيها مع (روان)؛ تعجب الجميع إلا هو من طلبها وهو ما دفعه للضحك بشكل هستيري وهو بسيارتها ويتوجهون للمنزل، وكان (علي) بسيارته خلفهم، والصديقان بسيارة والضابط بسيارته؛ قاطعت ضحكه بسؤال في خوف:

– ماذا بك؟ لم هذا الضحك؟!

- أضحك من غبائي، الجميع تعجب من اختيارك شقة زواجي الأولى إلا أنا؛ الآن فقط تفهمت إصرارك على اختيار كل قطعة في المنزل أثناء تأسيسه؛ لقد أسست هذا المنزل كأنك سيدته ومالكته؛ يا ليتني تفهمت كم أحببتني وكم أحبك مُنذُ زمن؛ لكانت تبدّلت حياتي.

***

16

خرج عائدًا إلى مكتبه وقد تأكد أن تلك هي معركته ولسوف يخوضها على عدة اتجاهات، أجرى محادثة هاتفيه مع الضابط الموكل بالقضية طالبًا حضوره، وبينما هو في انتظاره قرر خوض المعركة الطبية في اتجاه آخر عكف على الانتهاء من بحثه عن العائدين من الموت وأرسله إلى إحدى المجلات الطبية ونسخة إلى أحد الصحف؛ شرح في بحثه أين توصل العلم ومُعتقداته أن بعضهم يعود بقدرات يتعمد إخفاءها، والغرابة التي تُحيط بتلك الحالات وسرد عددًا من الروايات حول عائدين من الموت عدة؛ وصل الضابط أخيرًا ليُعلمه بشكوكه حول (فارس) بأنه على يقين أن له يدًا في مقتل زوجته وشقيقه، وعندما سأله الضابط عن دليل مادي عجز، إلا أنهُ عاد لشرح رواياته حول العائدون من الموت مؤكدًا أن (فارسًا) قد أوجد معبرًا ينفذ منه إلى أعدائه مُحققًا انتقامه؛ لم يتمالك الضابط أعصابه أكثر فأجابه بلهجة حملت كثيرًا من السخرية:

– لقد استمعت في حياتي المهنية لكثير من الروايات حول الجن والشياطين، وكنت أتفهم ذلك من ساردي تلك الروايات والسبب أفهم

متواضعون التعليم أو مرضى نفسيون؛ أما أن أسمع مثل ذلك الحديث من طبيب في قدرك العلمي؛ هذا ما لم أتوقعه يومًا.

أجابه منفعلًا غاضبًا بقوة:

- أنا لا أسرد لك رواية عن الجان والشياطين؛ كل ما أخبرتك به حقائق علمية ولكن يعجز العلم عن تفسيرها.

نهض واقفًا لِيُنهي الحوار وألقى أخر كلماته بلهجة حاسمة دون انتظار إجابة ليرحل وكانت:

- ما لا يستطيع العلم تفسيره هو أحد أمرين إما مسلمات قدرية أو خرافات؛ وأظن أن قصتك تنتمي إلى الأمر الآخر ولا تتعدى كونها خرافات.

رحل من المشفى بعدما وصلته معلومات جديدة من البحث الجنائي حول حادثة (روان)؛ وهو ما دفعه للذهاب لهذا الشاب الذي لا يُدرك الخطر المحدق به ويقيم عزاء شقيقه؛ وهو أيضًا ما دفعه لإتباعه لمنزله، هو على قناعة أن المهمة الأولى للشرطة هي الحفاظ على حياة البشر ولا تقتصر مهمته على القبض على الجناة فقط؛ وصل موكب السيارات في هذا الشارع الفخم بهدوء، تأكد من سلاحه الشخصي بحوزته وهي عادته الدائمة في إبرازه ولكن تلك المرة كان قلقًا حقًّا؛ فور توقف السيارات نزل مسرعًا ليكُون خلف (فارس) وزوجته مُباشرة، كأنه حارس شخصي لهم دون أن يُلفت الانتباه إليه؛ فُتح الباب وأضاءت خديجة الأضواء

وأدخلت الجميع إلى الصالون في بهو الشقة الواسع؛ بدت كأنها تحفظ المكان عن ظهر قلب، وكيف لا وهي من أنشأته واختارت كل قطعة أثاث فيه، وكانت تتابع العمال في تنظيفه طوال الفترة الماضية بعد هجر (روان) للمنزل قُبيل دخول (فارس) المستشفى؛ جلس الجميع في الصالون الكبير، كانت (خديجة) وزوجها على كنبة الصالون يتوسطان الجمع، على يمينهما الضابط يليه علي؛ وعلى اليسار (محمود) يليه (عبد الرحمن)، تحدث (عمرو) بلهجة بدا منها أنها تُخفي أكثر من كلِماته المنطوقة:

- اسمح لي أن أقوم بتعزيتك، ولكن أحتاج انتباهك الآن وصفاء فكرك.

انتبه الجميع وعم الصمت ليعود لحديثه:

- وصلني خبر وفاة شقيقك في مكتبي بينما كُنت أنتظر حضوره؛ الآن أعلمك أن التقرير المبدئي أكد أن الحادث جنائي، وهناك من أشعل النار في منزل شقيقك بالدور الأول، ولما احتواه المكان على مواد بترولية قابلة للاشتعال، لم يكُن الوقت طويلًا حتى احترق المنزل على من فيه؛ إلا أن الأهم الآن هو أننا وجدنا هاتف شقيقك، والمفاجأة لنا هو أن هنالك رقمًا دوليًّا هدده مرارًا وطالبه بسحب القضايا في أثناء مرضك؛ هل لك أي علم بمن يكُون هذا الشخص؟

بدا الجمع مشدوهًا من الكلِمات التي يسمعونها فيما انتصب (فارس) فزعًا صارخًا:

- من عساه يقتل شقيقي وبالتأكيد هو من حاول قتلي سابقًا.

صمت للحظة ثم اقترب من الضابط وتحدث بحماسة:

- هل تفحصت هاتف (روان)؟ تفحصه بالتأكيد سوف تجد شيئًا.

نهض (عمرو) مشتت الذهن كيف بعد كل هذا العمل في الشرطة وكم القضايا التي حقق فيها؛ يعجز عن ربط الخيوط ليعلم أن من حاول قتل (فارس) بالتأكيد هو من قتل شقيقه، وبالتأكيد حاول إرهاب الزوجة التي توفيت في حادث سيارة، بل قد يكُون قتلها أيضًا؛ وأخيرًا بدأ عقله الشرطي ينشط فكان سؤاله الحاسم هو:

- إذا كانت الفرضية المعقولة هي أن هنالك من حاول قتلك، ثم قام بقتل شقيقك، وبالتأكيد قام بتهديد زوجتك السابقة؛ يتبقى سؤال واحد من له المصلحة في الخلاص منك ومن كُل ورثتك؟

صرخت (خديجة) وتحدثت متعجلة:

- لقد تذكرت أمرًا مهمًا، في أثناء مرض (فارس) وهو بالمشفى، كُنت أخوض عدة قضايا مع شقيقه وزوجته؛ وفي إحدى المرات اتهماني في جملة اتهامات أني أقوم بتهديدهما، وسلما صورًا لمحادثات، ولكن المحامي الخاص بنا أكد أنها لا تعني شيئًا؛ سوف أتصل به ليحضر حالًا.

صمت الجمع في المنزل وعاد كلٌ لمقعده في صمت منتظرين حضور المحامي، والذي قد يفكك طلاسم تلك القضية؛ نظر (عمرو) إلى الدكتور (علي) الذي بدا قلقًا للغاية ووجه إليه نظراته وحديثه:

– بالتأكيد أنت لم تعلم بعد بما حدث مع طبيبك (حسام)؛ في حقيقة الأمر هذا الطبيب سوف يضع سمعة المستشفى الخاص بك وتاريخها بالكامل على المحك.

– ما الذي فعله (حسام)؟!

أعاد عليهم اتهامات (حسام) ولقاءه به مُنذُ ساعات، وبدأ في شرح عدم معقولية كُل ادعاءاته وأنها بلا سند؛ فلو فُرض أن (فارس) هو من قتل زوجته وشقيقه، من الذي حاول قتله؟! وكيف يقتل زوجته وهو بغرفة العناية المركزة بالمستشفى؟! وإذا وجد قاتلًا يُلبي له رغبته فكيف أُنكر الفيديو الخاص بالقتيلة وهي تحضر لقتله وحديثها عن القيادة المسرعة قبل الحادث؟! أما عن شقيقه كيف يقتله وهو لم يُغادر المستشفى؟! وبذات الفرضية أنه وجد قاتلًا كيف أُنكر أننا مع كل التسجيلات الصوتية لم نجد أنه أجرى اتصالًا واحدًا أو لقاء مشبوهًا؛ وما ينفي كُل ذلك هو هذا الرقم الدولي الذي هدد الجميع وما يزال مجهولًا لنا حتى الآن! تكشفت عدة أمور بعد إفصاح الضابط عن كُل ما في جُعبته فلقد كشف أنهم يقومون بالتنصت على فارس، وأن هنالك قاتلًا حرًّا يريد القضاء على (فارس) وعلى كُل ورثته؛ إلا أن أهم ما كشفه هو خيط غريب، وهو العداء من (حسام) تجاه (فارس)، هذا العداء الذي ظهر جليًا في المحكمة وعاد ليتكرر الآن في محاولته إلصاق تهمة القتل به؛ صرخت (خديجة):

– ألم أقُل لكم إني لا أثق بهذا الرجل؛ما الذي يدفعه لهذا الحقد تجاهك.

وجهت صرخاتها لزوجها في ذهول للجمع مما سمعوا؛ انتفض (فارس) واقفًا صارخًا:

- الآن لقد فهمت الأمر برمته.

قاطع استكماله لحديثه صوت طرق على الباب، ذهبت خديجة لتستقبل الطارق وقد كان محاميهم الذي دلف على عجلة من أمره وجلس في مكان جلوس (فارس) الذي توسط الجمع واقفًا، وعاد لحديثه الذي تملؤه الحماسة:

- الآن أشرح لكم كيف صار الأمر بأكمله.

لم يكُن يفهم الأمر وما حدث في توقيته، فبدا الأمر كُله مثل فتات صغير لكعكة أُلقي جزء منها بكُل مكان والآن فقط تمكن من تجميع الكعكة؛ فلقد عاد من الجراحة وهو فاقد للكثير من ذاكرته؛ ودومًا ما سمع من الممرضة اسم (زينة)، ثم بدأ الأمر أكثر تعقيدًا له حينما أعلمته (خديجة) أن تلك الفتاة سحبت مبالغ مالية طائلة في الحساب البنكي الذي أنشأه لها؛ وكان يتحتم عليه معرفة من تلك الفتاة التي فعل من أجلها كُل ذلك؛ وكان أكثر ما أدهشه حينما أسره محاميه مُنذُ أيام أنه كان قد دفعه لتسجيل وصية بثلثي ثروته لتلك الفتاة المدعوة (زينة) في حال وفاته؛ وهو قطعًا ما طلب وقفه وإلغاءه من محاميه فورًا وسرًّا؛ حتى الآن بدا الأمر له كما صورته الممرضة بأنه كان علاقة حب بتلك الفتاة؛ حتى علم من الممرضة أمرين لم يكُن بأي حال ليُحب تلك الفتاة لو يعلمهم؛ أي إنَّه وقع في حالة من الخداع والتضليل لنهب أمواله باستغلال ضعفه المرضي

والنفسي قبيل إجرائه الجراحة؛ الأمر الأول الذي علمه هو أن (زينة) كانت على علاقة بأحدهم وعلاقتهم تتجاوز الحب العذري؛ وهو ما يعني استحالة أن يكُون رجلا ًثانيًا يأكل على مائدة انتهكها أحدهم تاركًا الفتات خلفه، نعم هو هذا الشخص الذي يتملك من الغرور والكبرياء ما يجعله لن يلتفت لها خاصة بعد تجربته مع روان فالعاهرة تبقى عاهرة! والأمر الآخر حينما سأل عن سبب كُره (حسام) له وأجابته الممرضة أنه يُحب (زينة) ويعتبره سارقًا لحبيبته منه؛ بدا الأمر غريبًا وغير مفهوم له فقد يضل في لحظة ضعف ويُعطي تلك الفتاة أموالًا، أما الغريب له هو إلى أي مدى قد يصل (حسام) بعداوته له وهو طبيبه؛ فقرر اختبار تلك العداوة على أبواب المحكمة، ليُسر (حسام) همسًا أنهُ لم يكُن ولن يكُون مُحبًّا لعاهرة؛ وكانت النتيجة شهادة مختلة غير متوازنة كانت محط سخرية الجميع بما فيهم القاضي ذاته؛ وبالأمس كانت هنالك محاولة أخرى وعاد ليسأله إن كان هو من انتهك عرض تلك الفتاة وأعلمه أنه لم يكُن هو؛ وكان السؤال الأهم حينما سأله (حسام) إذًا من أين عرفت؟ فقرر أن يدس السم ثانية بقوله إنها هي من أخبرته؛ وكان ما حدث منه ووصل على صفحات الجرائد؛ تنهد بشدة وأنهى آخر كلِماته موجهها إلى (عمرو):

- في النهاية أريدك أن تعرف أن هنالك فتاة تدعى (زينة) هي بإنجلترا الآن؛ تعلم أنها في حالة وفاتي سوف ترث ثلثي ثروتي؛ وأعتقد أن لها علاقة ب (حسام)؛ الأمر في يدك الآن؛ والمستندات كافة مع (القاضي).

أنهى حديثه في دهشة من الجميع؛ نهض (القاضي) واقفًا وسلم أوراقًا إلى (عمرو)، وأردف:

– ما بين يديك هي نسخة من الوصية التي سُجلت مُنذُ أكثر من ثلاثة أشهر، ووثائق إلغائها مُنذ أيام، وكذا أوراق المحضر ضد (خديجة) بادعاء أنها تُهدد السيد (أحمد) والسيدة (روان)؛ وقرار النيابة بحفظ التحقيق لعدم كفاية الأدلة والسبب أن الرقم دولي وبإنجلترا وعدم إمكانية الاستعلام عن مالكه.

انتصب (عمرو) واقفًا وتحدث بجدية:

– إذًا اكتملت الرؤية الآن، سوف أُجري البحث في هاتف (روان) ومطابقة الرقم الدولي إن وجد بهاتفها؛ وأستصدر أمرًا بتفتيش منزل (زينة) وخزانتها بالمشفى؛ وكذا التحقيق مع (حسام)؛ لكن الأهم الآن أن ينتبه (فارس) جيدًا فنحن لا نعلم ما المحاولة القادمة ولا من القاتل الطليق هنا.

لم يرحل إلا بعد التأكيد على الجمع بكتمان كُل ما تناهى إلى مسامعهم، وتم الاتفاق على أن يكُون لقاؤه ب (فارس) غدًا بالمستشفى في أثناء تفتيش خزانة (زينة)؛ كان برحيله أول الراحلين وليس آخرهم، تبعه (محمود) و(عبد الرحمن)، وكان (علي) هو الأصعب في رحيله بدا الرجل حزينًا مكسورًا؛ لم يطمئن إلا حينما اقسم له (فارس) بأن الأمر سوف يمر وينتهي دون ضرر له ولا لاسم المستشفى؛ ربت على كتفه وألقى آخر جمله ورحل بنبرة ملئها الحزن:

- فليذهب المستشفى إلى الجحيم؛ إن ما أخشى عليه هو أنت، أنت هذا الولد الذي لم يُعطني إياه الله من صُلبي.

أغلق الباب وتوجه إلى تلك الفاتنة والتي جزعت قسمات وجهها وتبدلت للخوف لمّا سمعت؛ ضمها إلى صدره يطمئنها؛ أعلمها أنهُ يعلم أن تلك لم تكن الليلة التي تتمناها أية فتاة؛ ولكنها ليست ككل فتاة، وعدها أن تكُن كل أيامهم القادمة سعادة؛ وأن يعوضها عن كل ما فاتهم؛ وكانت أول قبلة بينهم لطالما حلُمت بهاتين الشفتين تقبلهما ونهل كل منهما من نهر الآخر حتى ارتوى...

***

17

دلف إلى غرفة 666 فور علمه أن (فارسًا) قد وصل رغم هذا التوقيت المبكر؛ وجده هو و(خديجة) بالشرفة؛ قاطع صمتهما، وكذلك قطع الخلوة بينهما بنبرته الضاحكة:

- لم أرَ عروسين يكونان يقظين في هذا التوقيت الباكر وبالمستشفى؛ يبدو أنكما أحببتما المستشفى أكثر مما أحببتما منزلكما.

أجابته ضحكاتهما وترحيبهما وأجابه (فارس):

- ومن أخبرك أننا كُنا نائمين بالأساس؛ فلم تغفل لنا عين في تلك الليلة.

تعالت ضحكاتهما وفور جلوسه لينضم معهما عاد للحديث:

- أتمنى لكما السعادة الدائمة كما أتمنى ألا يتأخر هذا الضابط في الحضور وننتهي من هذا الأمر سريعًا.

ربت على مرفقه برفق وأردف بلهجة بدا منها قد دبر الأمر:

- اطمئن كل شيء سوف ينتهي كما تُحب.

لم تمر دقائق حتى دلفت (سعاد) تصحب (عمرو) إليهم، انصرفت الفتاة تاركة الجمع خلفها، شرع الضابط بالحديث فقاطعه فارس:

- أتمنى ألا تكُون قد قمت بتفتيش منزل (زينة) أو اتخذت أي إجراء.

بدا مشدوهًا من حديثه وأجابه:

- لقد أرسلت في طلب أذن النيابة وسوف يصل خلال ساعة تقريبًا، أما فعليًّا لم تتُخذ أية إجراءات للآن؛ ولكن لَم هذا التمني؟!

- لديَّ خطة سوف أطلعك عليها وهي لا تعد تتدخلًا في عملك إلا أنها سوف تجعلك تُنهي تلك القضية بأسرع ما يمكن وتتمكن من ضبط كُل من تورط فيها وكشف كُل تفاصيلها.

لمعت عيناه والشبق ملؤهما، كيف علم هذا الماكر شبق هذا الضابط للنصر في كل قضاياه؟ سأله في لهفة:

- وما خُطتك؟!

- سوف تعلم فور تأكيد خروج إذن النيابة العامة.

مرت الستون دقيقة على هذا الضابط الذي اتقدت حماسه واشتعلت دهرًا؛ حتى وصله الخبر بصدور أذن النيابة هاتفيًّا وكان قد وصل (القاضي) هذا المحامي الذي رتب تلك الخطة ليلًا مع (فارس) وهو الذي

طلب من الجميع التأكُد من ألا يوجد من يسترق السمع؛ ليبدأ عرض خطته عليهم والتي بدأها بأن المنطق يؤكد أن هنالك قاتلًا طليقًا وهنالك محرضًا بالخارج؛ كُل الشكوك توجهت تجاه (زينة) كي تمثل المحرض؛ إلا أن هذا الاتهام ينقصه عدة أركان دافع المحرض ودافع القاتل الفعلي؛ فإن ثبت لهم دافع (زينة) في التحريض بُغية الوصول إلى الوصية التي لم تعلم إلغاءها والتي تملكها ثلثي تركة (فارس)؛ ينقص الدافع للقاتل هنا و كشفه، يجب اكتشاف شخص القاتل ثم كشف الدافع له سواء كان ماديًا أو معنويًا حتى تنتهي تلك القضية؛ تمثلت خطته الفعلية في أن أي كشف منهم يؤدي لوصول أية معلومة ل (زينة) بأن الشكوك تحوم حولها، سوف يطمس الأدلة كافة ويهدد الخطة؛ يجب أن تظل على ثقة أن أحدًا لم يشك بها، كما إن التفتيش لن يُسفر عن شيء، فإن كان هنالك أي دليل فبالتأكيد لن يكُن بمنزلها، إن كان هنالك دليل هنا فبالتأكيد هو بخزانتها بالمستشفى؛ اعتمد في خطته على عدة أركان أول تلك الأركان السرية التامة بينهم ثم تفتيش خزانتها سرًّا بمعرفة (عمرو) وتسهيلًا من (علي) ومع إذن النيابة فأي دليل يوجد سوف يكُون دليلًا قانونيًّا؛ الركن الثاني هو عدم اتخاذ أية إجراءات ضدها حتى يتم الشق الأهم من الخطة وهو سفر (خديجة) و(القاضي) لها وإقناعها بأن (فارس) يحتضر وقرر تسليمها ثلثي تركته قبل وفاته، فيُعيدانها معهم وقبل تلك العودة سوف يتمكن (القاضي) من جلب كشف حساب مفصل من البنك بإنجلترا ليكشف لهم أية أموال قد قامت بتحويلها ومنها قد يُكشف القاتل إن كان الدافع ماديًا؛ وإن كان الدافع معنويًّا فتلك مهمة (خديجة) التي سوف تعمل على شراء هاتف مماثل للذي

بحوزة (زينة) واستبداله سرًا وهو بالتأكيد سوف يكشف أسرارًا كثيرة، الركن الأخير، ويتمثل في دور (علي) بإعلام الجميع بأن (فارس) قد دخل في غيبوبة طويلة ووضعه خطر، ومنع أي لقاء به حتى الممرضات، فلن يلج إليه إلا (علي) فقط، ويُعلم (حسام) والجميع أن (فارسًا) أنهى إجراءات نقل ملكية ثلثي ثروته إلى (زينة) قبل الدخول في غيبوبته؛ أكد أن الأمر لن يزيد عن ثلاثة أيام حتى تنتهي القضية بعودتها؛ وفي خلال ذلك فور وصول (خديجة) و (القاضي) يعكفون على مهمتهم ويقومون بإرسال الأدلة فورًا حتى يتمكن (عمرو) من تدبير الإجراءات القانونية واستيفائها؛ أنهى عرض خطته التي نالت استحسان الجميع ودعمهم لها، ليقم القاضي بإلقاء آخر ما في جعبته، وهو أسطوانة مدمجة سلمها إلى (عمرو) وأعلمه أن بها تسجيلًا لكاميرات المراقبة بشركة (فارس) وتحوي مشهد التصادم بشكل واضح؛ سبق سؤاله بنصيحة وجهها له بعدم محاولة استخراج رقم السيارة التي صدمت سيارة (فارس)، فلقد عكف أكبر مهندسي الشركة على تلك المحاولة وفشلوا نتيجة طمس الأرقام على لوحات السيارة؛ فلم يظهر إلا حرفان فقط هما ((ص ل))، أما باقي الأرقام طُمست تمامًا؛ قبل الجميع الخطة واقتنع بدوره الذي سوف يؤديه، غادر (عمرو) و(علي) الغرفة في عجلة ولم يمر إلا دقائق وكانوا قد عادوا؛ هرع لهم (فارس) بالسؤال عن إن كان أحدهم كشف مهمتهم ليؤكدوا له أن الأمر تم في لحظات ولم ينتبه أحدٌ، وكان بحوزتهم دفترٌ واحد بدا مألوفًا ل(فارس) بشدة، طلب الدفتر منهم وقرأ ما عنون به في أول صفحاته بنبرة ملؤها الدهشة:

- كوما!!

عكف (عمرو) على قراءة الدفتر بصوتٍ مسموع للجميع، يقطع حديثه بين الفينة والأخرى يتأكد ألا يوجد من يتجسس عليهم، كان شبقه قد ملء عينيه كُلما تقدم في القراءة، كان رد فعله متناسب مع قناعته وعلمه، لكنه لم يكُن رد الفعل الوحيد بالغرفة 666، كان أقوى من تأثر بذلك الدفتر الملعون هو (فارس) وهو يكتشف إلى ماذا وصل من ضعف وبلاهة ليأتمن فتاة على ماله وحياته، وكيف كان يسعى إلى الموت جاهدًا؛ كيف كان بتلك البلاهة ليكُون آخر من ظن أنها ملجأ لروحه يهرب إليها استغلته هو وأسراره وضعفه لتُحقق أكبر ربح؛ هذا الدفتر حوى بداخله كُل أوجاعه، أخطاءه ولحظات ضعفه والخيانات التي اعتصرت قلبه عصرًا حتى أوصلته لأضعف حالة جعلته على شفا الموت؛ الآن صمته وألمه أكبر من كُل ما حدث له يومًا، جاءت الخيانة من تلك القشة التي تعلق بها لينجو، كانت تلك الفتاة هي الطوق الذي توهم ببلاهة أنها نجاته؛ الحين تبددت الغمامة وذهبت البلاهة بلا رجعة ما كانت (زينة) إلا القشة التي قصمت ظهر البعير، الطوق الذي أغرقه في جحيم مُستعر؛ لم يتمكن من إخفاء حزنه وألمه، هي المرة الأولى التي يراه فيها أحدهم في تلك الحالة من البكاء والحُرقة فور انتهاء (عمرو) من القراءة؛ عمت حالة من الوجوم والحزن جمعهم، صمت قاتل لا يكسره إلا صوت نحيب هذا الشاب كست وجهه قسمات القهر؛ لم تهدأ أو تستكن جوارحه رغم ضرع (خديجة) له إلى صدرها؛ لم يتمالك زمام أمره إلا على قسمها الذي خرج بنبرة منها تحمل ألف وعد وقوة جبارة هي قوة عشقها له بقولها:

- أقسم لك بكُل لحظة ألم مررت أنا بها في بُعدي عنك وبكُل لحظة ألم مررت بها أنت؛ أن آتيك بها إلى هنا لتلقي عقابها مهما يكلفني الأمر.

لم تكُن تلك مشاعرها وحدها بل هي ما استقر في داخل الجميع بالغرفة، حتى ذلك الضابط المتمرس تبدلت مشاعره وحملت كثيرًا من الغضب تجاه تلك الشيطانة؛ من ذلك الذي يستغل ضعف أحدهم على شفا الموت ويتلاعب بمشاعره ويستغل ضعفه ليجني أرباحًا دنيوية زائفة؛ خاصة بعد ما اكتشفه من ألم و خيانات مُتعددة ومتكررة في حياة هذا الشاب؛ هذا الشاب لم يمر عليه أحدهم إلا وأقتطع جزء ً منه ومضى، واقفًا على محطة قطار ينتظر ما يعلم أنهُ لن يأتِ إليه أبدًا....

***

18

أُطلق نفير الانطلاق لهم جميعًا، كانت المهمة في إنجلترا هي ضربة البداية، وأي فشل فيها يهدم عماد الخطة تمامًا؛ كان وصول (خديجة) و(القاضي) إلى المركز الطبي الذي يعد أهم وأرقى مراكز العلاج والاستشفاء بالعالم أيسر ما يكُون؛ إلا أن لقاءهم الأول ب (زينة) أصعب ما يكون وأبدعت فيه (خديجة) في التمثيل والإقناع بأن حالة (فارس) قد تدهورت تمامًا، ووجوب عودتها معهم ليشرعوا في نقل الأملاك لها وخاصة الشركة التي سوف تتوقف أعمالها إن لم تعد معهم فورًا؛ لم تكُن (زينة) هي تلك الفتاة التي قد تسير معهم دون أن تفتش بالأمر؛ لذا كان سؤالها الوحيد الذي أجابت به على كل ما سمعت منهم في حديقة المركز هو:

- أتفهم أن يحضر المحامي لتلك المهمة فهي عمله الذي يؤجر عليه؛ لكن ما سبب اهتمامك أو ما علاقتك أنتِ بتلك المهمة؟ وما الذي سوف يعود عليكِ منها؟!

رغم خُبث سؤالها فإن خطتهم لم تدع نقطة لم تضعها في الحسبان؛ أجابتها (خديجة) بأنها صاحبة مصلحة مثلها فإن كان ثلثا التركة ل (زينة) فالثلث الباقي لها؛ وهي لا تُدرك حجم تلك التركة الضخم وكم يُقدر هذا الثلث الذي يستحق عناء السفر لأخر العالم وليس إنجلترا فقط؛ أُحكمت الخطة بإنجلترا ولم يحل صباح اليوم الثاني إلا وكانت إجراءات العودة لهم تتم؛ وكذا تحصلت (خديجة) على هاتفها المحمول في غفلة منها وهم بأحد المحال يتسوقون قبل السفر؛ وفي عصر ذات اليوم كان قد تحصل القاضي على كُل التفاصيل الخاصة بحساب البنك هنا، وكل التعاملات عليه إيداعًا وتحويلًا وسحبًا؛ تم إرسال كل المستندات مصحوبة بالهاتف المحمول الخاص ب (زينة) في طرد مستعجل ل (عمرو) بمصر مصحوب بجواب أنهم قادمون غدًا على الطائرة التي سوف تصل الثامنة مساء؛ لم تكُن مهمة (علي) أقل صعوبة من مهمتهم في إنجلترا، خاصة في إقناع (حسام) أن حالة (فارس) قد تدهورت تمامًا، والصراع الذي تم بينهم بمكتبه حينما أصر أن يوقع عليه الكشف؛ لم يردعه إلا (عمرو) الذي أبلغه أن (فارسًا) أبلغ الجميع بأنك قد تحاول قتله، وهذا الاتهام إن لم يجد لديهم صدى ولا دليل إلا أنه يجعل من المستحيل عليك لقاؤه؛ ولكن أصعب ما واجه (علي) هو (فارس) ذاته، مُنذُ كُشف ستره، وحدث ما حدث بعد قراءة الدفتر الملعون بخط (زينة) وعزله بغرفته والتي لم يعد يدخلها أحد إلا (علي)، هو حالة الحزن التي لم يخرج منها مطلقًا وصمته الدائم طوال يوم وحتى قرابة انتهاء نهار اليوم التالي؛ دلف (علي) إلى داخل الغرفة وأغلق الباب بالمفتاح كما تم الاتفاق عليه ليجده على ذات حالته من الشرود أمام باب الشرفة

كوما

المفتوح وهو جالساً من داخل الغرفة قبالة الباب المفتوح، لم يُحاول أن يخترق هذا الصمت وتلك العزلة مُنذُ بدأت، كان يعتقد أن هذا الشاب يحتاج تلك العزلة لتهدأ جوارحه التي انتفضت بشدة في أخر لقاء لهم، أما الآن فالوضع مُختلف، وردت إليه مُنذُ لحظات مُكالمة من (عمرو) يُعلمه أنهُ قد تلقى اتصالًا من إنجلترا أن المستندات في الطريق وسوف تصل خلال لحظات، ويُبشره بنجاح الخطة والمهمة في إنجلترا على أكمل وجه؛ وأخيراً أنه قادم لعرض آخر الأمور عليهم خلال ساعات؛ كان يعلم أن تلك المعلومات قد تخرجه من عزلته وهو ما حدث فور أن أعلمه حتى كسر عزلته وصمته وسأله متحمسًا بلهفة:

– إذًا خديجة بخير؟

– بالطبع على خير حال وكما علمت جميعهم عائدون غدًا مساءً.

زفر بشدة وعاد للحديث:

– الحمد لله، فلا تعلم لكم كُنت خائفًا عليها؛ (خديجة) هي المرأة الوحيدة التي لن أتحمل خسارتها تحت أي مسمى.

– لا تخف فالأمور تسير كم خُطط لها وعلى أكمل وجه؛ غدًا ينتهي كُل شيء وتبدأ حياتك معها وأتمنى أن تكون حياة ملئها السعادة.

دار بينهم حوار طويل بعد كسر هذا الصمت الرهيب، كان أغلبه حول (خديجة) تلك الفتاة التي ضحت وما تزال تضحي بكل شيء من أجل حبيبها؛ وكذا حول (حسام) والصراع الكبير الذي شب بينه وبين

(علي) وإصراره على رؤية (فارس) ولم يمنعه إلا (عمرو)؛ كان بمثابة النجدة للخطة، لو لم يتدخل في التوقيت المناسب لفشل كُل شيء؛ كما أعلمه عن تلك الممرضة (سعاد) والتي تسأل بشره حوله وحول حالته وما الذي حدث وما الذي سوف يحدث؛ علل له ذلك بان تلك الفتاة تتمتع بالكثير من روح الفضول والذي قد يكُن خطرًا في كثير من الأحوال؛ لم يشعُر كلاهما بمرور الوقت، ولم ينتبه إلا على صوت هاتف (علي) وكان المتصل هو (عمرو) والذي صعقه بأن الساعة تقارب العاشرة مساء، وأنهُ تسلم المستندات وقادم إليهم خلال لحظات؛ ما إن أغلق الاتصال إلا وعمت حالة من الضحك الهستيري بينهم على أثر جملة فارس بنبرته الساخرة:

- قرابة خمس ساعات حديث بلا انقطاع، أخشى أن تقع في غرامي، حان وقت الفراق إنني رجل متزوج.

خرجت الضحكات صافية نقية تُبدد الألم في القلوب، تُشعل الحماسة في تلك الغرفة؛ إن الضحكة هي مرض مُعدٍ ما إن يُصِب أحدهم حتى ينتشر لكل المشاهدين فهو مرض ينتشر بالنظر؛ الضحكة هي عنوان مرض السعادة؛ قاطع ضحكاتهم مكالمة عمرو له هاتفيًا وارتفاع الأصوات الذي بدا شجارا خارج أبواب الغرفة؛ فتح (علي) الباب بالمفتاح وأغلق الباب خلفه، فلقد كان الشجار بين (عمرو) الذي وصل ليجد إحدى الممرضات تقوم بالتنصت على باب الغرفة؛ لم يهدأ إلا حينما قام (علي) بصرفها، وما إن انصرفت حتى همس في أذنه ألّا يقلق حيث أن البواب كافة مُجهزة

بعازل للصوت ويستحيل أن تسمع شيء فهم بالداخل لم يسمعا الشجار إلا من الهاتف المحمول؛ دلفا إلى داخل الغرفة وكان سؤال فارس سابقًا لكل شيء:

- ما الذي حدث بالخارج؟

- فضول (سعاد) تصادم بالشرطة؛ وجدها (عمرو) تحاول التنصت.

تعالت الضحكات بينهم وبدا (عمرو) لا يقبل تلك الضحكات ولم يهدأ إلا بعد أن شرح له (فارس) قصة تلك الفتاة وفضولها القاتل، ورغم ذلك لم يطمئنه حديثه، بل إن ما طمأنه معلومة أن الأبواب عازلة للصوت؛ طلب منهم الهدوء والجلوس وبدأ في فض مجموعة مستندات يحملها وكشف لهم أن الحساب البنكي الذي تستخدمه (زينة) قد تم تحويل أموال كبيرة منه إلى حساب في مصر، فأجابه (فارس) مقاطعًا:

- إذًا القاتل هنا حافزه للقتل مادي.

- هذا ما ظننت في بداية الأمر؛ ولكن الحقيقة غير ذلك.

عاد ليُخرج هاتفًا محمولًا وأعلمهم أنهُ هاتف (زينة)، المفاجأة له ولهم هي أن من حاول قتله هو شخص من مجمل الرسائل بينهم تأكد (عمرو) أنهُ عشيقها الأول، وأن تحويل الأموال تم له أيضًا، بل قد سافر لها مُنذُ أيام وعاد، كما كشف هاتفها عن رسالة من رقماً آخر مُنذُ ساعات يُحذرها فيها من (فارس) ويُعلمها أنك قتلت زوجتك وشقيقك، لم يحتج لبحث لمعرفة هذا الشخص فتلك هي ذات نظرية (حسام)؛ إلا أنها لم تتلقَّ في جميع

الأحوال تلك الرسالة فلو تسلمتها لكان من الصعب حضورها؛ أضاف أن تلك الرسالة وإن تعني شيئًا فقد تعني أن (حسام) ليس القاتل إلا أنها تؤكد أنهُ خطر حقيقي على الخطة لذا يجب تنحيته بأي طريقة؛ وشرح لهم انه أرسل الأرقام كافة وأرقام الحسابات لإدارة البحث الجنائي لتفيده بأسماء أصحابها؛ ولكن الأمر لن يُكشف قبل غد؛ أنهى حديثه ونظر لهم ينتظر رأيًا وهو ما لم يتأخر عنه أجابه (فارس):

– الأمر يسير كما خطط له إلا (حسام) أرى أن تُجيبه برسالة واحدة من هاتفها هي؛ "سوف أصل بالمطار على طائرة الثامنة مساء غد، انتظرني هناك ولتُبقي الأمر سرًّا".

أومأ برأسه إيجابًا فلقد تفهم إلى ما يرمي بتلك الرسالة ولكنه تحتم أن يوضح ل (علي) الذي لم يفهم فشرح بنبرة هادئة:

– إن ما يرمي إليه (فارس) هو تركيز تفكير (حسام) على عودة (زينة) ولا يتدخل في القضية فيُسبب لنا المتاعب.

لم يرحل قبل أن يؤكد عليهم موعد مروره عليهم غدًا لاستقبال العائدين بالمطار، لم تمُر تلك الليلة بسهولة على هذا الضابط الشبق، عاد لمكتبه وأعاد يفحص كُل معلومة وملف في تلك القضية المتشعبة، حادث سيارة مدبر لقتل (فارس)، ثم حادث سيارة يودي بحياة زوجته وعشقيها وهما في طريقهم لقتله، ثم مقتل شقيقه حرقًا، تتشعب القضية في البحث عن المستفيد ليكون (زينة)، الدافع لها قوي ومثبت عليها برسائلها هي وهذا القاتل هنا محاولة قتل (فارس)، ثغرة واحدة بدت له في منطق تلك

كوما

القضية ما هدف تلك الفتاة من قتل زوجة (فارس) وشقيقه فنظرية انتقامها منهم له تبددت بمحاولة قتله؛ خاصة وأن ما تعلمه هو أنها سوف ترث ثلثي التركة وحدها، ما يعنيها في الثلث الباقي؟!، في كُل الأحوال لن تحصُل على شيئاً من باقي التركة؛ إلا إذا كانت قد دبرت شيئًا آخر، أو أن كُل تلك الجرائم لشخص آخر، وبالتأكيد الدافع لن يكُون ميراثًا، أم أن المصادفة هي ما جعلت تلك القضية بتلك الغرابة؟ أكثر ما دفعه للشك في دافع (زينة) تجاه باقي الجرائم هو أنهُ لم يجد لها ذكرًا في محادثاتها الطويلة مع الشخص الذي نفذ حادث التصادم بغية قتل (فارس)؛ إلا أنهُ لم يستبعدها قد يكُون تم الاتفاق بينهم على الأمر صوتيًّا أو بمقابلة بينهما؛ بدا عقله مُشتتًا؛ فأشعل سيجارته محاولًا إخراج الأفكار من رأسه مع أنفاسه المحملة بالدخان؛ كذلك هنالك نقطة كانت أكثر غرابة وهي علاقة (حسام) هذا واتهاماته الدائمة تجاه (فارس)، بل محاولته الإضرار به بأي شكل؛ برقت في رأسه فكرة مفاجئة لَم لا يستغل هاتف (زينة) ويجري معه محادثة كتابية قد تُكشف له الكثير خاصة بعد أن أجاب عن الرسالة الأولى بأنهُ سوف يكُون في المطار قبل الموعد لينتظرها؛ لذا اتجه إلى الهاتف وخط رسالته:

- ما حالة (فارس) الطبية، لقد علمت أن حالته تدهورت بشدة؟

أرسل الرسالة وظل فترة يترقب الرد، لم تمر لحظات إلا ورأى كلمة (يكتب)، بدا له أن هذا الشخص حقًا متلهف على تلك الفتاة؛ وصله الرد أخيرًا

- الحق لا اعلم ولكن (علي) يؤكد أنه يحتضر حقًا؛ أما أنا فلا أثق به نهائيًا، وأحذركِ منه.

برقت عيناه وهو يشاهد الشاشة وشعر بحدسه الشرطي أن هنالك سرًّا سوف يُكشف، خط رسالته وأرسلها وكانت:

- لا أعلم سببًا لكرهك له، أكل ذلك لأني أحببته؟

برقت عيناه أكثر من الإجابة والتي كانت على رسالتين وصلتا تباعًا وكانت الأولى:

- أنا على يقين أنكِ لم تُحبيه لأن قلبك ما يزال مع (أحمد)، فقلبك ليس له ولا لي.

وأما الثانية فكانت الأخطر وكانت:

- ولا أفهم كيف لكِ أن تتزوجي شخصًا وأنتِ تُحبين شخصًا آخر؛ وكيف تتزوجينه ولم تعرفيه إلا ثلاثة أيام؟!

تردد كثيرًا ولم يجد بُدًّا من إرسال تلك الرسالة وكانت:

- ومن ذا الذي أعلمك بأمر زواجي به؟!

- هل يُهمك الأمر؟

- بالتأكيد وإن لم تُجب لن أكمل حديثي.

- إذًا هي (سعاد)، أعلمتني بمحادثتك معها صباح اليوم.

عاد بظهره للخلف يتكئ على كُرسيه واستفاق سريعًا من نشوة الانتصار وأرسل آخر رسالة وهي:

– فلتدع كُل هذا الأمر للقاء غدًا لا تتأخر عن موعد المطار.

أغلق الهاتف وعادت إليه نشوته، لقد قاده حدسه وشكه لفك الكثير من طلاسم تلك القضية؛ الآن كشف دافع مقتل زوجة (فارس) وشقيقه، بمقتلهم تتحول (زينة) للوريث الأوحد، أما أمر الزواج فهو أحد أمرين، إما استغلت مرض (فارس) وجعلته يوقع على عقدًا في غير وعيه، وإما أنهُ تزوجها حقًا وفقد المعلومة مع فقد ذاكرته؛ وأما (حسام) فقد كشف له أنهُ حاقد على (فارس)، وهذا كافٍ لكُل ذلك الكره والأهم أنهُ أكد له فكرة أنها وعشيقها كيان واحد مما يُدعم كُل أفكاره في الشك في (زينة)؛ زفر بشدة فلقد انتهت القضية تماماً الآن من وجهة نظره...

***

19

دلف إلى غرفته بصحبة طبيبه، وكان قد ارتدى ملابسه ينتظرهم للتوجه إلى المطار فلقد قاربت الساعة على السادسة مساءً، لكن الطبيب طلب منهم الانتظار قليلًا حتى يتأكد أنه لن يلحظ رحيلهم من المشفى أحد، غادر الغرفة ليجد (عمرو) الفرصة سانحة أمامه، نظر تجاه (فارس) وسأله:

– هل عادت لك كامل ذاكرتك؟ أم أن هنالك ما لم تذكره بعد؟

نظر له وحرك رأسه بلا أي معنى وأجابه:

– لست متأكدًا إن كُنت قد استعدتها بالكامل؛ لكن أظن أني استعدت أغلبها.

– إذًا هل تزوجت (زينة)؟!

اتسع بؤبؤا عينيه وبدا مشدوهاً من السؤال وأجابه:

– تزوجت من؟!!

- أظن أنك تزوجتها على الأقل قبل رحيلها من هنا.

صرخ غاضبًا بشدة:

- من تلك الفتاة التي سلبت أموالي ورحلت ولم تكتفِ؛ بل تُعلمُني أنها أيضًا تزوجتني.

- تلك الفتاة استغلت ضعفك وحصلت على كُل ما تُريد منك؛ المرأة غلب كيدها كيد الشيطان.

- إن صدق حديثك فبالتأكيد (القاضي) يعرف؛ لن يحدث هذا دون علمه هو المحامي الخاص بي ومستودع أسراري.

لم تمر دقائق إلا وكان (علي) قد أكد لهم انشغال (حسام) بجراحة لن تنتهي قبل ساعة؛ ليرحل ثلاثتهم بسيارة (عمرو) متوجهين إلى المطار، ظل (فارس) صامتًا طوال الرحلة ولم يتوقف عقله لحظة عن التفتيش في تلك الذاكرة المهترئة أيُعقل حقًا أن يكُن قد تزوجها، وهو ما كان يرفضه عقله تمامًا، مؤكّدًا لذاته أنهُ لم يتزوجها قطعًا قد تكُون افتراءات وأكاذيب فقط؛ لكن مع قصة الضابط الذي سردها له بدا الأمر منطقيًّا؛ قد تكُون تلك الشيطانة استغلت مرضه أسوأ استغلال لتستترفه؛ أيُعقل أن تكُن تلك الفتاة ارتدت ثوب الملائكة بتلك البراعة لتظهر في النهاية حقيقتها فما هي إلا شيطانة ماكرة، أكم من الشياطين ترتدي أقنعة الملائكة لتُغرر بضحاياها؛ لم يخرج من حالة العصف الذهني حتى بعد وصولهم المطار وجلوسه بأحد المطاعم بالمطار مع طبيبه، بينما ذهب الضابط ليتحرى

موعد وصول الطائرة فيفترض أن تصل خلال دقائق، وكذا ليُجري اتصالات بإدارة البحث الجنائي والتي طلب منها التحري عن صاحب الحساب المصرفي الذي تلقى الأموال من (زينة) والقبض عليه والتحفظ على سيارته؛ وصلت القهوة التي طلبها الطبيب من النادل بالمطعم، مد (فارس) يده وكانت تنتفض بشدة، طلب منه (علي) أن يتمالك أعصابه، أجابه بأنه يحتاج لأن يكُون (محمود) إلى جواره فهو يشعر أنهُ سوف يسقط خلال لحظات؛ أخرج هاتفه تصفحه بصعوبة ولم تُمر لحظات إلا وسقط مغشيًا عليه؛ عمَّ الهرج المطعم بينما حاول الطبيب احتواء الوضع ولم ينجح بالقدر الكافي في إبعاد الجمع الذي يحاول المساعدة، في تلك اللحظات عاد (عمرو) إلى المطعم ونجح مع الطبيب في نقل (فارس) إلى أحد المكاتب، جاهد الطبيب بشدة في محاولة إيقاظه لكن كومته في تلك المرة كانت الأصعب من كل سابقاتها؛ أخيرًا عاد إليه وعيه بصعوبة وكان أول سؤال له فور أن استعاد وعيه:

- هل وصلت الطائرة؟

- لم تصل بعد، سوف أذهب لأتقصى عنها ولكن أولًا أعلمك أنهُ تم القبض على الشخص الذي حاول صدمك.

سأل (علي):

- من هو؟

– طبيب يدعى (أحمد)؛ سوف أعلمكم بكل التفاصيل فور وصول الطائرة.

أنهى جملته ورحل من الغرفة يتقصى أمر الطائرة المتأخرة عن موعد وصولها، بينما أصابت (علي) الصدمة من ما سمع وهو ما بدا جليًّا على قسمات وجهه وهو ما دفع (فارس) لسؤاله عن سبب صدمته؛ ليكشف له أن هذا المدعو (أحمد) كان طبيبًا لديه ورحل عن المستشفى مُنذُ فترة طويلة ورغم كفاءته الطبية الكبيرة، فقد كان شخصًا ذا تطلُّع رهيب، مغرورًا إلى أبعد حد، لم يتخيل أن يصل بعلاقته مع (زينة) إلى هذا الحد؛ وأكثر ما شدهه هو كيف وصل إلى مرحلة الاشتراك في محاولة قتل، ولا يعلم حتى الآن هل تورط حقّاً في قتل شقيق وزوجة (فارس) أيضًا؛ بدا الوضع كله عجيبًا لكليهما أحقاً ذلك الشخص هو القاتل الذي يبحثون عنه؟ قاطع دهشتهم عودة (عمرو) يطلب منهم التحرك معه فورًا، فلقد وصلت الطائرة، اندفعوا بصحبته إلى سلم الطائرة وأعينهم تتابع باب الطائرة، ظهرت بعد فترة (خديجة) وبدت متوترة للغاية باكية بشدة، فور هبوطها سلم الطائرة ارتمت بأحضان زوجها تنتحب بحرارة، ضمّها بشدّة وسط دهشة الحاضرين ولم تُجب عن سؤاله الذي كرره مرارًا:

– ما الذي حدث؟ أين (القاضي) و(زينة)؟

بدأ التوتر يعم الحاضرين أمام سلم الطائرة، حتى ظهر (القاضي) يتبعه أحد أفراد طاقم الطائرة؛ ما إن هبط السلم حتى سأله (عمرو):

– أين (زينة)؟

أجابه فرد الطائرة:

– أُصيبت بنوبة قلبية شديدة قبل هبوط الطائرة بدقائق، وفشلت كُل المحاولات في احتواء الأزمة وهو ما سبب وفاتها فورًا؛ وذلك هو السبب في تأخر هبوط الطائرة.

عمت الصدمة الجمع أمام سُلم الطائرة ولم يكُن هنالك مفر من المغادرة؛ غادر الجمع ولم يلتفت أحدهم للخلف إلا (فارس)، وقعت عيناه على الجثة تهبط من الطائرة، وارتسمت على وجهه تلك البسمة الغريبة، ولم تطُل لتتبدد وهو يتابع سيره؛ كان الاجتماع الأخير لهم في مكتب (عمرو) بمديرية الأمن؛ توجهوا إلى مكتبه من المطار مباشرة؛ أغلقت التحقيقات والقضية، فلقد تم القبض على (أحمد) والذي بمعاينة سيارته والمحادثات تأكد أنه من حاول قتل (فارس) صدمًا بسيارته؛ واعترافه بالترتيب مع (زينة) للأمر؛ ليقبع تحت براثن الاتهامات العديدة التي سوف توجهها له النيابة العامة؛ غادر الجميع المكتب وهم في سعادة من إغلاق القضية وانتهاء الأمر تمامًا؛ وتلك السعادة هي ما دفعت الجميع إلى عدم الانتباه من غياب (حسام) الذي لا هو وصل للمطار ولا هو حضر لمكتب (عمرو)؛ بدا لهم أن الأمر قد انتهى تمامًا ورحل كُلٌّ لوجهته في رضا.

***

20

بعلزبول

نهض من فراشه بهدوء ينظر إلى ظهرها العاري لجواره بفراشه، ألقى عليها الغطاء وخرج من الغرفة؛ هبط درجات السلم متوجهًا إلى المطبخ، حضر فنجان القهوة التركي التي يعشقها، تشمم رائحة البن من الفنجان في نشوة؛ متوجهًا إلى غرفة مكتبه، وضع الفنجان على المكتب وخرج إلى باب المنزل فتحه ليُحضر الجرائد؛ عاد إلى مكتبه يحمل الجرائد اليومية، فتح أبواب الشرفة خلف مكتبه والمطلة على الحديقة الصغيرة للمنزل؛ أخرج علبة سجائره من درج المكتب وأشعل سيجارته في لهفة عودة العاشق لمعشوقه؛ ارتشف من فنجان قهوته، جلس على كرسي مكتبه وأخذ أحد الجرائد واستدار بالكرسي ليُطل على حديقة المنزل؛ تصفح الجريدة سريعًا باحثًا فيها عن خبر يقرؤه؛ حتى وجده لتتسع معه عيناه، كان الخبر حول تعرض الطبيب الكبير (حسام) لحادث سيارة دفعه إلى الدخول إلى جراحة كبيرة؛ أما تفاصيل الخبر احتوت حياة الطبيب التي أفناها في البحث حول

(العائدين من الموت)؛ انتهت التفاصيل على المفاجأة التي لحقت بالطبيب، الذي عاش يبحث في قضية لينتهي به الأمر أحد الأشخاص (العائدين من الموت)؛ فلقد توقف قلبه في أثناء محاولات إنقاذه لقرابة العشرين دقيقه؛ أغلق الجريدة وارتسمت على وجهه ذات البسمة الغريبة وهو يُحرك رأسه بلا معنى أو هدف؛ زفر دخان سيجارته الذي عبأ صدره لأعلى و بسط يده إلى أحد أدراج المكتب أخرج هاتفه المحمول؛ تفحصه سريعًا ناهضًا من جلسته مواجهًا الحديقة مغلقاً عينيه؛ فتح عينيه بهدوء وجد نفسه في غرفة من المرايا؛ كانت الغرفة غريبة فلم تعكس صورته بل كانت تعكس صورته وهو يُطل على ذاته؛ كأنما عشر نسخ منه تطل عليه؛ فجأة ارتسمت على وجهه ذات البسمة الغريبة وعلى إحدى المرايا أمامه، لتتبدد منها صورته عارضة مشهد جلوسه في شرفة المستشفى ونظره لهاتفه؛ ليتبعها فورًا مشهد لوجوده داخل سيارة زوجته وعشيقها وهو ينظر لهم من الخلف؛ فما إن شعرا به حتى أصابتهما حالة من الذعر لتختل عجلة القيادة وتنقلب السيارة بهما؛ تبعها مشهد له وهو يشاهد الدماء والسيارة المنقلبة مع الجمع الغفير من البشر وترتسم على وجهه تلك البسمة؛ استدار لأحد المرايا لتتبدد منها صورته ويحل موضعها مشهدًا لمنزله القديم وهو بالدور الأول منه وحوله العديد من المواد القابلة للاشتعال؛ أشعل سيجارته وسحب منها نفسًا عميقاً وهو يحمل ذات البسمة لُيلقي سيجارته المشتعلة ويرحل؛ ثم مشهداً له وهو واقف أمام المنزل والسنة اللهب تخرج منه تلتهمه؛ عاد ليستدير لإحدى المرايا ليجد مشهدًا ل(زينة) جالسة بكرسيها بالطائرة وتلتف حول رقبتها تلك الربطة الجميلة؛ ليجذبها بقوة على عنق

الفتاة وهي تجاهد في النجاة لتنتهي حياتها؛ ثم مشهدًا له وهو يستدير ناظرًا لسلم الطائرة وجثتها تهبط منه؛ استدار مرة أخرى ليواجه أكبر المرايا حجمًا، كان المشهد لسيارة يقودها (حسام) الذي فزع بشدة وهو ينظر للكرسي جواره وهو جالس عليه؛ أجاب على فزعه بنبرة هادئة:

– بحثت دومًا عن العائدين من الموت؛ وعندما أتاك أحدهم تفزع؟!

أجابه بذات الفزع:

– كيف ذلك؟! بالتأكيد أنا في حلم.

– أنت لست بحلم، أنت تقود سيارتك متجهًا إلى المطار، ولكنك لن تصل؛ ولكن سوف أشرح لك قبل أن أنصرف كثيرًا من الأمور التي لم تفهمها.

أعلمه أنهُ كان على حق في أمر أنه قد وجد معبرًا، أما خطؤه كان في تحديد هذا المعبر؛ كشف له أن المعبر الذي مر منه من مجرد رؤى إلى تأثيرات ملموسة كان هو نفسه؛ ذكره بذلك اللقاء الذي أعلمه فيه بأحلامه؛ فقد كان ذلك اللقاء هو سبيله لفتح معبره؛ أما عن الحوادث التي حدثت أعلمه أن جميع من قُتل استحق مصيره؛ الزاني والزانية ما كان لهما إلا الموت، وأما الأخ الساعي حول شهواته ما كان يستحق أيضًا إلا الموت؛ وعن (زينة) فهي تلك الفتاة التي أخذت كل شيء وجحدت كُل شيء فجزاؤها كان الموت ونالته؛ أما عن (حسام) نفسه فأسره أنهُ هو الوحيد الذي هدد مخططه وكشف ستره؛ لذا يجب عليه أن ينال جزاء دس أنفه فيما لا يعنيه؛ قاطعه غاضبًا مملوءًا بالخوف:

كوما

– ومن أنت لتحكم من يستحق الحياة ومن يستحق الموت؛ أنت لا تختلف عنهم ومصيرك الموت والجحيم.

تعالت ضحكاته بنبرة خشنة غريبة ونظر له بقوة بدت فيها عينيه كعيني ذئب وأجابه وهو يقبض على عجلة القيادة:

– أنا لا يعنيني الموت لأني قد مِتُّ سلفًا؛ وعن الجحيم فأنا رسوله ومقيم به؛ وأما من أنا فأنا ((مدير البنك)) وأنا من قلتها سلفًا، وما زلت أرددها: "لولا مشيئتك عليّ، لما كانت مشيئتي أن أكون عصيًّا".

جذب عجلة القيادة بعنف وهو يصرخ مع تقلب السيارة بتلك النبرة المفزعة:

– أنا بعلزبول..

***

21

777 ساعة بعد الراحة

القدر..

999..

فتح عينيه ليجد نفسه بتلك الغرفة التي يعلمها بدقة، يعلم كُل تفاصيلها وأدقها، هذا السجن الذي اختاره لنفسه مُنذُ أكثر من شهر، دقق في جسده ليجده مُخترقًا من تلك الأوردة الصناعية الناقلة لعقاقير لا يعلم كنهها، فأزالها من جسده لتصرخ الأجهزة الطبية طالبة النجدة من أحدهم لإنقاذ هذا المريض، وهو ما كان، فقد اندفع طبيبه إلى الغرفة وفُتحت عيناه على اتساعهما فور رؤيته جالسًا يتكئ بيديه على فراشه وتتدلى قدماه لأسفل؛ كان قويًا ويقظًا بشكل أذهل طبيبه الذي بدا مصدومًا من كلماته التي خرجت مُتقطعة من فمه:

- لم أتخيل قط أن أجدك على تلك الحالة، فقد توقعت أن أجدك مرهقًا مشوش الذهن.

قاطعه بلهجة بدا منها سليمًا كأن لم يُصبه شيء:

- اطمئن يا دكتور علي؛ أنا على خير حال وأعلم ما فعلته من أجل إعادتي، فبدني في تمام عافيته، وكذا ذهني؛ لي رجاء واحد منك أن تؤجل أي حوار تُريده الآن لما بعد؛ وأن تُحضر لي شخصًا واحدًا لألقاه فورًا.

- من هذا الشخص؟!

- الحاجة أم محمود، تستطيع أن ترسل في طلبها وأنا على يقين من أنها سوف تأتي.

بدا كأنهُ صُعق من كلماته، وبدا مشدوهًا تمامًا محافظًا على صمته، حتى عاد فارس للحديث:

- دكتور على هل سمعت ما طلبته منك؟!

تحدث منفعلًا:

- بالتأكيد سمعت حديثك؛ ولكن الغريب أن تلك المرأة التي تطلبها تجلس بالأسفل في استراحة المستشفى مُنذُ أكثر من ساعة؛ ولما طلبت منها الرحيل أجابتني أنك سوف تفيق خلال ساعة؛ والأغرب أنها قالت إنك تُريد رؤيتها ولذا هي تنتظرك!

تعالت ضحكاته وهو يهز رأسه نفيًا وأردف:

- تلك هي أمي التي لم تلدني؛ أرجو منك أن تسرع في إيصالها إليّ.

رحل الطبيب فيما لم ترحل معه دهشته طوال رحلة نزوله لتلك المرأة والصعود بها إلى غرفة فارس والتي توقفت أمام بابها ولم تدلف إلى داخلها؛ أشار لها علي للدخول وأردف:

- تفضلي بالدخول.

نظرت إلى الرقم المعلق على باب الغرفة وسألته:

- ما هذا الرقم؟

- هذا هو رقم الغرفة.

ابتسمت وهزت رأسها تفهمًا، مررت يدها على الرقم وأجابته:

- هكذا أفضل.

نظر للرقم واتسعت حدقتا عينيه على اتساعها، كيف بدلته تلك المرأة من 666 إلى 999 في لحظة، صمتٌ تمامًا وعيناه متعلقتان على الرقم ولم يستفيق من دهشته إلا على صوتها:

- دعنا ندخل فهنالك من ينتظرني.

فتح لها باب الغرفة مقررًا أن ينسحب فوراً ويبتعد عن تلك المرأة تمامًا، دلفت إلى داخل الغرفة والتي كان اللقاء بداخلها دافئًا إلى أبعد حد، ما إن دلفت إلى داخل الغرفة حتى التقت هذا الشاب في صدرها تضمه، ليشعر بالراحة لأول مرة مُنذ زمن بعيد؛ جلسا بالشرفة وكان حوارهما طويلًا في

تلك المرة، ولم تكُن الغرابة في طوله وحده، بل تلك هي المرة الأولى التي لا تجاوبه فيها بألغاز؛ كُلما سأل أتته الإجابة مباشرة وكان أهم سؤالين حينما سألها:

- لَم لم أركِ بغيبوبتي؟

- يا بني لا تجتمع الملائكة والشياطين أبدًا؛ يجب على أحدهما الانصراف، وأنا على يقين أن قلبك هذا يستطيع التمييز الآن بدقة بينهم؛ فلم أشك يومًا في قلبك بل كانت مسألة وقت فقط.

- والآن ماذا أفعل؟

- لقد أخبرتك بآية قبل إجرائك الجراحة، والآن اطمئن قلبك فأكمل الآيات يا بني؛ ولكن تيقن أنك لن تمنع ما قد كتبه الله؛ فلا تحزن.

رحلت الحاجة من الغرفة، وظل هو جالسًا تملؤه السعادة وهو ينظر للجنة من الشرفة، مرت عليه اللحظات بعد رحيلها ثقيلة هادئة صافية على أثر هذا اللقاء، انتفض من جلسته فلقد تم تدبير الأمر برأسه، كان أول من دلف إلى داخل الغرفة بعد ضغطه الزر الخاص بالاستدعاء هو تلك المشاكسة المدعوة سعاد ولم يسمح لها بأي كلمة فور أن دلفت للداخل طالبها بإحضار (حسام) فورًا؛ بدا في تلك اللحظات شعلة من الحماسة، يهرول في كُل طريق، فما إن خرجت الممرضة من الغرفة حتى أجرى اتصالًا من هاتفه المحمول بمحاميه يوقظه من سباته فزعًا، طالبًا منه حضوره فورًا وإحضار (خديجة)؛ أغلق الاتصال ولم تمر لحظات إلى وحضر حسام

كوما

متعجبًا من حالته التي بدت جيدة للغاية ومن طلبه له؛ لم يسمح له حتى بسؤالٍ ففور دخوله الغرفة طلب منه الجلوس، أسهب في توضيح موقفه له، كاشفاً له أنهُ يعلم سبب غضبته منه مؤكدًا له أنه لم يُحب (زينة) يومًا وكذلك هي، وأن كُل ما فعله لها ما هو إلا من منطلق مساعدة الآخرين، شرح له ظروف تلك الفتاة بالكامل وما لا يعلمه (حسام) عن جراحها وما تمر به من ضغوط، ظل يستمع حتى انفجر متحدثًا فلم يتحمل أكثر:

– من أين لك بأن تعلم كُل ذلك؟!!.وما الذي رأيته في الكوما؟!

اقترب منه وربت على كتفيه وأجابه:

– تأكد أنهُ سوف يأتِ توقيت أُعلمك فيه بكُل شيء؛ أما الآن دعنا ننقذ تلك المسكينة.

– وما المطلوب مني؟!

رتب معه سفره إلى إنجلترا لاحتواء زينة، وأسره أن مفاتيح تلك الفتاة في عائلتها ليكُون قريبًا منهم؛ وأما عن من تحبه هنا فأسره أن هذا الشاب سوف يختفي أقرب من ما يتخيل، وعن التكاليف أكد له تدبرها له بالكامل مؤكدًا على ثقته به وبقدرته على إنقاذ زينة والعودة بها في أقرب توقيت كزوجته؛ رحل حسام ليستعد إلى رحلته لا يكاد يصدق أهذا الشاب حقًا من كان يتمنى موته بغرفة الجراحة، رحل وهو يجلد ذاته بشدة على أنانيتها؛ رحل وهو على يقين أن هذا الشاب قد مر بتجربة في الكوما أخرجت أفضل ما فيه؛ كان التوقيت يقارب السادسة صباحًا حينما دلف (علي) لغرفته يعلمه بوصول محاميه وخديجة، نهض واقفًا لاستقبالهم، وكان

القاضي أول القادمين إليه، إلا أن عينيه كانتا تترقبان من سوف يدخل خلفه، ما إن رأى خديجة حتى هرع إليها، ضمها إلى صدره باكيًا وينتحب بشدة لتتجاوب معه في حالته تمامًا من البكاء والنحيب في ذهول من والدها والقاضي؛ لا أحد يفهم شيئًا، مرت اللحظات عليهم أعوامًا حتى أخرجها من صدره وجفف دمعها بيديه وأجلسها؛ لم يسمح لأحدهم بالحديث فقط طلب منهم أن يستمعوا له؛ كشف لهم لكم كان ظالمًا لتلك الفتاة التي لم تعرف طوال حياتها إلا أن تكُون العاشقة المخلصة، وكم كان جاهلاً حينما لم يرَ هذا الحب، وأنهُ لن يسمح بضياعها من يديه تحت أي ظرف، أنهى حديثه طالبًا منها وبحضور والدها ومحاميه الزواج منه؛ أُصيب الجميع بالصدمة، وكانت أكثرهم خديجة التي أتت اليوم و قد اتخذت قرارها بالاعتراف له بحبها له وكشف كل شيء وقد سبقها، وأما الزواج فلم تحلم بأن تسمع منه ما سمعت ! كان الرد على لسان أبيها بعد إيماءتها من رأسها بالموافقة:

- لا أعلم ما الذي أقوله، فكلاكما ابني، ولن أخجل في أن أسركما الآن؛ إني طالما حلُمت بهذا الأمر وها قد تحقق.

أجابه فارس:

- الآن جاء وقت إعادة الأمور إلى نصابها في أسرع توقيت وأهمها الآن المشكلات القانونية.

أنهى حديثه وهو ينظر لمحاميها والذي بدأ في مقدمة طويلة، قاطعه فارس وأعلمه أنهُ يعلم كُل المشكلات، بل الأكثر أنه يعلم أن هنالك دعوة

سوف ترفع خلال أيام لوقف التوكيل الخاص بخديجة والذي تمكنت به من المرور في الأزمات الماضية جميعها؛ لذا يجب الإسراع فورًا في إنهاء الأمر؛ صُعقت خديجة والقاضي وسألاه معًا:

- من أين علمت بذلك كُله؟!

- ليس المهم الآن من أين علمت الأهم أن نُسرع في خطتي لإنهاء الأمر بأكمله.

طالب محاميه بأن يجلب روان إلى المستشفى لإنهاء الأمر، وطالب خديجة بإعداد الشركة لزيارته لها غدًا، وأكد لها حضور صديقيه محمود وعبد الرحمن؛ رحل الجميع من الغرفة يُلبي طلباته فيما بحث في هاتفه المحمول عن رقم أحد معارفه في الشرطة وأجرى معه اتصالًا للبحث عن ضابط المباحث في نطاق شركته طالبًا منه أن يدفعه للحضور إليه بالمستشفى لأمرًا عاجل؛ أغلق الاتصال وذهب لزر استدعاء ممرضته، دلفت إلى داخل الغرفة سائلة:

- هل هنالك ما تحتاجه؟

- كيف حالك يا سعاد وحال زينة؟

اتسع بؤبؤا عينيها وهي تُجيبه:

- هل تتذكر كُل شيء حولها وحولي؟!

- بالتأكيد وكيف لا، الأهم أني أُريد منكِ أن تعلميها أني غدًا سوف أكون بمقر شركتي، وسوف تصلها أخبار مني فور عودتي للمستشفى.

- وما تلك الأخبار؟!

تعالت ضحكاته من تلك الفضولية وهو يُجيبها:

- غدًا سوف تعلمين؛ الآن أريد الاختلاء بنفسي.

دلف إلى داخل الشرفة وشرد كثيرًا، إن الإنسان لربه لكنود، كُلٌّ يسعى حول ما ينقصه فقط ولا ينظر لما بين يديه من نعم، من يبحث عن الحب والحب بين ناظريه، من يبحث عن المال والصحة تغنيه السؤال؛ من يبحث عن الانتقام والصفح والغفران أجل وأكرم، رحل في رحلة فلسفية مع الله وهو في رضا عن كل ما مر به، فإن كانت إرادة الله أن يأتيك ابتلاء فلك حق الاختيار في كيفية مواجهة هذا الابتلاء؛ خرج من أفكاره على صوت ممرضته التي تخبره بوصول ضابط يطلب لقاءه؛ نهض يستقبله مرحبًا باسطًا يده:

- تشرفت بحضورك، فارس فؤاد.

- وأنا أيضًا، المقدم عمرو حسن.

ابتسم بقوة وهو يطلب منه الجلوس فلم تكن الابتسامة ترحيبًا بل كانت للاسم الذي كان يعلمه يقينًا برأسه.

رحلت الممرضة ليجلس فارس ويسهب في حديثه:

- لقد علمت أنك من أكفأ ضباط الشرطة الذين قد يلتقي بهم المرء في حياته؛ كما علمت أنك لم تخسر قضية تدخل فيها، ولذلك طلبتك اليوم؛ أنا أتعرض لمحاولة قتل، وقد علمت ولا تسألني من أين أو كيف أن محاولة قتلي سوف تكُن غدًا بالتصادم بين سيارتي وأنا أركبها مغادرًا شركتي وسيارة القاتل التي سوف تأتي من الخلف، وسوف تكُون تلك

السيارة متمركزة على بُعد حوالي ثلاثمائة مترً للخلف من سيارتي؛ وكل ما أريده منك القبض عليه متلبسًا.

جاهد هذا الضابط الشبق في عمله معرفة مصادر معلوماته وعجز، ورغم رفضه الظاهري لفكرة القبض على الجاني بعد الجريمة والتي قد تودي بحياة المجني عليه؛ إلا أنها الطريقة الوحيدة لإنهاء القضية وخروجه منها مظفرًا، طال الحديث والترتيب بينهم للأمر حتى لا يعلم أحد، وكاميرات المراقبة التي زُرعت في كل شبر تغطي المنطقة المتفق عليها بينهم في خلال ساعات بعد مكالمة من فارس لمدير أمن شركته؛ بدا الأمر قد تم ترتيبه تمامًا ليرحل الضابط فور حضور القاضي وبصحبته روان طالبين الإذن بالدخول إليه؛ دلف القاضي إلى الداخل لتندفع روان من خلفه تحاول احتضان فارس الذي منعها عنه طالبًا منها الجلوس، كان الحوار بينهم قصيرًا بالقدر الذي شده محاميه بعد رحيلها، تمثل الحوار في إبلاغها بطلاقها منه، وأنهُ سوف يسلمها اليوم عبر محاميه مؤخر صداقها والذي ضاعفه ليكُون أكثر من ما ورثته من والديها؛ آملًا لها في بداية جديدة مع من تحب، فلا داعي للكذب أكثر أو التمثيل أنها تحبه؛ فلقد كشف لها كُل خطاياها، وأنه لم يجهل، وإنما كان يمهلها فقط على أمل أن تتغير؛ تمثلت دهشة محاميه في سؤاله له فور رحيل روان:

– ولِمَ تدفع لها من أموالك كل هذا القدر ونحن نستطيع أن نقيم دعوى وننهي الأمر بأقل التكاليف؟

ابتسم بقوة وأجابه بنبرة ثابتة هادئة:

– إن إنهاء العلاقات هو من أصعب الأمور والمواقف التي قد تمر بها في حياتك؛ لذا يجب أن تكُن حريصًا وأنت تنهي أي علاقة حتى لا تجرح أرواحًا قد لا يسمع أنينها إلا الله؛ وهأنت ترى رحيلها في سعادة فقد انتهى الأمر ببساطة، والآن لك مهمة أخرى يجب عليك تنفيذها.

– ما تلك المهمة؟

– أن تحضر شقيقي أحمد إلى مقر الشركة خلال ساعة على الأكثر.

أنهى جملته طالبًا من محاميه الإسراع في تلبية طلبه، وشرع في ارتداء بذلته المنمقة بعد مكالمة هاتفية لخديجة لتمر تصحبه إلى الشركة فورًا؛ أنهى ارتداء ملابسه واتجه إلى زر استدعاء ممرضته والتي أبدت إعجابها الشديد بهيئته فور دخولها الغرفة، وكان حواره لها سؤالًا وطلبًا وهما:

– هل أخبرت زينة بما أبلغتك به بالأمس؟

– بالتأكيد فهي تتصل بي يوميًا للاطمئنان عليك.

– إذًا أريد منك أن تذهبي إلى الدكتور علي وتبلغيه بأني مستعد للرحيل وأن يحضر فورًا.

دلف إلى الشرفة ينتظر قدوم خديجة وشرد كثيرًا، ولم ينتبه لمن أتت وهي تقف إلى جواره وشردت هي الأخرى، ولكن في قسمات وجهه، حتى قاطع شرودهم صوت علي:

– أرى أن الحديقة سلبتكم عقولكم.

انتبه كليهما بقوة ليُجيبه فارس:

- لم يسلب عقلي إلا ابنتك تلك؛ فلم أعد أصدق أنه لا وجود للملائكة على الأرض كلما نظرت لها، هي حقًا ملاك ابنة ملاك؛ لم أكُن لأجحد أفضالكما يومًا.

هرعت إلى صدره تُخفي خجلها ودموعها التي تلألأ على وجنتيها، ليُنهي على الموقف بطلبه لهم الإسراع في الانصراف؛ في رحلة الذهاب إلى الشركة تكفل علي بالقيادة والتزم فارس الصمت تمامًا، وكذا خديجة بالخلف منهم؛ لم يُخترق الصمت في تلك السيارة إلا بسؤال فارس حول حسام وهل سافر؟ وأجابه علي بأنهُ سوف يكُون بالطائرة خلال ساعات لأن لديه أعمالًا مهمة بإنجلترا؛ وصلت السيارة وكانت الشركة بأكملها بالبهو في استقبال مالكها ومعشوق كل من فيها، وكان أول المستقبلين عبد الرحمن ومحمود، وهم الصديقان الأقرب له؛ صعد بجمع أصدقائه إلى مكتبه، دلف الجميع على الداخل وأجلسهم في صالون مكتبه، وطلب منهم الانتباه لحديثه:

- جميعكم هنا تعلمون عني أدق تفاصيل حياتيّ؛ أما ما لا تعلمونه هو أني قد مِتُّ حقًا وحييت، ولقد توصلت إلى السبب فيما أوصلني إلى تلك الحالة؛ هو المال لقد منعت مالي عمّن هو أحق به، منعته عن شقيقي وهو في النهاية أخي ابن أمي وأبي، منعته عنكم وأنتم من كنتم سندي في رحلتي؛ حرمت تلك المسكينة أن تكُون لجواري وهي الأحق في كل قطعة مني، ألقى بجملته وهو يُشير إلى خديجة وتابع:

- تلك المرأة كُلما سقطت وجدت يدها تنهضني، حتى في موتي وجدتها تُحييني، فهي امرأة أحيت قلبي بعد موت أعوام.

أنهى كلماته، وأفصح لهم عن خطته في إعطاء شقيقه ما يلزمه ليحيا سعيدًا، وأبلغهم بانتهاء علاقته مع روان؛ وكان الأهم للجميع هو خبر زواجه بخديجة وتقسيمه أمواله؛ فلقد توصل أن يخط وصية في حال وفاته تتقسم الثروة بين خديجة ولها الثلثين وعبد الرحمن ومحمود الثلث الباقي؛ ورغم اعتراضات الجميع ومحاولات إثنائه عن الوصية رفض تمامًا، حينما أجابه علي:

- وإذا رزقك الله أبناء فأين حقهم؟! فأنت بذلك تمنعهم حقهم فيك.

ابتسم بقوة واقترب من خديجة وأجاب:

- إن رزقني الله بأبناء فإرثهم في يد والدتهم؛ ولن يجدوا آمَنَ منها عليهم وعلى أموالهم؛ فلن تكُون لي امرأة غيرها حتى موتي.

أنهى حديثه وهو يقبل جبهتها، بدا هذا الشاب قد أحكم الترتيب حقًا؛ ولم يعلم أحدهم أنه ما هو إلا فرس يُهرول بأسرع ما أُوتي من قوة في سباق مع الموت؛ وتلهب مؤخرته عصا الضمير وخصمه الوقت؛ هو لا يباري فرسًا آخر، هو يباري الزمن؛ يهرول جاهدًا في تعديل كُل شيء قبل أن يخسر سباقه ويجد خط النهاية قد كُتب عليه فات الأوان؛ وصل أخيرًا محاميه وبصحبته شقيقه لينفرد بهما في غرفة الاجتماعات الملحقة بمكتبه، شرد كثيرًا في وجه شقيقه حتى سأله:

– أولاً أحمد الله على سلامتك، لكن هل في وجهي شيء يستحق كل ذلك الفحص؟!

– بالتأكيد يستحق؛ أنت تظن أن لك أخًا جاحدًا قد أنعم الله عليه ويتركك خلفه تقبع في فقر لا تستحقه، أليس كذلك؟

لم يُجبه، فقط أطرق برأسه لأسفل محافظًا على صمته؛ ربت على كتفه برفق وعاد لحديثه:

– أنت واهم، فما كان أخوك ليتركك، بل أنت من تركته؛ لكن دعنا نترك الماضي خلفنا؛ فلقد اقتربت من الموت بالقدر الكافي الذي يجعلني أؤكد لك أنه لا شيء أهم من أن أرى السعادة في وجهك؛ أنت شقيقي الوحيد، والأقرب لي، ولذلك فلن أعطيك صدقة كما تظن، ولن تكُون لك وصية في إرث لتنتظر وفاتي.

صعق شقيقه من حديثه وحتى محاميه لم يفهم بعد ما الذي يقدم فارس على فعله؛ نهض من كرسيه وتحدث وهو ينظر لشقيقه:

– سوف أسلمك نصف ما أملك نقدًا ولا أبتغي منك إلا شيئًا واحدًا؛ ارحل عن تلك الحية التي تربيها في منزل أبينا، سيأتي يوم تلدغك بسُمها؛ كما أني أعلم أنك تُريد أن تُنجب، وكذا أنا أُريد أن أحمل أبناءك؛ من الآن سوف يشرع القاضي في ترتيب الأمور، ولو أني على يقين أنها سوف تأخذ زمنًا إلا أن لي طلبًا أهم منك الآن.

نهض شقيقه وبدا حقًا متأثرًا من حديث شقيقه وعلى وشك الانهيار وهو يُجيبه:

– ما طلبك؟

– لا تعُد إلى المنزل، فقط ابتعد في أي مكان تأمل زيارته، ولو حتى خارج مصر لا تهتم بأي تكاليف؛ أرجوك لا تعُد إلى تلك الحية مطلقًا؛ فقط أعلمها بطلاقها ولا تقابلها أبدًا؛ أخشى عليك من دهائها فلا تقربها، أقسم لك أني أخاف عليك منها وحديثي مبتغاة سعادتك فقط.

لم يُجبه قولًا، ارتمى الشقيقين يضمُّ كُلّ منهم الآخر، وقد أصابت الشقيق الأكبر نوبة هستيرية من البكاء، لكم ظلم شقيقه الأصغر وها هو الآن يحقق له كُل أحلامه وأمانيه بل، شعر حقًا للمرة الأولى بأن هنالك من يخاف أن يُصيبه مكروه؛ هذا هو رابط الدم هذا هو الشقيق، ولكم ضاع من أشقاء لأسباب واهية في زحام الحياة! أنهى المحامي الموقف الصعب بتدخل بنبرته الضاحكة:

– لا أُريد أن أعكر صفو العاشقين، ولكن ما سمعته منكما سوف يحتاج الكثير من الوقت لتدبُّره.

أجابه باسمًا بعد خروج شقيقه من صدره:

– كُل ذلك سوف يأتي أما الآن فإن هنالك ما هو أهم فلسوف أتزوج الآن وأريد لشقيقي أن يكُون الشاهد الأول على زواجي.

غمرت السعادة غرفة الاجتماعات لما سمعوه من فارس، خرج الجميع من الغرفة ينضمون للجمع بمكتبه ليعلمهم جميعًا فارس بخبر زواجه ويطلب من محمود إحضار المأذون لإنهاء الأمر؛ ليُجيبه محمود بخفة دمه المعتادة:

– أتمنى أن نسرع بزواج فإني جائع إلى أقصى حد، وكما أن الوليمة بالأسفل بعد الزواج سوف ينقصها الحلوى فسوف أُسرع بإحضارها.

أنهى حديثه وهو يطرق على معدته الممتلئة قليلًا ليسقط الجميع ضحكًا من حديثه وحركاته؛ مرت الساعات القليلة عليهم وهم في إجراءات الزواج، وكتابة العقد، كأنما ساعات سرقوا فيها السعادة من الدنيا بأكملها، جميع من حضر كان يرقص فرحًا بل جميع من بتلك الشركة حتى في مأدبة الطعام التي أقيمت؛ لم يكُن هنالك مشاعر غير السعادة لدى أحدهم باستثناء فارس! وحده كان يشعر بالخوف ليس على ذاته بل على ما يعلم يقينًا أنهُ سوف يُصيب تلك البريئة فور دخولها سيارته معه؛ أخيرًا توصل لحلٍّ في رأسه، انتهت المأدبة وكان الترتيب العودة إلى المستشفى للاطمئنان الأخير على حالة فارس وبعدها إلى رحلة سفر يحتفل فيها الزوجان بزواجهما؛ خرج الجميع يودع على أبواب الشركة وكلٌّ يتجه لوجهته وسيارته إلا فارسًا الذي أصر أنه وزوجته سوف يذهبان بمفردهما في سيارته وسوف يقودها بنفسه؛ تحرك لجوار زوجته باتجاه السيارة وهو يقبض على مفاتيحها بيده، افترق عنها عند مؤخرة السيارة فقد اتجهت للجانب الأيمن منها فيما اتجه هو لبابها الأيسر، أسرع في فتح باب السيارة والدخول إليها وما إن أغلق الباب حتى ضغط على زر إغلاق الأبواب؛

كانت تلك خُطته ليمنعها أن تلقي ما يعلم أنه آتٍ؛ لم يصُدق فشل خطته حينما وجدها دلفت داخل السيارة سائلة لما العجلة؟!، لم يتفهم هل تعطل زر إغلاق الأبواب؟! هل كانت قد فتحت الباب قبل ضغطته على الزر؟! في كُل الأحوال لم يكُن لديه متسع من الوقت ليتصرف؛ في أقل من ثانية كان قد تفهم ما يجب عليه فعله؛ جذب حزام الأمان الخاص بها وأغلقه على جسدها في لحظة ليستبق الصدمة، ما إن أغلق حزام الأمان على زوجته حتى شعر بجسده يتحرر تمامًا ليدخُل إلى مروج خضراء وأشجار وطيورٍ بألوان زاهية، ووقعت عيناه على امرأة تجلس على أريكة حجرية بيضاء وترتدي فستانًا أبيض كانت فيه كأنما تشع نورًا؛ هرول في اتجاهها شعر من هي قبل أن يتفحص ملامحها هي أمه، ما إن وصل إليها حتى التقمته تضمه في صدرها؛ تحدث في لهفة لها وهو ينظر لوجهها الباسم الشاب:

– أمي، هل رأيتِ كيف أحسنت صنعًا؟ لقد أسعدت كُل من حولي هل أنتِ راضية عني الآن؟

ربتت على كتفيه وأجابته بصوتها الحاني:

– طالما كُنت راضية عنك، ولم أشك للحظة فيك؛ كُنت أعلم أنك لن تضل الطريق أبدًا، فمن له قلبك لا خوف عليه.

– إذًا لا تجعليني أرحل، أُريد أن أظل إلى جوارك.

ابتسمت له وهي تهز رأسها رفضًا وأردفت:

– لا يا بُني لم يحن موعدك بعد فلديك ما تفعله هناك؛ لن تأتي أنت أو غيرك إلا في موعدك، وتأكد سوف يسبقك إلى هنا كثيرون مِمَّن تُحب؛ فلا تحزن.

في تلك اللحظات شعر بقوة لا قبل لهُ بمواجهتها تُبعده عن أمه؛ ليفتح عينيه ويجد نفسه بغرفة بالمستشفى ليصرخ فزعًا وهو ينهض من فراشه:

– خديجة.

ربت على كتفيه بقوة ليهدئه وأجابه بصوته الذي يعلمه يقينًا:

– اطمئن لم يُصبها أي أذى؛ سوف أحضرها لك حالًا.

هدأ للحظة حينما تأكد أن محدثه هو على، الذي ألقى كلماته ورحل يُحضر له زوجته، والتي ما إن دلفت إلى الغرفة حتى انهمر في البكاء وهو يضمها إلى صدره ويسألها في لهفة وخوف حقيقين:

– هل أصابك أذى؟ هل أنتِ بخير.

لم يكُن لينتظر إجابتها، فلقد شرع في تفتيش جسدها مثل أمٌ تفتش هل أصاب طفلها مكروه، حتى أنهُ لم يستمع إجابته من فرط قلقه ولم ينتبه إلا حينما أمسك على بيده وأجابه:

– اطمئن إصابتها خلع بسيط في الكتف وكدمات فقط من التصادم، حالتك أسوأ منها.

بدا كأنه استيقظ أخيرًا فأجابهم بسؤال:

- هل تم القبض على من صدمنا؟

أجابه علي:

- بالتأكيد والفضل لك، ولكن لَمِ لم تُعلمنا أن هنالك من يدبر لقتلك؟! وما علاقتك بأحمد؟!

صمت كثيرًا وأجابه:

- من صدمني طبيب، وأسمه أحمد وكان يعمل معك بهذا المستشفى، أليس كذلك؟!

اتسعت حدقتا عينيه بشدة وأجابه:

- من أين علمت؟! وما علاقتك به؟!

- هل حالتي تسمح بخروجي من المستشفى حالًا؟

- بالتأكيد فإصابتك جرح فقط برأسك.

- إذًا فلنرحل أنا وخديجة الآن إلى أي مدينة ساحلية، فلا أُريد أن ألتقي أحدًا.

- أوافقك الرأي ولكن هنالك من لن نستطيع منعه عن لقائك؛ وهو الضابط الذي رتب معك للقبض على الجاني هو ينتظرك بالخارج.

- سوف أقابله هنا، فلتحضره، أما خديجة فلتُخلي لي غرفتي لنرحل فورًا.

رحلت مع والدها فيما دلف إلى داخل الغرفة الضابط المنمق المظفر، استعرض مهاراته الشرطية والترتيب المتقن للقبض على الجاني؛ أجابه بجملة واحدة على تلك المحاضرة:

– لا تُصدق أن أحدًا دفعه لجريمته فلن تجد أدلة؛ كُل الأمر أنه حاقد عليّ ويظن أني قد خطفت منه حبيبته، وسوف يُحاول توريطها بالأمر، فلا تُصدقه لا صلة لها بشيء.

أنهى جملته وأنهى حواره مع الضابط الذي لم يتفهم من أين يحصل هذا الشاب على تلك المعلومات الدقيقة كأنه آتٍ من المستقبل، ولكنه قابل أشخاصًا في حياته الشرطية أكثر أو أقل منه غرابة فهو لا يهتم إلا بنجاحه في إغلاق قضاياه كما يجب؛ رحل يصحب خديجة متجهين إلى إحدى المدن الساحلية، فما أراده هذا الشاب هو الهرب بزوجته ليسترق معها السعادة، لقد أرهقته الحياة بما يكفي، فور وصولهم الفندق قرر أن يختلي بنفسه لإجراء عدة مكالمات مهمة، وكان أولها لشقيقه والذي تأكد أنه لم يعُد إلى المنزل وأنهُ بالإسكندرية يستجم كما طلب منه، والمكالمة الثانية كانت لحسام، وأطلعه فيها على ما حدث ومحاولة (أحمد) توريط زينة وشرح له كيف يكسب زينة؛ وذلك حينما يعلمها أن فارسًا تزوج بخديجة، وأن فارسًا رضخ لرغبته في إبعاد زينة عن القضية، كما أكد له أن الحساب البنكي الذي تستخدمه تبدل ليكُون باسم حسام، طالبًا منه أن يسر لتلك الفتاة أن الأموال من البداية كانت له، وتلك كانت خطته مع فارس ليساعدها دون أن ترفض؛ بدا حسام من نبرته كثير الامتنان لهذا الشاب

الذي يوجد له مكانة في حياة معشوقته، ولو على حسابه، إن الرجل إذا أراد شيئًا لن يردعه أحد، ولكن أين هم الرجال؟!، فنحن بزمن أشباه الرجال تسود وهم كُثرُ؛ أغلق الاتصال وكذا هاتفه ليهرب من البشر ويظل بصحبة ملاكه خديجة، ثلاثة أيام كانت هي الجنة لهم، حصد الزوجان ثمار حقول الحب الذي يزرعونه طوال حياتهم وكان الحصاد وافرًا حقًّا، وقبل رحيل آخر ضوء لليوم الرابع ما إن عادوا إلى بهو الفندق بعد رحلة غطس في تلك المياه النقية أدهشهم وجود من ينتظرهم وكان عليًّا، اتجها إليه واحتضناه في سعادة، ولكنه بدا يُخفي شيئًا؛ لذا سأله فارس مباشرة: هل حدث أمر ما؟! شرع في مقدمة طويلة وفي خضم حديثه ألقى معلومة أن حسامًا قد عاد من رحلته في إنجلترا وهو ما ساعده على الحضور؛ لم يتحمل فارس أكثر ليقاطعه بقوة:

- ماذا حدث ودفعك للحضور؟

- لقد تُوفي شقيقك اليوم.

فزع واقفًا صارخًا:

- كيف حدث ذلك؟!

أكد له أن الشرطة تبحث عن السبب إلا أن جثته وُجدت محترقة هو وزوجته بمنزلكم القديم؛ لم يتحمل فارس حديثه أكثر، اندفع على غرفته يُبدل ملابسه وكذا زوجته؛ كانت رحلة العودة إلى القاهرة أصعب من كل ما مر به يومًا؛ أسئلة عدة تجلد رأسه جلدًا، لكد أكد لشقيقه ألا يقرب

تلك الحية في منزلهم، لقد طالبه أن يبتعد ولم يستمع إليه؛ وصلوا أخيرًا لمنزل فارس القديم، تقدم ينظر لأطلال منزلهم ولم ينتبه لمن يحاول تعزيته انفتح بؤبؤا عينيه بشدة وهو ينظر للمنزل، وانفتحت حدقتا عينيه على اتساعهما فور رؤيته محمودًا ليصرخ فيه:

- أين والدتك؟!

لم يكُن محمود ليختبر صبره الحين فقط أجابه بمنزلنا؛ التقم كلماته وهرول باتجاه منزل الحاجة أم محمود واندفع للداخل ليجدها جالسة أرضًا أمام مصحفها، ارتمى في صدرها باكيًا ينتحب بحرارة وتحدث والدموع تملأ كلماته والتي تفهم بالكاد من أثر بكائه:

- لقد صنعت كُل شيء وظننت أني أسعدت الجميع وأحسنت صنعًا؛ لَم ارتدت الأمور جميعها للخلف؟ لم أُرد لأحدهم الموت لقد سامحت الجميع ما الذي يحدث؟!

ربتت على صدره وجففت دمعه وأردفت:

- يا بني لا أريدك أن تكون كمن ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا؛ أنت أحسنت صنعًا لنفسك، فكل واحد منا لن يُحاسب إلا على ذاته وحده، أنت نجوت بنفسك وقدمت لهم الاختيار كما أراد الله لك ولهم، أما اختياراتهم ونتائجها فهم وحدهم يتحملونها؛ فما ذنبك في أخٍ أعطيته ما لم يحلم يومًا به آملًا أن يكُن سعيدًا؛ ليُقرر في نفسه أنهُ لا ضررا من لقاء جنسي أخير؛ وهو لا يدري أن زوجته لم تكُن

لتقبل لتقرر قتله وقتل نفسها معه؛ القدر محتوم ولا مهرب منه لا لك ولا لغيرك؛ إنك لميت وإنكم لميتون، تلك الآية موجهة إلى رسول الله؛ فلا تحزن من قضاء الله وارضَ به.

بدلت كلماته حزنه فحقًا لا مهرب من القدر ولن يمنعه حذر، فهو قادم بلا شك؛ خرج من منزلها ليجد جَمْعَ أصدقائه يقف أمام أطلال منزله القديم، ولمح عبد الرحمن قد وصل متأخرًا، فتوجه لهم ليصمت عبد الرحمن عن الحديث فور وصوله، باغتهم سائلًا:

- ما الذي حدث وتخفونه عني؟

شرد الجميع للحظات إلا خديجة فقد أجابته بقوة:

- لقد توفيت روان في حادث سيارة وبصحبتها حسين منذ ساعات؛ قبل وفاة شقيقك.

لم يتوقع أحدهم ردة فعله، وكانت ابتسامة عريضة تبعتها آية قرآنية وهي:

- (إنك ميت وإنهم ميتون).

أُقيم سرادق العزاء، وكان في نهايته أهم لقاء لفارس، فلقد حضر حسام لتعزيته؛ منفردًا به بعيدًا عن آخر الراحلين من العزاء وأطلعه على كل أمور رحلته، وكيف نجحت خطتهم، وكيف دبر أمر زواجه بزينة فور وصولها الليلة من المطار، فسوف يتوجه للمطار يستقبلها فور رحيله من العزاء، كان يُجيبه بإيماءة قبول على كُل حديثه وحينما بسط يده ليُسلم عليه راحلًا قبض فارس على يده بقوة وتحدث:

- أعلم أن هنالك سؤالًا برأسك، ولكنك تعجز عن سؤاله؛ وهو أين كُنت في الكوما، تأكد قريبًا سوف تعلم، فقط انتبه لنفسك.

ربت بقوة على يده بين كفيه كأنما يودعه، رحل حسام وكذا الجميع من العزاء، كُلٌ إلى وجهته؛ استيقظ فارس ونهض من فراشه بهدوء ينظر إلى ظهرها العاري لجواره بفراشه، ألقى عليها الغطاء وخرج من الغرفة؛ هبط درجات السلم متوجهًا إلى المطبخ، حضر فنجان القهوة التركية التي يعشقها، تشمم رائحة البن من الفنجان في نشوة؛ متوجهًا إلى غرفة مكتبه، وضع الفنجان على المكتب وخرج إلى باب المنزل فتحه ليُحضر الجرائد؛ عاد إلى مكتبه يحمل الجرائد اليومية، فتح أبواب الشرفة خلف مكتبه والمطلة على الحديقة الصغيرة للمنزل؛ أخرج علبة سجائره من درج المكتب وأشعل سيجارته في لهفة عودة العاشق لمعشوقه؛ ارتشف من فنجان قهوته، جلس على كرسي مكتبه وأخذ إحدى الجرائد واستدار بالكرسي ليُطل على حديقة المنزل؛ تصفح الجريدة سريعًا باحثاً فيها عن خبر يقرؤه؛ حتى وجده لتتسع معه عيناه، كان الخبر تعرض الدكتور حسام إلى حادث سير بسيارته وهو في طريقه لاستقبال زوجته المستقبلية ولسوء حظ هذا التعيس لم يصل وكذلك لم تصل زوجته المستقبلية، فلقد تُوفيت في الطائرة مختنقة ولا يُعلم السبب الطبي حتى الآن؛ أما عن الطبيب فقد تحول هذا الباحث طيلة حياته حول العائدون من الموت إلى أحدهم وذلك بعد توقف قلبه لقرابة العشرين دقيقة في أثناء محاولات إنقاذه من الحادث.

هز رأسه رفضًا وابتسم وهربت من شفتيه جملة واحدة وهو يُلقي الجريدة على مكتبه:

- إن الإنسان لربه لكنود، في كُل مرة يُعطيك حق الاختيار وتسيء الاختيار لتعود بعدها وتلصق الأمر بالقدر؛ فالله لن يمُد يدًا لإنقاذ أحدهم هو يُجد لك الأسباب، ويقر لك حق الاختيار؛ فربح من أحسن الاختيار.

***



أتوجه بالشكر لكل من ساهم في ظهور هذا العمل وهم:

" أبي؛ فما كُنتُ لأكُون يومًا ما أنا عليه إلا لكونك أبًا عظيمًا؛ بوجودك أكُون حاضرًا، أنا منك وأنت مني، ولك أرق تحياتي وأمنياتي ودُعائي بدوام عافيتك، وأن يهبك الله عمرًا مديدًا لأظل أتعلم منك ".

" أمي، يكفي جنس النساء فخرًا أن منهُ أمي؛ طالما كانت تلك كلماتي لكل من يجحد في حق المرأة؛ فإن كُنتُ ناجحًا مُتنورًا فما تهذبت ولا علمتُ للنجاح طريقاً إلا بمدرستك؛ لكِ أرق تحياتي وأمنياتي ودُعائي بدوام عافيتك وأن يهبك الله عمرًا مديدًا فأنتِ مشكاة النور لكُل طُرقاتي".

" عمي سيد عصفور، لكم كانت كلماتك مُضيئة في ظُلمة الطريق! ولكم ألهمتني الصبر والجلد وأرشدتني إلى الطريق الصحيح! نصائحك الدقيقة ونقدك الهادف دومًا ما دفعاني للتطور أكثر؛ فإن كُنتُ أنا المؤلف، فأنت مخرج أعمالي؛ لك مني أرق تحياتي وأمنياتي ودُعائي بدوام عافيتك، وأن يهبك الله عمرًا مديدًا لأظل أتعلم منك".

"إعلامية المستقبل .. أ / دعاء عصفور.. ما كنت لأجحد حقك عليّ بعد أكثر من خمسة أعوام.. كنت فيها أحد الأعمدة الرئيسية فيما وصلت وسوف أصل إليه.. لك مني جزيل الشكر والعرفان والتقدير.. ودعواتي المخلصة لك بالتوفيق دائمًا".

" الصديق والأخ العزيز والكاتب المبدع .. أ/ إسلام عبد الله، دعمك المطلق والذي لم يتوقف لدفعي باتجاه النشر كان السبب الرئيسي لظهور أعمالي في هذا التوقيت، لك مني جزيل الشكر وأطيب الأمنيات بدوام النجاح".

"الصديق العزيز .. أ/ رمضان فاروق، قارئي الأول وصديقي الوفي والناقد القوي .. لطالما كانت كلماتك عالية المسمع بأذني، فلا أنسى لك كلماتك .. اكتُب ولا تجعل أحدًا يدفعك للتوقف، ولو بلغ إنتاجك ألف رواية، يومًا ما سوف تصل؛ لك الشكر والتقدير مني، وأدام الله عليَّ نعمة صداقتك الغالية".

" أخي الروحي .. م/ أحمد عصفور .. فلسوف أعترف هنا بما لم أخبرك به حتى الآن، في كُل مرة كُنت أنتظر رأيك في أحد أعمالي كُنت أنتظر وأناقشك وأنا في أقصى حالات التوتر والقلق، لك حس نقدي عالٍ وفني أيضًا؛ دومًا آراؤك كانت تُصيب سويداء القلب؛ لك كُل التقدير والشكر على دورك الرائع معي؛ ودُعائي بدوام أخوتنا".

"الصديقان الغاليان على قلبي وروحي.. محمد مكرم، ولاء عبد الرحمن؛ وجودكما ودعمكما الدائم كان دومًا هو الطاقة التي تسري في عقلي؛ أسأل الله دوام صداقتكما .. لكما مني جزيل الشكر والتقدير".